مطرانيـــة
بنى مزار والبهنسا

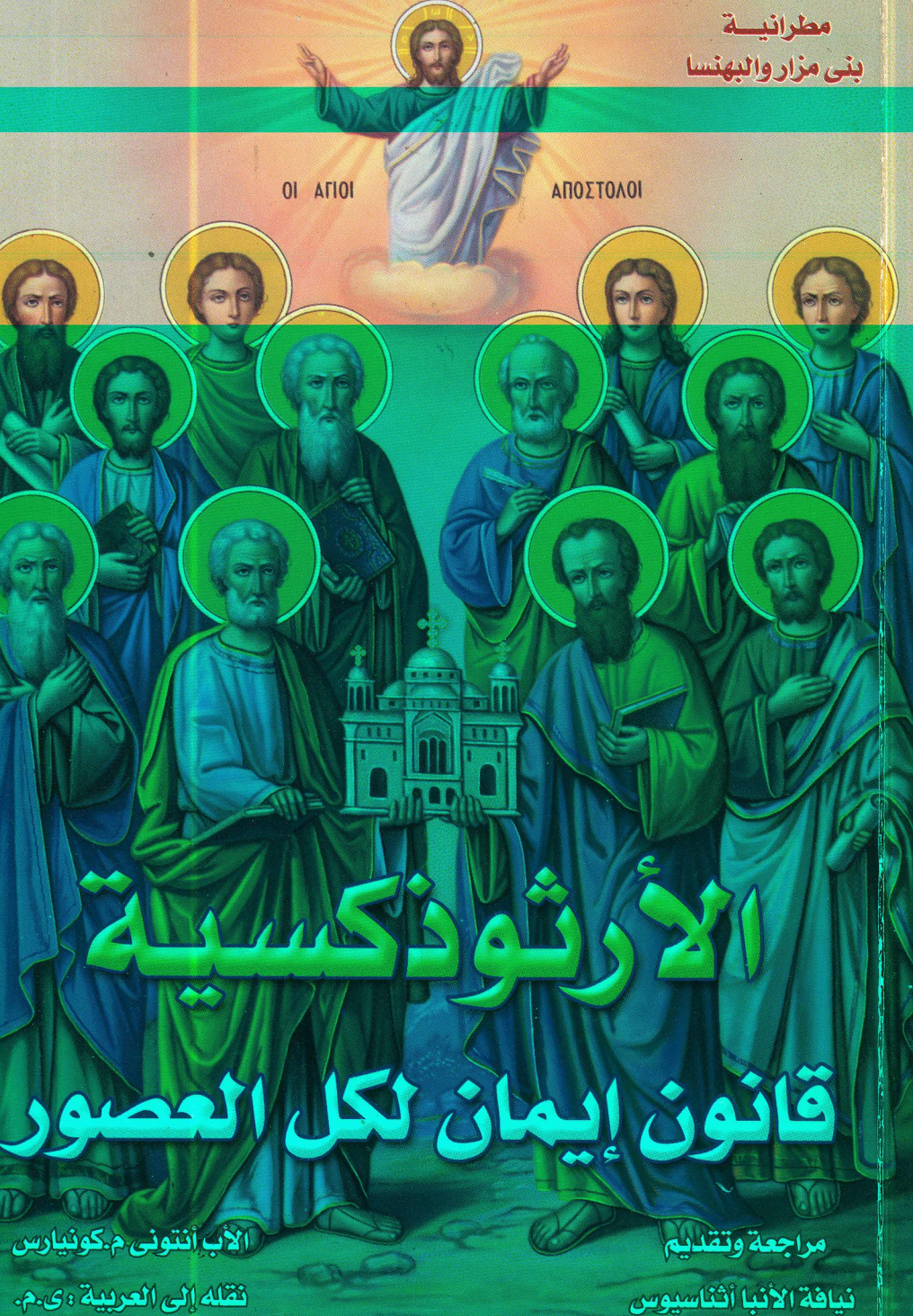

الأرثوذكسية

قانون إيمان لكل العصور

مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا أثناسيوس

الأب أنتونى م.كونيارس
نقله إلى العربية : ى.م.

مطرانية بني مزار
والبهنسا

الأرثوذكسية
قانون إيمان لكل العصور

مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا أثناسيوس
أسقف بني مزار والبهنسا

الأب أنتوني م. كونيارس
نقله إلى العربية: ي. م.

٢٠٠٥

coptic-books.blogspot.com

تُرجِم هذا الكتاب عن:

ORTHODOXY: A Creed for Today
By Fr. Anthony M. Coniaris
Light and Life Publishing Company
P. O. Box 26421
Minneapolis, MN 55426-0421
U. S. A.

اسم الكتاب: الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور
اسم المؤلف: الأب أنتوني م. كونيارس
اسم المعرِّب: ي. م.
الطبعة: الأولى ٢٠٠٥
اسم المطبعة: دار يوسف كمال للطباعة
ت: ٤٨٢٧٠٧٤
رقم الإيداع: رقم الإيداع : ١٨٦٤٢ لسنة ٢٠٠٤ م
الغلاف والصور: الفنان كمال غطاس

coptic-books.blogspot.com

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

coptic-books.blogspot.com

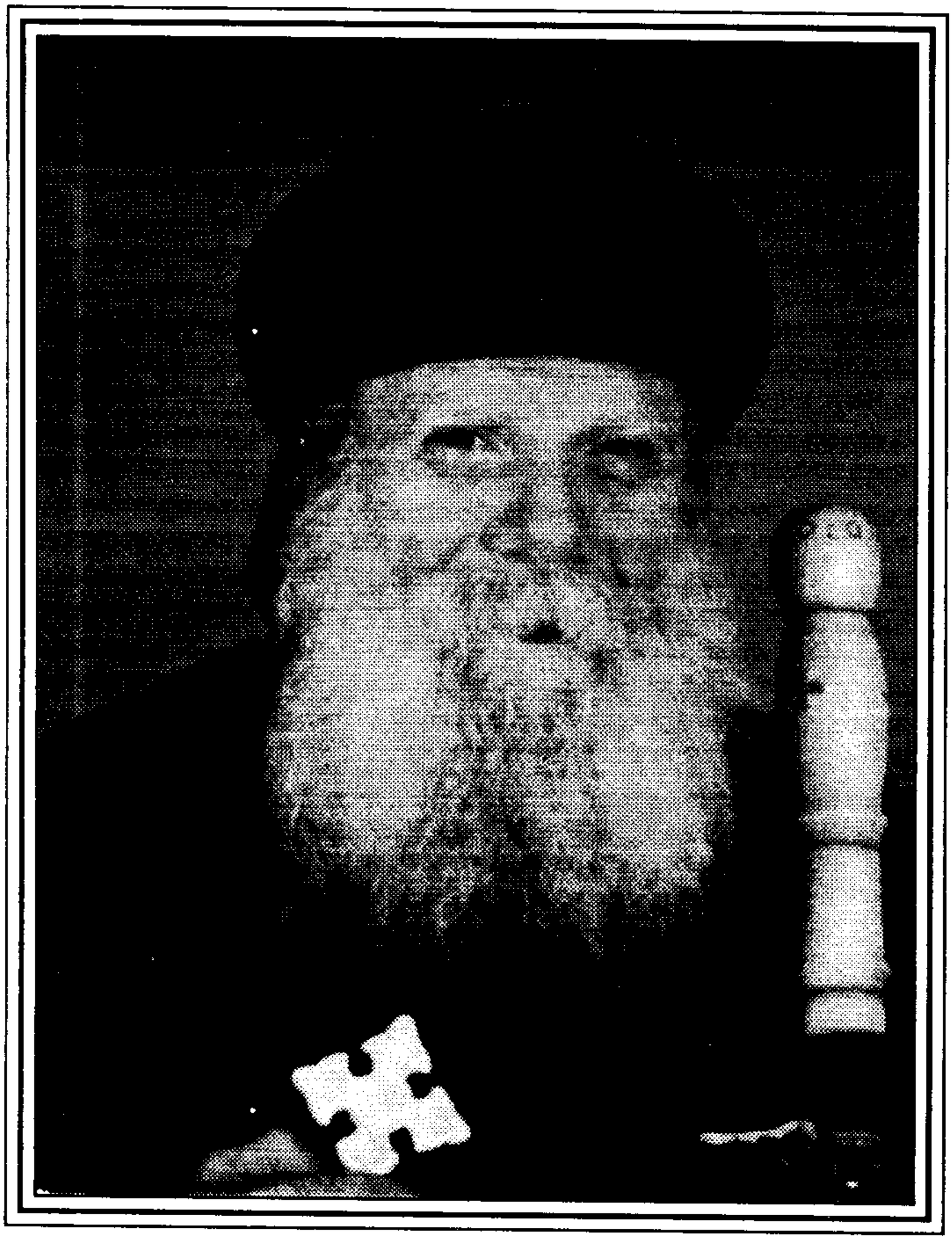

نيافة الحبر الجليل الأنبا أثناسيوس

أسقف بني مزار والبهنسا

coptic-books.blogspot.com

الفهرس

تقديم نيافة الأنبا أثناسيوس ١١
مقدِّمة. الأستاذ الدكتور نبيل نظير ١٣
تصريح ترجمة ونشر الكتاب ١٥
مقدِّمة الأب جون مايندورف ١٦
تمهيد ١٨
ما هو لزوم العقيدة والقانون؟ ١٩
العقائد المُبكرة ٢٠
اصطلاح أم شِعار ٢١
كيف ظَهَرَت قوانين الإيمان المسيحي؟ ٢٢
القوانين والأعمال ٢٤
نص قانون الإيمان النيقاوي ٢٦
أُومِن ٢٧
القبول العقلي يلزم أن يتبعه الوفاء والتعهُّد ٢٨
أنا أُومِن ٣١
بإله واحد ٤٥
الله ٥٢
الله: شخصٌ أم شيءٌ؟ ٥٧
الآب ٦٠
معاني مُتضمَّنة عن أُبُوَّة الله ٦٥
ضابط الكل ٧٠
الله هو الذي يُحِدُّ نفْسه ٧٣
خالق السماوات والأرض ٧٧

coptic-books.blogspot.com

ما يُرى وما لا يُرى ٨٣
حقائق تحتويها عقيدة الخلقة ٨٨
الإنسان تحفة الله الرائعة ٩١
على صورة الله ٩٢
مِن الصورة إلى المِثل (الشَّبَه) ١٠٢
نؤمن برب واحد يسوع المسيح ١٠٧
ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور ١١٢
نور مِن نور ١١٤
مساوٍ للآب في الجوهر ١١٦
إلهٌ حقٌّ مِن إلهٍ حقّ ١١٨
يسوع الإله والإنسان ١٢١
إله وإنسان في شخصٍ واحِد ١٢٨
الذي من أجلنا نحن البشر .. تجسَّد ١٣٣
تشبيهات لتوضيح مجيئه ١٣٦
نَزَلَ على الأرض ١٤٢
وقتٌ يُعمل فيه ١٤٦
تجسَّد مِن الروح القُدُس ومِن مَريَم العذراء ١٤٨
لماذا التجسُّد؟ ١٤٩
مِن أجل خلاصنا ١٥٥
الخلاص مِن ماذا؟ ١٥٧
ما هو هدف الخلاص؟ ١٥٩
نَزَلَ مِن السماء ١٦٠
وصُلِب ١٦٤
عَنَّا ١٦٩
ماذا يقول لنا الصليب عن الله؟ ١٧١

coptic-books.blogspot.com

كَم لنا مِن قيمة لدى الله؟ ١٧٣
على عهد بيلاطس البُنطِي ١٧٧
تألَّم ١٧٩
وقُبِر ١٨١
الصَّلب في اللاهوت الأُرثوذكسِي ١٨١
عثرَة الصليب ١٨٤
وقام مِن بين الأموات ١٨٧
في اليوم الثالث ١٩٠
كَما في الكُتُب ١٩٢
تمثيلية القيامة في خَدَمات الكنيسة الشرقيَّة ١٩٥
وصعد إلى السماوات ١٩٩
وجلس عن يمين الآب ٢٠٤
وأيضًا يأتي في مجده ٢٠٩
متى سوف يأتي ٢١٤
ماذا سوف يحدُث في ذلك اليوم؟ ٢١٨
عَزُّوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام ٢٢١
ماذا يُعلِّمنا المجيء الثاني؟ ٢٢٤
كيف نُعدّ أنفسنا للمجيء الثاني؟ ٢٢٦
الذي ليس لمُلكه انقضاء ٢٣١
أين يوجَد المَلَكوت؟ ٢٣٢
كيف يصبح الملكوتِ واقعًا حقيقيًّا؟ ٢٣٤
نُؤمِن بالروح القُدُس ٢٣٩
مَنْح الروح القُدُس ٢٤٣
نَسجد لهُ ونُمَجِّده، مع الآب والابن ٢٤٦
الربُّ المُحيي ٢٤٧

coptic-books.blogspot.com

روح الحَق ٢٤٩
المُنبَثِق مِن الآب ٢٥٣
الناطِق في الأنبياء ٢٥٤
ماذا يُمكِن أن يَعنِي لنا الروح القُدُس اليوم؟ ٢٥٦
كيفَ نَقبَل الروح القُدُس؟ ٢٦١
وبكنيسة واحدة مُقَدَّسة جامعة رسوليَّة ٢٦٤
مَن هي الكنيسة؟ ٢٦٧
جَسَد المسيح ٢٧١
عليكَ أنتَ أن تكون الكنيسة ٢٧٤
منظران للكنيسة ٢٧٧
الكنيسة مَصدَر قُوَّة ٢٨٠
وبمعموديَّة واحدة لمغفرة الخطايا ٢٨٣
شَرحٌ لِطَقس المعموديَّة ٢٨٧
ونَنتَظِر قيامة الأموات ٣٠١
المفتاح إلى قيامتنا ٣٠٦
وحياة الدهر الآتي ٣١٣
شهادات شخصيَّة بخصوص الخلود ٣١٧

coptic-books.blogspot.com

تقديم نيافة الأنبا أثناسيوس

أسقف بني مزار والبهنسا

بسم الآب والابن والروح القدس

إله واحد آمين

لكل إنسان عقيدة يؤمن بها، لكن ليست كلُّ عقيدة سليمةً، فهناك عقائد كثيرة كالشيوعية، والمادية، والإلحاد، والانغماس في اللذاتٍ وغيرها من العقائد الخاطئة والمهلكة. ولكن ما هي العقيدة السليمة؟

فالعقيدة السليمة هي التي تُسعِد الإنسان وتُبهِج قلبه، وتورِّثه ملكوت السموات بالخلاص الذي تتضمَّنه.

هذه هي عقيدة الكنيسة المسيحية. فالمؤمن بها مُعْلَمٌ بين ربوة .. له رائحة المسيح الذكية .. يرى الناس أعماله فيمجِّدوا الله في السموات.

ونظراً لظهور عقائد وهرطقات تُفقد المسيحية جمالها؛ لذا اجتمع آباء الكنيسة الأُولى وبلوروا الإيمان المسيحي في قانون أسمته قانون الإيمان، الذي صاغه البابا أثناسيوس الملقَّب بالرسولي حامي الإيمان. بابا الإسكندرية البطريرك العشرون. وآمن به جميع المسيحيين في العالم كله.

وقد تم هذا الاجتماع أولاً في نيقية سنة ٣٢٥م. وأُكمِل في القسطنطينية سنة ٣٨١م. ثم في أفسس تمَّ سنة ٤٣١م.

فيه يُعلِن المسيحي معرفته بشخص السيد المسيح كما قد سبق وأَعلن هذا الإيمان القديس بطرس الرسول الذي قال للسيد المسيح: «*أنت هو المسيح ابن الله الحي.*» (مت ١٦: ١٦)

وكذلك قد أَعلن هذا الإيمان أيضاً القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيلبي الأصحاح الثالث: «*لأعرفه وقوَّة قيامته وشركة آلامه متشبِّهاً بموته*».

coptic-books.blogspot.com

هذه هي المعرفة الحقيقية لشخص ربنا يسوع المسيح ابن الله. هذه العقيدة تخلّص الإنسان وتجعله وارثاً لملكوت الله، وهي الهدف الأساسي من تمسُّك المسيحي بقانون الإيمان للخلاص الأبدي.

فعدم التمسُّك بالإيمان في شخص الرب يسوع المسيح ابن الله يجعل الإنسان يخسر الحياة الأبدية إذ يقع بذلك في إنكار ابن الله: «*مَنْ لا يعترف بالمسيح ربًّا ليكن أناثيما*» (انظر: ١كو ١٢: ٣).

هذا الكتاب العملي الرائع والرابع للمؤلِّف والمترجِم يُقدِّم تفسيراً عمليًّا من الحياة للوجود الإلهي وكونه ضابطاً للكل: «*كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان*» (يو ١: ٣)، «*أرسل ابنه الوحيد إلى العالم متجسِّداً*» (انظر: يو ٣: ١٦)، «*الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده كمجد وحيد من الآب*» (يو ١: ١٤)

هذا الكتاب سهل اللغة، سلس وبسيط، مقنع للجميع، بلاهوت السيد المسيح، كما أن له نبرة علمية يُسهِّل الاقتناع بهذا الإيمان بسهولة.

نقدِّم الشكر للمؤلِّف الأب أنتوني كونيارس وللمترجِم الأب ي. م. ولكل مَنْ له تعب في إخراج هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

بركة صلوات صاحب القداسة والغبطة البابا شنوده الثالث، أدام الله حياته للمجيء الثاني للسيد المسيح على السحاب. آمين.

عيد السيدة العذراء
١٦ مسرى ١٧٢٠ش.
٢٢ أغسطس ٢٠٠٤م.

بنعمة الله
أثناسيوس
أسقف بني مزار والبهنسا

coptic-books.blogspot.com

مقدِّمة

بين يديك قارئي العزيز كتاب "الأرثوذكسية .. قانون إيمان لكل العصور" وهو الكتاب الرابع لنفس المؤلِّف والمترجِم.

المؤلِّف هو الأب "أنتوني كونيارس"، وهو كاهن أرثوذكسي يخدم في كنيسة القديسة العذراء مريم الأرثوذكسية اليونانية في مينيابوليس بالولايات المتحدة الأمريكية، وله حتى الآن أربعة وثلاثون كتاباً تدور كلها حول المسيحية الأرثوذكسية الشرقية وتفاعلها مع الحياة المعاصِرة.

وهذا الكتاب: [ORTHODOXY: A Creed for Today] ظَهَر إلى حيِّز الوجود عام ١٩٧٢م، وأصبح للتوِّ مرجعاً يَعْتَمِد عليه مؤمنو ودارسو الأرثوذكسية.

في وجود هرطقات متعدِّدة، وآراء متضاربة وتعاليم غير أرثوذكسية، رأى آباء الكنيسة الأوائل أن يجتمعوا ليقرِّروا بإرشاد الروح القدس على قانون دائم ومكتوب تحمله السنون عبر الأجيال، ليكون أساساً ومقياساً للإيمان القويم: الإيمان الواحد (أف ٤: ٥).

بكلمات قويَّة وواضحة يحدِّد قانون الإيمان النيقاوي الثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح القدس، ولكل أقنوم يعطي صفات محدَّدة استقاها من الكتاب المقدَّس.

يقف المؤلِّف عند كل كلمة من كلمات قانون الإيمان، ليسبر غورها، ويربطها بالإنجيل وأقوال الآباء، ثم يكشف لنا ببساطة وعمق بآن كيف نطبِّقها عمليًّا في حياتنا المسيحية اليومية المُعَاشَة.

coptic-books.blogspot.com

إنه كتاب يصرخ بالأرثوذكسية، ويزعق بالإيمان السليم. عباراته مُحلاَّة بأقوال من دُرَر الآباء، وموشَّاة بشهادة عظماء التاريخ والمفكِّرين.

يغوص المؤلِّف في كلمات قانون الإيمان، ويَخْرج لنا بمعانٍ شاملة ومتجانسة، وكأنه يقدِّم هذه الكلمات حبَّاتٍ مترابطةً ومتجاورةً لتكوِّن عُقداً من لآلئ روحية يتقلَّد رقبة كل مَنْ قال إنه أرثوذكسي.

إنه كتاب أرثوذكسي آبائي محض، يجب على كل أرثوذكسي اقتناؤه ليضيفه إلى مكتبته. إنه يساعدنا أن نردِّد قانون إيماننا بفهم وإدراك بدلاً من تلاوته بآلهة وروتينية تُفقده عمقه وتُقَزِّمه إلى كلمات جوفاء خالية من المعاني الروحية.

إنه ليس فقط قانون إيمان، ولكنه أيضاً قانون حياة: الحياة المسيحية الحقَّة. وتتضاعف وتتعاظم أهمية هذا القانون خصوصاً في عالمنا الحاضر الذي سادته المادية، وعمَّته وعَمَته العقلانية، وطغت عليه موجات الإلحاد وإنكار الله، وتضافرت فيه جهود غير المؤمنين لتحطيم الأسرة والتقليل من شأنها!

ما أحوجنا اليوم إلى هذا القانون لكي نسير على هديهِ في عالَم ضاعت منه بوصلة الروحيات!

١٨ نوفمبر سنة ٢٠٠٤م.
الموافق ٩ هاتور سنة ١٧٢١ش.
تذكار مجمع نيقية المسكوني الأول سنة ٣٢٥م.

الدكتور نبيل نظير
استشاري الأمراض النفسية والعصبية
لوس أنجلوس - أمريكا

❁ ❁ ❁

coptic-books.blogspot.com

تصريح الأب أنتوني كونيارس لأسقفية بني مزار بترجمة ونشر كتبـــه باللغـــة العربيـــة

LIGHT & LIFE PUBLISHING

4808 Park Glen Road, Minneapolis, MN 55416
Telephone: (952)-925-3888 Fax: (888)-925-3918
www.light-n-life.com

Bishop Athanathious of Beni
Mazar and Behnesa
Benimazar
Arab Republic of Egypt

July 29, 2003

Your Grace,

I beseech your Episcopal blessing.

I am most pleased to grant you permission to translate any of my books into Arabic.

I must admit humbly that these books were written not by me but by the Holy Spirit, so we offer all praise to Him together with the Father and the Son, Amen.

Most respectfully,

+Anthony M. Coniaris
Anthony M. Coniaris

coptic-books.blogspot.com

مقدِّمة

عندما نعترِف بإيماننا، وبكنيسة واحدة مقدَّسة جامعة رسولِيَّة، فـإنَّ هذا لا يعنِي أنَّنا نصوغ مُجرَّد مقولة إيمان، إنَّما نحن نتقبَّل أيضًا مسئوليَّة.

هذه المسئوليَّة تتضمَّن بالأساس، الحياة بحسب ما نؤمِن به، وأيضًا أن نجعل إيماننا هذا مُستمِرًّا للبلوغ إلى جميع الرجال والنساء، خاصَّة لأبناء جيلنا.

لقد وصل الإيمان الأرثوذكسِي إلى أمريكا مع أفواج المهاجِرين الذين احتفظوا به ككنْزٍ ثمين، استخدموه كرباط قوِي يـربطهم بماضـيهم في العالَم القديم، ومع ذلك لا ينبغِي أن تظل الكنيسة الجامعة الأرثوذكسـيَّة محدودة على الدوام بتاريخ الهجرَة وسيكولوجيَّة المهـاجِرين. إن إيماننـا بالكنيسة أنَّها "جامعة" يلغِي هذا التحديد. ليس فقط أبنـاء وأحفـاد المهاجِرين هم الذين يُكوِّنون الكنيسة الأرثوذكسيَّة في المُستقبَل، بل وأيضًا الآخرون (من غير الأرثوذكس) الذين بمحض رغبتهم يختارون أن ينضمُّوا للإيمان الأرثوذكسي، عندما يكتشِفون في الأرثوذكسيَّة الحـق الـدينِي المُطلَق، لِمثل هؤلاء يلزَم أن تفتح الكنيسة أبوابها.

الأب الكاهن أنطوني كونيارس المشهود له بغيرة رسوليَّة حارَّة، وهو يكتُب هذا الكتاب، إنَّما يهتم بالدرجة الأُولى بهذا الاحتيـاج الشـديد للتجاوب مع هذه المسئوليّة المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة. وقد نجح في أن يجعل الرسالة الأرثوذكسيَّة مسموعة عالِيًا، كرِسالة للشباب، رسـالة للتقليـد الحيّ الذي يحتوي كل ما هو حق وجميل، ويرفُض ما هو مُزيَّف وفاسِد.

coptic-books.blogspot.com

في الوقت الذي فيه قد أصاب شبابَنا خيبةُ الأمَل مِن الجري وراء ما هـــو عالَمي دنيَوي فارِغ، ويحاولون الآن البحث للارتباط بديانة جديـــدة، فـــإن كتاب "الأرثوذكسيَّة - قانون إيمان لكل العصور"، يُمدَّهم ببديل واضِـــح مفهوم لحلول كثِيرة مُزيَّفة يقترِحونها، لذا عليهم ألاَّ ينسوا هذا الكتاب.

الأب جون مايندورف

عميد معهد فلاديمير الروسِي بنيويورك

coptic-books.blogspot.com

تمهيد

يُقال إن ٨٥% من كل العظات هي إيحائيَّة و١٥% منها فقط تعليميَّة. ممَّا لا شك فيه أنَّنا نحتاج إلى الإيحاء، ونحتاجه يوميًّا. إنَّنا نحتاج إليه لنظل نعيش، لكن المسيحيَّة شيءٌ آخَر أكثَر من الإيحاء، إنَّها أيضًا المعرفة. إن الحق يَلزم أيضًا أن يُعلَّم وأن يُستوعَب وأن يُمتص في حياتنا. «*هذه هي الحياة الأبديَّة أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته*» (يو ١٧: ٣) هذا يلزم أن ينعكِس في تعليمنا أكثَر من أي شيء آخَر، خاصَّة في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، التي هي كنيسة الإيمان *الحقيقي المستقيم*. وحقيقة إيماننا هذا يجب أن يُجاهَر به.

إن مادَّة هذا الكتاب هو أصلاً مجموعة عظات عن شرح الإيمان النيقاوي، وبعد إضافات وشروحات أُخرى كُتِب للقراءة العامَّة. إنَّنا نأمَل برجاءٍ وصلاة أن يُساعِد هذا الكتاب في فهم الحقائق الأساسيَّة التي قنَّنها وشرحها آباء الكنيسة في مجمع نيقية.

لم يُكتب هذا الكتاب من لاهوتي إلى لاهوتيِّين، ولكن كَتَبَه كاهن راعٍ إلى رعيَّته، ومُحتوياته تتضمَّن كل ما هو روحِي وتعليمي، كما يمكن أن يقرأه عامَّة الشعب الأُرثوذكسي، ومُدرِّسو مدارِس الأحد، وخُدَّام الشباب، ورجال الدين، ويُمكِن استخدامه في ندوات الحوار الأرثوذكسِي، إنَّه نافع في كل الأَحوال.

نضرع إلى الروح القدس أن يستخدم نشر هذا الكتاب لينهض شوقنا إلى وديعة الحق الإلهي الذي لا يُثمَّن، والمُذَّخر في إيماننا الأُرثوذكسي.

coptic-books.blogspot.com

ما هو لزوم العقيدة والقانون؟

لسنوات متتالية كان سكَّان مدينة صغيرة في أوروبا يرشمون علامة الصليب كلما ساروا أمام حائط مُعيَّن في المدينة. تبع الأطفال والأحداث ببساطة عادة الشيوخ هذه رغم عدم وجود سبب واضح لهذا التقديس المُتَّبَع. ثم حدث أن تداعَى هذا الحائط في وقت ما، وبدأ العمَّال في رفع بعض طبقات من البياض الخارِجي للحائط، ويا للعجب! فقد وجدوا رسمًا رائعًا لأم الله وهي تحمل طفلها يسوع.

كان هذا الشيء الخفي هو الذي يحث على الاحترام الفوري لهذا الحائط رغم تغطية الرسومات لسنين هذا عددها. إن مغزى هذه القصَّة يمكن الاستفادة منه من نحو أمور كثيرة نحن نمارسها في الكنيسة، ومن ضمنها، وعلى سبيل المثال، أنَّنا نتلو قانون الإيمان كل يوم أحد في الكنيسة أثناء القدَّاس الإلهي. لماذا نتلوه؟ وماذا يعني هذا؟ وهل نفهم ونعي ما نقوله؟ وهل يُمكن أن نكون نحن أيضًا مثل هؤلاء القرويِّين الذين يُبجِّلون شيئاً دون أن يعرفوا ماذا يعنون أو لماذا يفعلون هكذا؟

إن القصد من هذا الكتاب هو أن نُحلِّل قانون الإيمان النيقاوِي كلمة كلمة لندرِك بماذا نُؤمِن كَمسيحيِّين أُرثوذكس.

في يوم ما، منذ سنوات مضَت سأل الفيلسوفُ توماس كارليل Thomas Carlyle صديقه الأسقف ويلبرفورس Wilberforce: ”هل لديكَ عقيدة؟“ فأجابه الأسقف: ”نعم لديَّ عقيدة، وكلما تقدَّمَتْ بي الأيام كلما زادت عقيدتي ثباتًا؛ ولكن يوجَد شيء واحد يُحيِّرني فيما يخص عقيدتي“ فسأله الفيلسوف:

coptic-books.blogspot.com

"ما هو هذا الشيء؟" أجابه الأسقف: "إنَّه التقدُّم البطيء جدًّا الذي تُحقِّقه هذه العقيدة في العالَم". ظلَّ الفيلسوف صامتًا لعدَّة ثوان، ثمَّ قال بهدوء وبجدِّيَّة: "ما دام لكَ عقيدة، فيجب عليكَ أن تتحمَّل الانتظار".

كان الأفضل لهذا الفيلسوف أن يقول: "إن كانت لكَ عقيدة **صحيحة**، عليكَ أن تتحمَّل الانتظار". ملايين من البَشَر هلكت أرواحهم، ليس بسبب أنَّهم ليست لهم عقيدة، ولكن بسبب أن لهم العقيدة الخطأ.

العقائد المُبكِّرة

الكلمة عقيدة مُشتقَّة مِن الكلمة اللاتينيَّة credo والتي تعني: "أُومِن". إن ما تُؤمِن به وتتَّخذه قاعدة لحياتك إنَّما يَكُون قانونك وعقيدتك. وكل إنسان – حتى المُلحد– له عقيدة، لأن كل شخص يُؤسِّس حياته على شيء ما. فمثلاً سارتر المُلحِد الوجودي، كان له عقيدته الخاصَّة به، وعبَّر عنها هكذا: "الحياة شيء سَخيف، الحُب أمر مُحال". هذه عقيدة المُلحِد!

كانت الشيماع Shema هي قانون وعقيدة العهد القديم: «*اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا ربّ واحِد.*» (تث ٦: ٤)

نحن أيضًا المسيحيِّين لنا عقيدة. كان لبعض المسيحيِّين الأوائل عقائدهم المكتوبة في الكتاب المقدَّس، فمثلاً نجد في إنجيل يوحنا: «*هكذا أحبّ الله العالَم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يُؤمِن به بل تكون له الحياة الأبديَّة*» (يو ٣: ١٦) هذه عقيدة. وعقيدة مسيحيَّة أُخرى مُبكِّرة جدًّا نجدها عدَّة مرات في الأسفار المُقدَّسة في تصريحٍ بسيط: «**يسوع رب**» (١كو ١٢: ٣)، (في ٢: ١١).

إن إعلان «**يسوع رب**» قد لا يعني شيئاً كثيراً بالنسبة لنا اليوم، أمَّا

coptic-books.blogspot.com

بالنسبة للمسيحيِّين الأوائل، فقد كانت الكلمة مُفعَمة بالمعاني. كان غالبيَّة الناس في الكنيسة الأُولى رومانيِّين وثنيِّين، وكانوا يقولون: "قيصر رب"، وعندما يقول المسيحيُّون: «يسوع رب»، فهذا يعني أنه يلزَم علـيهم أن يدفعوا حياتهم ثمنًا لهذه العقيدة، وفعلاً فإنَّهم فعلوا هكذا. إن الثمن الذي يدفعه الإنسان لأجل عقيدته مُكلِّف جدًّا.

اصطلاح أم شِعار

العقيدة والقانون المسيحي يُسمَّى أيضًا: "رمز Symbol الإيمان". يُطلَق على قانون الإيمان النيقاوي في اللُغة اليونانيَّة الحديثة: "To symbolon tis pisteos رمز الإيمان". والمُصطَلَح "رمز" إنَّما هو مُشتَق من كلمة تعني "شعار أو كلمة سر" والتي تُستخدَم في المُعسكَرات الحربيَّة. لذلك فقد كانت العقيدة أو الرمز أو القانون بالنسبة للمسيحيِّين الأوائل بمثابة كلمة سرّ أو شعاراً يُميِّزهم كمسيحيِّين.

كما يمكِن أيضًا تعريف العقيدة بمعنى خريطة، فالعقيدة والقانون بالنسبة للمؤمنين هما كالخريطة بالنسبة لعلم الجغرافيا. إن المكتشفين الأوائل الذين حطُّوا على شواطئ أمريكا الشماليَّة أحضروا معهم خرائط عن المناطِق التي سافروا خلالها... هكذا من خلال القرون اختَبَر البشر شيئًا عن الله، وعمَّا اختبروه فإنَّهم صاغوا قوانين بخصوصه، خرائط دينيَّة لإرشاد الأجيال الآتية.

كما قارَن آخَرون القانون والعقيدة المسيحيَّة كما لو كانا تعهُّداً وولاء، إنه نوعٌ من التلخيص لِما نُؤمِن به، وعندما نتلوه، فإنه يحوي معنى التعهُّد والولاء والإخلاص لله. إن كل ما سبق وقلناه فيما يخص كلمة قانون، أيًّا كان، قانون إيمان أو خريطة أو شعارًا أو عهدًا أو ولاءً، هذا ما

coptic-books.blogspot.com

نُؤمِن به. ولكن نأتي إلى السؤال:

كيف ظَهَرَت قوانين الإيمان المسيحي؟

أوَّلاً: كان يلزم أن يوجَد مُلخَّص قصير للإيمان الذي يجب على المعمَّدين أن يتعهَّدوا به. لقد كُتِبت عدَّة قوانين للإيمان المسيحي لتكون إقرارًا للإيمان للمُقبلين إلى العماد.

ثانيًا: كُتِبَت القوانين المُبكِّرة كما يذكُر القدِّيس أثناسيوس: "لتكون هادِيًا ضد الهرطقة". إنَّها كُتِبَت لتُقاوِم التعاليم الكاذبة. وكحقيقة لابد من ذكرها، فإن الهرطقات الكبيرة كانت هي التي دَعَت إلى الإسراع في كتابة قوانين الإيمان المُبكِّرة. إنَّها كُتِبَت كإجابة للتعاليم الخاطئة لأُولئك الذين اندسُّوا في الكنيسة الأُولى والذين حاولوا أن يُحرِّفوا حقائق المسيح.

توجَد عِدَّة قوانين في الكنيسة الأُولى ومن ضمنها قانون الرسل وقانون القدِّيس أثناسيوس. يرجع قانون الرسل إلى مُنتصف القرن الثاني، وبحسب التقليد فإن كل واحِد من الاثنى عشر رسولاً قدَّم فقرة من محتويات القانون، ومن ثمَّ كان الاسم "قانون الرسل". ومع أن هذا القانون ليس رسوليًّا في أصله، إلاَّ أنه يُعتَبَر رسوليًّا بصورة جازِمة من جهة مضمون تعاليمه. كما أن قانون أثناسيوس يرجع إلى القرن الخامس، وهو متأثِّر بوضوح بكتابات القدِّيس أثناسيوس. وهذان القانونان الرسولي والأثناسيوسي إنَّما كانا قد كُتِبا بواسطة كنائس محلِّيَّة لأجل أن يُتليا عند العماد كاعتِراف وكإقرار للإيمان للمُعمَّد.

وفي القرن الرابع قرَّرت الكنيسة أن تُكوِّن قانونًا واحدًا مُوحَّدًا وقانونيًّا للكنيسة الجامِعة، وعُرِف هذا القانون بالقانون النيقاوي

coptic-books.blogspot.com

القسطنطيني الذي نُصَّ عليه في المجمعين المسكونيَّين الأوَّل والثاني. وحقيقة أن القانون قد كُتِب والكنيسة مُجتمعة في مجمع مسكوني إنَّما يُوضِّح أن القانون ليس رأيًا شخصيًّا لأحد، كأن يُقال: "أنا مُلتَزِم بقانوني وأنتُم مُلتَزِمون بقانونكم". إن القانون النيقاوي ينطق بوضوح ويُعَبِّر عن مضمون الإيمان، ولهذا السبب فالمسيحيون الأوائل عندما كانوا يتلون قانون الإيمان النيقاوي لم يكونوا يقولون: "أومِن" وإنَّما يقولون: "نُؤمِن"، وبمعنى آخَر، فإنَّهم يقصدون أن يقولوا إن هذا ليس إيماني الشخصِي فقط ولكنه تعبير عن إيمان الكنيسة الجامعة المُشتَرَكَة.

إن هذا لا يعني أن هذا القانون المحدود يمكنه أن يقول كل شيء عن الله غير المحدود، ولكنه مجرَّد إلهام روحي مُعبَّر عنه بصياغة بشريَّة لتعيننا على فهم الله. إن القدِّيس بولس يدعو المسيح: «*عطَّية الله التي لا يُعبَّر عنها*». هذه العبارة تضع خطًّا تحت حقيقة أنَّه لا يمكن لقانون أن يمسك أو يشرح معنى المسيح الكُلِّي.

ومع ذلك، ونحن نعتَرف بمحدوديتنا، إلا أنه لا يمكن أن نظل صامتين عمَّا فعله الله لأجلنا. يلزم أن نُعلِن إيماننا مهما كان غَير واف. هذا ما حاوَلَت الكنيسة أن تعمله مِن خلال القانون. إننا نحتاج أن نعرِف بماذا نُؤمن، وبمن نُؤمن إن كنَّا نريد أن نحيا كمسيحيِّين.

لهذا أصبح لدينا قانون الإيمان النيقاوي الذي يمكن أن نصفه بأنه القانون المُلزِم العجيب للإيمان المسيحي المقبول إلى اليوم في غالبيَّة الكنائس المسيحيَّة كأعلى ما يُعبَّر به عن إيماننا، إذ منَ خلاله نسمع صدى أصوات الكُتُب المقدَّسة والشهداء الأوائل والقدِّيسين. حقًّا إنه إيمان يمكننا من خلاله أن نعيش.

coptic-books.blogspot.com

القوانين والأعمال

طبعًا المسيحيَّة شيء أكثر جدًّا من مجرَّد قانون، إنها عمل، إنها حياة تُعاش. إن هؤلاء الذين ينظرون بخفَّة إلى القوانين ويقولون: "ليست القوانين هي الهامة ولكن الأعمال"، يتناسون أن كل عمل يسبقه قانون. بسبب هذا صار القانون هامًّا، لأن ما نُؤمن به حقًّا، سوف يجد لنفسه في النهاية تعبيرًا في حياتنا.

نسمع أحيانًا أن أُناسًا يقولون: "لا يهم ما يُؤمن به الشخص ما دام هو مُخلصًا فيما يُؤمن به". هذا كلام ساذج للغاية، فإن هتلر كان مُخلصًا، مُخلصًا جدًّا فيما كان يُؤمن به، ولكن كان للأسف إيمانًا خاطئًا.

إن أغلب المتاعب الحادثة في العالم اليوم تتسبَّب من أشخاص لهم الاعتقاد الخاطيء، سيان كان هذا الاعتقاد هو الشيوعية أو المادية أو الإلحاد أو الدنياويَّة أو الانغماس في الملذَّات. إن كنا نحن المسيحيِّين نُؤمن أن لدينا الإيمان الصواب، فإنه يجب علينا بالضرورة أن نتعرَّف عليه بالأكثر، حتى يمكننا أن نُترجِم هذا الإيمان إلى أعمال، الأعمال التي تُؤدِّي إلى المعرفة، إلى الحب، إلى السلام في حياتنا الشخصية وفي العالم المحيط بنا.

إن القوانين والأعمال تسيران معًا. قال ذات يوم شخص يبحث عن الحق للفيلسوف باسكال: "لو كان لي إيمانك، لكان يمكنني أن أعيش حياتك"، فردَّ عليه بسكال بسرعة: "إن كنتَ تحيا حياتي، لابد أن تكون لكَ عقيدتي". إن نوع الحياة التي نعيشها متعلِّق تمامًا بنوع العقيدة التي نتبنَّاها، فالشخص الفاسق مثلاً يجد بالنسبة له أن يُؤمن بالإلحاد أفضل من أن يُؤمن بإله تهمّه السلوكيات ويعاقِب على الخطية.

coptic-books.blogspot.com

إن المشكلة العامة اليوم مع أغلب المسيحيِّين هي أنَّهم يَقبَلون المسيحية كعقيدة، ولكنهم يرفضونها كطريقة حياة. هذا ما حدا بالبعض من أقاربنا النورمانديين أن يقترحوا علينا أن نحث بعضًا من سكان جزر فيجي أن يُرسِلوا بعثات تبشيريَّة لنا. ولماذا بالذات سكان هذه الجزيرة؟ إنهم يعيشون في أكواخ وليس لديهم شيء من وسائل الراحة الحديثة المتوفرة لدينا، بل وقد كانوا منذ سنوات قليلة متوحِّشين من آكلي لحوم البشر، ولم يكن من غريب يأمن على وجوده وسطهم.

ولكن انظر إلى حالهم اليوم، لا يوجد على الأرض من هم مثلهم في النبل والحرارة والمحبة والصدق. إن دخلتَ يومًا كوخًا لهم فلا تندهش إن كنت تجدهم يدْعونك بحرارة لتأخذ ما يروق لك من خزائنهم بينما أنت غريب في وسطهم. كما لا تندهش إن كنتَ تجدهم يُغيِّرون الطريق الذاهبين فيه لأجل أن يساعدوك إذا ما وجدوكَ في أي احتياج. أمَّا بخصوص جرائم القتل وما إلى ذلك، فهذا أمر لا يُسمَع عنه بينهم على الإطلاق، مع أنهم كانوا منذ ثمانين سنة فقط من آكلي لحوم البشر.

ماذا حدث للفيجيين؟ ما هي المعجزة التي حوَّلت هؤلاء المتوحِّشين إلي شعب لطيف وصَديق وكأنهم صالحون بالفِطرة؟

نجد الإجابة في المسيح الذي بشَّر به المُرسَلون، ولكن الاختلاف العظيم الذي يُميِّزهم هو أنهم قبلوا المسيحيَّة لا كعقيدة فقط، بل وأيضًا كأسلوب للحياة.

وهذا هو الهدف الذي ترمي إليه العقيدة، هو أن تُترجَم إلى حياة.

coptic-books.blogspot.com

نص قانون الإيمان النيقاوي

نؤمن بإله واحد: الله الآب ضابط الكل، خالق السماء والأرض ما يُرى وما لا يُرى. نؤمن برب واحد يسوع المسيح: ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، هذا الذي به كان كل شيء، هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسَّد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس، وصُلب عنا على عهد بيلاطس، البنطي تألَّم وقُبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء. نعم نؤمن بالروح القدس: الرب المحيي، المنبثق من الآب، نسجد له ونمجِّده مع الآب والابن، الناطق في الأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدَّسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي آمين.

coptic-books.blogspot.com

أُومِن

قال طبيب أسنان ذات يوم لراعي كنيسة: ”إنه لا يفرق أن يكون الإنسان بوذيًّا أو مسلمًا أو مسيحيًّا فالكل سواء“. أجابه الراعي: ”ليس هكذا، فإن كنتَ بوذيًّا فلن يمكنك أن تكون طبيب أسنان“. فسأله الطبيب: ”لماذا؟“، أجابه الراعي: ”إن واحدة من معتقدات البوذيِّين الأساسيَّة هي عدم المبالاة بالألم، فإن كنت لا تبالِي بالآلام، فلن يمكنك أن تكون طبيب أسنان“.

إن ما يُؤمِن به الإنسان يتضمَّن أهم المعلومات عنه. إن مدير أي شركة أثناء إجراء أي مقابلة شخصيَّة للمرشَّحين الجدد لشركته، يعتبر أن أهم سؤال في الحوار هو: ”ما فلسفتك في الحياة؟“. إن ما نُؤمن به يحدِّد الطريقة التي سوف نعمل بها، وتتشكَّل بها حياتنا.

نظر طفل صغير إلى مجموعة من العجائز يجلسن على مقاعد شاطئ مقابل حمام سباحة. اقترب الطفل إلى إحداهن واستفسرها: ”معذرة يا أُمَّاه، هل تُؤمنين بالله؟“، أجابته: ”نعم“، ”هل تذهبين إلى الكنيسة كل يوم أحد؟“، أجابته: ”نعم“، ”هل تقرئين الكتاب المقدس كل يوم؟“، أجابته المرأة بنوع من الاندهاش: ”نعم“، إلاَّ أنه استرسل في السؤال: ”وهل تتلين صلواتك كل ليلة؟“، أجابته: ”نعم“، فقال لها الولد: ”إذًا من فضلِك خذي بالِك على هذا الربع دولار أثناء ذهابي للسباحة“. إذا كنا نستأمن أي شخص على شيء ثمين ذي قيمة، فهذا يدفعنا أن نعرف ما هو معتقده وما هي مبادئه.

coptic-books.blogspot.com

القبول العقلي يلزم أن يتبعه الوفاء والتعهُّد

عُمل منذ عدة سنوات تصويت في أمريكا أوضح أن ٩٥% من الأمريكان يُؤمنون بالله. هذا إحصاء باهر، وبناء على هذا الاستفتاء فإننا نتوقَّع أن نجد أُمَّة قديسين، ولكن هذا مختلف تمامًا! إن أشياء كثيرة من التي تُرى في بلادنا تدل على أي شيء إلاَّ الإيمان بالله، لذلك صار من اللازم أن نجد تعريفًا لكلمة:

"أومِن". إن كلمة الإيمان يمكن أن تعني أشياء كثيرة، قد تعني القبول العقلي لشيء، ولكن هذا له تأثير قليل على حياة الشخص، وعلى سبيل المثال، فإن أدولف أيخمان Adolf Eichmann الذي حُكم عليه منذ فترة قريبة بالإعدام بسبب الجرائم الفظَّة التي ارتكبها يقول إنه يؤمن بالله، والقديس يعقوب يكتب ويقول إن الشياطين يؤمنون بوجود الله، إن إيمانهم إنما هو قبول عقلي فقط ليس له تأثير على سلوكهم، فمع أنهم مؤمنون إلا أنهم لا زالوا يسلكون كشياطين.ومَثَل آخر واضح هو المدخنون: قد يقتنع الإنسان عقليًّا أن التدخين يؤدي إلى السرطان، ومع ذلك لا يُقلع عن التدخين. لا يزال إيمان المدخن في عقله فقط وليس في إرادته.

عندما نقول في قانون الإيمان النيقاوي: "أومن"، فإننا نقصد شيئًا أبعد بكثير عن القبول العقلي، إننا نقصد الوفاء والتعهُّد، ولهذا السبب فنحن نلحق بكلمة "أومن" حرف الجر "بـ أو في"،إنَّني أومن "بإله واحد".يوجد فرق بين من يقول: "أُصدِّقك – I believe you" وبين من يقول: "أضع ثقتي فيك I believe *in* you". إن الأخيرة تعني الثقة العميقة. إن قانون الإيمان يُعبِّر ليس فقط عن حقائق عن الله، ولكن أيضًا الثقة والتسليم والوفاء له.

coptic-books.blogspot.com

إن عبارة: ''أومن بإله واحد'' تعبير قوي عن الإيمان والثقة، إنه يختلف تمامًا عن التعبير: ''أفترض أنه يوجد إله'' و ''أظن'' و ''أُخمن'' و ''أميل إلى الرأي أنه من المحتمل جدًّا أن يوجد إله''. إن ''أُومن'' تعني الوفاء والتعهد، إنها تعني المراهنة بالحياة وليس فقط الإيماء بالرأس. إنها تعني القرار وليس فقط المناقشة. إنها تعني ''أراهن على حياتي كلها، وجودي كله على حقيقة الله، وأسلمه حياتي بالتمام، وأتعهد أن أطيعه وأن أتبعه في جميع ما أعمل''. إن لم نكن نعني هذه الأشياء ونحن نتلو قانون الإيمان، فمن الأفضل أن نكون أُمناء ولا نقوله أبدًا!

مُلقين كل الحِمل على يسوع:

كان مُبشِّر في أفريقيا يقوم بترجمة إنجيل يوحنا إلى واحدة من اللهجات الأفريقية، ولكنه اكتشف أنه لا توجد كلمة مقابلة لكلمة: "أُومن" في اللهجة التي يُترجِم إليها بالذات. وبعد أيام قليلة أتى إلى هذه القرية رسول وهو في غاية التعب، هذا بعد أن جرى بين الأشجار الكثيفة لمدة عدة ساعات، وبعد أن أبلغ الرسالة التي يحملها فورًا ألقى بنفسه على الأرض وهو خائر القُوى، وبعد ذلك فإنه نطق بكلمة لم يسمعها المبشِّر من قبل، وعندما سأل عما تعنيه هذه الكلمة، قيل له إنها تعني: ''قد ألقيتُ كل ثقلي هنا'' وكان يقصد أنه استراح بعد أن أبلغ الرسالة، وكانت هذه هي بالضبط الكلمة التي كان المبشِّر يبحث عنها، وقام بترجمة الكلمة: ''أومن'' مستخدمًا الكلمة الجديدة التي نطقها الرسول، والتي ترادف العبارة: ''أُلقي كل ثقلي هنا''.

أن تُؤمن، هذا يعني بالضبط أن يلقي الإنسان كل حمله على يسوع وليس أن يلقي جزءًا منه فقط. حدث يومًا أن اضطر فلاَّح في مهمَّة طارئة أن يطير إلى مدينة بعيدة، وكان هذا الفلاح يخاف ركوب الطائرات،

coptic-books.blogspot.com

وبعد أن وصلت الطائرة سُئل ما إذا كان قد استمتع برحلته هذه التي هي الأولى من نوعها بالنسبة له فقال: "أوه نعم، الرحلة جيِّدة جدًّا، ولكنني أقول لكم: إنني لم أُلْقِ بثقلي بالكامل على المقعد".

لم يكن يثق هذا الفلاح في الواقع أنه يمكن لهذه الطائرة العملاقة أن تحمل ثقله، لذلك فإنه جلس في وضع متوتِّر محاولاً أن يشاركها في حمل الثقل.

قد نبتسم بسبب ما عمله هذا الفلاح، ولكن أما يوجد كثيرون منا يفعلون هذا تمامًا؟ نمضي في الحياة متوترين لأننا نحاول أن نحمل بمفردنا ثقل مشاكلنا ومصاعبنا، إننا لا نثق بالرب ثقة كافية لنلقي بكل ثقل همومنا عليه ونجعل رجاءنا فيه.

"أومن بإله واحد، الله الآب، ضابط الكل.." يعني أنه ينبغي عليَّ ألاَّ أتردد إطلاقًا في أن أضع كل ثقل أحمالي في يدي أبي الذي هو ضابط الكل.

الإيمان ضرورة:

الإيمان ضرورة. حتى وإن كنا لا نُؤمن بالله، فلابد أن يكون لنا إيمان بآخرين، وإلاَّ لاستحالت الحياة. فمثلاً نحن نلقي أنفسنا بكل ثقة في يدي الجرّاح، إنه يرسلنا إلى المستشفى، إنه يحقننا بالمخدِّر ويفتح جسمنا وقد يقطع أجزاءً منه ثم يخيط مرة أخرى ما يلزم، وبعد هذا فإننا نشكره لأنه أنقذ حياتنا. كم منا يُمكنه أن يُسلِّم نفسه لله بنفس الطريقة وبنفس الإيمان؟

نحن نُسلِّم أموالنا للصراف ونثق فيه، نحن لا نستدعيه كل يوم لنسأله عن أخبار أموالنا. نحن نُسلِّم روشتة الطبيب إلى الصيدلي ونثق فيه، ولا نسأله عن شهاداته وكفاءته قبل أن يصرف لنا الروشتة، كذلك نحن لا نسأله أن يجرِّب أن يتناول الدواء أمامنا لنطمئن أنه ليس سامًّا!. نحن نُسلِّم حياتنا بين يدي قائد الطائرة أو سائق الأوتوبيس دون أن نسألهما أن يُريانا

coptic-books.blogspot.com

تراخيص القيادة وأن يُخبرانا عن سجلات الأمان التي لديهما. إننا نصعد المركبة ونجلس فقط، إننا نثق في السائق.

إن كنا لا نتردد في تسليم حياتنا إلى بشر مثلنا، سواء كانوا أطباء أو صيادلة أو صرَّافين أو سائقي أوتوبيسات أو قائدي طائرات، فكم يجب علينا بالأكثر أن نثق في خالقنا وفادينا، الذي بيَّن حبه على صليب الجلجثة. إذا كان من المريح لعقولنا أن نجد شخصًا يهتم بنا في بعض الأحيان، فكم يكون بالأكثر إن كان هذا الشخص الذي يهتم بنا على الدوام هو ربنا وإلهنا؟

أنا أُومِن

كثير من صلواتنا نتلوها بصيغة الجمع، مثل: «*أبانا الذي في السموات*» أما قانون الإيمان النيقاوي فيستخدم المفرد: "أنا أُومن" إن الغرض من استخدام المفرد هو دعوة كل واحد منا أن يسأل نفسه: "هل هذا حقًّا هو ما أُومن به؟" إنه قد يكون إيمان والدتي أو إيمان والدي أو إيمان كاهن كنيستي ولكنه ليس إيماني أنا. هل يمكنني أن أقول إن ضمير الملكية المفرد في قانون الإيمان النيقاوي والذي أتلوه كل يوم في عبادتي الخاصة وأتلوه في الكنيسة يخصّني أنا شخصيًّا؟ وإن لَمْ يكن، ففيم أُومن؟

أهم علاقة في الحياة:

يعتقد بعض الأطباء النفسانيين أن جو الظروف التي نعيش فيها التسعة أشهر في بطن أُمهاتنا والتي تسبق الميلاد هي التي تحدد هويَّة شخصيَّتنا. آخرون يدَّعون نفس الأهمية للسنوات الأولى القليلة بعد الولادة. إن أول كلمتين في قانون الإيمان: "الإيمان وضمير المتكلم أنا" إنما تُعبِّران عن إيماننا كمسيحيين. إن العامل الأكثر أهميَّة في حياة الإنسان ليس التسعة أشهر

coptic-books.blogspot.com

الأولى قبل الميلاد ولا السنوات الأولى بعد الميلاد، إنما العلاقة الشخصية للإنسان مع الله. مثل هذه العلاقة هي التي تحدد نصيب الإنسان الآن وإلى الأبد. إن هذه العلاقة الهامة جدًّا هي التي يُعبَّر عنها بالكلمات: "أنا أُومن". "أنا أُومن" ليس فقط بعقلي، وإنما أيضًا بكل إرادتي وبكل كياني. "أنا أُومن" بدرجة كافية لألقي كل حياتي مع آمالي ومخاوفي على يسوع.

"أُومِن" كخبر أم عن اختبار:

ذهب كاهن إلى الفيلسوف توماس كارليل Thomas Carlyle وسأله نصيحة كيف يمكنه أن يخدم شعبه أفضل خدمة. أجابه: "إن ما تحتاجه الرعية هو شخص يعرف الله شخصيًّا وليس كخبر، فعليك إذن أن تعرف الله شخصيًّا وأن تساعد شعبك أن يتعرفوا عليه".

كمٌّ كثيرٌ مما نؤمن به كمسيحيين إنما هو فقط كخبر وليس عن معرفة حقيقيَّة أو اقتناع أو خبْرة. إن قانون الإيمان - مثلاً - قد يكون مُعبِّرًا عن إيمان جيل آخر غير جيلنا، بعيدًا جدًا عنا، وهذا قد انتقل إلينا جيلاً بعد جيل. إنه من الخطر أن يصير لنا هذا الإيمان الرث القديم أو بقايا دين قديم مستعمَل! شيء يُؤمن به الناس دون أن يقتنعوا به حقيقة، شيء يكررونه بدون تفكير. إن الشخص العادي في هذه الأيام صار مشغولاً جدًّا حتى لم يعد له وقت ليكوِّن علاقة حميمة مع الله، ولهذا فهو يَقْبَلُ الله الذي أعده له مسبقًا أبوه أو أمه أو راعي كنيسته. قد يكون هذا كافيًا له في الأيام الطيبة، أما إن حدثت أزمة في حياته، فإنه يجد نفسه يتطلع إلى الله من خلال عيون الآخرين. إنه لم يكوِّن مفهومه الخاص عن الله، ولا يمكنه أن يتصل به (لم تتكوَّن علاقة بينه وبين الله).

وكمثال آخر يُوضِّح الإيمان الرث، أن شابًّا اعتاد أن يذهب إلى الكنيسة

coptic-books.blogspot.com

كل يوم أحد دون أن يتخلف عن ذلك، وفجأة تغيَّب الشاب تمامًا، وعندما ذهب إليه الراعي ليفتقده وسأله عن سبب غيابه، قال له إن والدته عندما كانت على قيد الحياة، كانت توقظ جميع أولادها كل يوم أحد وتحثهم أن يتركوا الفراش ليذهبوا إلى الكنيسة. إنهم كانوا يذهبون بسببها، ولمَّا ماتت تخلفوا عن الذهاب. في الحقيقة لم يكن إيمانهم إنما إيمان أُمهم هو الذي يدعوهم للذهاب إلى الكنيسة. مثل هؤلاء ديانتهم رثَّة، لذلك فقد ذبلت وماتت، لم تكن بسبب اقتناع أو اختبار إنما كخبر أو رواية.

يُقال إنه لا يوجد شيء حقيقي إلى أن يتوطَّن. السرطان مثلاً لا يمكن أن يكون حقيقيًّا إلاَّ بعد أن يتوطن داخل الخلايا، هكذا بالمثل بالنسبة لله، لا يكون حقيقيًّا بالنسبة لنا إلى أن يتوطَّن الله داخلنا، إلى أن نختبر حضوره الشخصي في حياتنا.

يا سيِّد، هل أعرفك حقًّا؟

يكتب راهب من الكنيسة الشرقيَّة ويقول: "فَرَضَ يسوع على بطرس الذي أعلن بصوت عالٍ جريء اعترافه بالمسيح ألاَّ يتكلم عن هذا السر جهارًا" (مت ١٦: ٢٠). يلزم لكل إنسان أن يكتشف لنفسه بنفسه سرّ يسوع، حتى ولو عرفنا من الآخرين مَن هو يسوع، وحتى لو خُوِّل لآخرين أن يُعلِّمونا هذا. يجب من خلال الخبرة الشخصيَّة فقط أن نأتي إلى اختبار معرفة من هو يسوع، وماذا يكون.

مِن بين جميع النفوس التي آمنت، والتي تعيش حياة مقدسة وصالحة، نتساءل: "هل هذه النفوس تعرف المخلِّص، إلى هذه الدرجة من الأُلفة والدفء والعلاقة الحميمة، مثلما يحب الرجل زوجته ويعرف كلاهما الآخر..؟ إن عديدًا من الأفكار والعقائد المكتسبة (والحقيقية منها) فيما

coptic-books.blogspot.com

يخص المخلّص يلزم أن تُستبدل بمعرفة شخصيَّة وقويَّة له، وإلاَّ لأصبحت عائقًا ساترًا بيننا وبين يسوع. يا سيِّد، هل أعرفك حقًّا، أم أعرف فقط ما قرأته وما سمعته عنك؟".

أن نعرف الله:

عَرَف بولس الرسول يسوع بالاختبار، وقد عبَّر عن إيمانه الشخصي بكلمة وضمير: "عرفه" هذا القول الذي كان يستخدمه كثيرًا، وعندما أزعجته الخطية وهاجمته من كل جهة قال: «*لأنني عالِم بمن آمنت، وموقِن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم*» (٢تي ١: ١٢)، وعندما واجهته المصاعب قال: «*نعلم أن جميع الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله*» (رو ٨: ٢٨)، وعندما يقترب منه الموت نجده يقول: «*لأننا نعلم أنه إن نُقض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد، أبديٌّ*» (٢كو ٥: ١). إن إيمان القديس بولس ليس هو مجرَّد قبول لحقائق إيمان معيَّنة عن يسوع، ولكنه يعرف يسوع شخصيًّا بالاختبار.

إن الكلمة اليونانية التي تُترجَم إلى العربية: "أعرفه" يُفهَم من معناها ضمنيًّا المعرفة العقلية، أما الكلمة العبريَّة المرادفة للكلمة العربية: "أعرفه" فهي تتضمَّن أيضًا المعرفة من خلال الخبرة الشخصيَّة، إنها تعني اختبار خاص لنفس الشخص، وكمثال لذلك، فإننا نقرأ في سفر التكوين ٤: ١ (*وعرف آدم امرأته، فحبلت وولدت قايين*). أن يعرف شخص امرأة، فهذا يعني في اللغة العبرية أن يختبرها بطريقة خصوصيَّة وشخصيَّة جدًّا بدفء وحب وأُلفة فائقة. إن نفس هذه الكلمة في العبرية والمترجمة في العربية إلى: "لأعرفه"، تُستخدَم أيضًا في العلاقة مع الله. أن تعرف الله فهذا يعني أن تختبره بأقصى درجة من الأُلفة والحب والدفء والعلاقة الشخصية.

coptic-books.blogspot.com

لماذا لم تحاول الأناجيل أن تُبرهِن على وجود الله؟

لا يوجد في الكتاب المقدس موضع يجهَد فيه الكاتب أن يبرهن على وجود الله. لقد بلغ إلى هذه الدرجة من الواقعيَّة التي يصبح فيها إثبات وجود الله كأنه يشبه إثبات وجود زوجة لرجُل متزوج، إن الله يُعرَف بالاختبار والإحساس بحضوره اليومي في الحياة.

بيلاطس:

نقرأ في إنجيل يوحنا (١٨: ٣٣ - ٣٤): «*ثم دخل بيلاطس مرة ثانية إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود؟ أجابه يسوع: أمِن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني؟*» إن معرفة بيلاطس ليسوع هنا هي معرفة عن خبر وليست معرفة عن يقين أو اقتناع.

المرأة السامريَّة:

عندما عادت المرأة السامرية إلى قريتها بعد أن تقابلت مع يسوع عند البئر، فإنها أخبرت أهلها وقالت: «*تعالوا انظروا إنسانًا قال لي كل ما فعلتُ، ألعل هذا هو المسيح؟*» (يو ٤: ٢٤)، ثم إن أهل القرية دعوا يسوع ليمكث معهم، وهذا ما عمله بالفعل إذ مكث عندهم يومين، وهؤلاء بعد أن نالوا معرفتهم الشخصية ليسوع قالوا للمرأة السامريَّة: «*إننا لسنا بعد بسبب كلامك نُؤمن، لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلِّص العالَم*» (يو٤: ٤٢). لم يُؤمن أهل السامرة بيسوع بالخبر والرواية وإنما بالاختبار واليقين. يقول أيوب الصدِّيق: «*بسمع الأذن قد سمعتُ عنكَ، والآن رأتكَ عيني*» (٤٢: ٥).

هكذا نحن أيضًا يمكننا أن نعرف يسوع بالخبرة حتى نستطيع أن نقول لأُولئك الذين يُعلِّموننا الإيمان الأرثوذكسي، سواء كانوا معلِّمي مدارس

coptic-books.blogspot.com

الأحد أو الوالدين أو الآخرين: "إنني أُومن ليس بسبب ما علّمتموني إياه عن يسوع، ولكن لأنني سمعتُه بنفسي وأعرف أنه يمكنه أن يخلّص العالَم. لقد اكتشفتُ أنه ليس شخصًا ما عاش منذ ألفَي عام ثم أُخِذ إلى السماء، إنني اختبرتُ حضوره في حياتي، وأعرف أنه يحبني، واختبرتُ قوة قيامته، لأنه أقامني من الشك والخوف إلى الإيمان، ومن الإثم إلى الغفران، ومن اليأس إلى الرجاء، ومن الموت إلى الحياة. إنني أعلم أنه حقيقة، ورسالتي هي أن أُبلّغ رفقائي عنه (ليختبروه هم بأنفسهم)".

الشهادة بالخبر:

الشهادة بالرواية أمر لا يُؤخذ به أبدًا في ساحة القضاء، ولكن الشهادة التي يُعتدُّ بها هي التي تُحَسُّ باليد، أو تكون بشهادة العين، وإلاَّ فإن هذه الشهادة تُرفَض. لابد للشاهد أن يقول: "هذا سمعته بنفسي وهذا رأيته بعيني".

الشهادة برؤيا العين:

إن حقائق الإيمان المسيحي قد سُلّمت لنا من خلال شهود عيان هُم الرسل، إنهم لم يتلقنوا الإيمان عن طريق وسيط. يكتب القديس يوحنا في رسالته الأُولى ويقول: «*الذي سمعناه .. الذي رأيناه بعيوننا .. ولمسته أيدينا .. هذا نخبركم به*» (١يو ١: ١ - ٣). كما يكتب القديس بطرس: «*لأننا لم نتبع خرافات مُصنَّعة .. إذ كُنَّا معه على الجبل المقدَّس.. رأيته .. سمعته*» (انظر٢بط ١: ١٦ - ١٨). كان للرسل معرفة مباشرة من المصدر الأصلي، من يسوع، بدون واسطة. ونحن المسيحيين قد آمنا بشهادتهم التي برؤيا العين، وننتظر اختبارنا الشخصي بيسوع.

coptic-books.blogspot.com

الإيمان يأتي بطرق متنوعة:

يمكن أن نحصل على الإيمان من خلال طرق متنوِّعة. قد يأتي الإيمان من التجربة أو من الملاحظة أو من البرهان. اثنان يضافان إلى اثنين فتكون النتيجة أربعة، وهذا يمكن توضيحه بأن نضع تفاحتين على تفاحتين. كما يمكن أن يُدرك الإيمان بالعقل كالهندسة وعِلم المثلثات. كما يمكن أن يأتي الإيمان عن طريق قبول أمر موثوق به، فالعلم يخبرنا أن سرعة الضوء ١٨٦ ألف ميل في الثانية، ونحن نقبل هذا من خلال الوثوق بالعلم. كما توجَد حقائق متعدِّدة في العلم كما في الدين نحن نقبلها من خلال الثقات (أي أُناس نثق في كلامهم) وأيضًا يمكن أن يأتي الإيمان عن طريق شهادة قوم نثق فيهم، فمثلاً لا يمكننا أن نثبت المعركة الهائلة التي حدثت في سالاميس، ولكننا نقبلها من خلال شهادة المؤرخين. وأخيرًا فإن الإيمان يمكن أن يأتي عن طريق الخبرة، الاختبار شيء لا يمكن لأحد أن يتناقش فيه، فمن خلال التجربة لا يحتاج الإنسان أن يقول: "لقد سمعتُ أن هذا هكذا"، ولكن يمكنه أن يقول: "إنني أعرف شخصيًّا أن هذا حقيقي لأنني جرَّبته بنفسي".

كيف؟

السؤال الكبير هو: "كيف؟"، كيف يمكن للإنسان أن يختبر الله في حياته؟ تأتي الإجابة من خلال تسليم الحياة والتنازل عنها تمامًا ليسوع، بالتكلم معه يوميًا بالصلاة لنوال عطيَّة الروح القدس، بالاتجاه إليه لأخذ المشورة والقوة، بالقراءة اليومية في كتابه الشخصي الذي يكلمنا يسوع منه، بنواله في سرّ التناول، واختبار حضوره الشخصي في القداس الإلهي.

يحكي ابن أحد الكهنة ويقول: "كان أبي كاهنًا وكنتُ دائمًا في الكنيسة وأعيش في جوانبها، ومع ذلك فلم أشعر أبدًا أن لحياتي الروحية

coptic-books.blogspot.com

قوة أو اتجاهًا حقيقيًّا، إلى أن حضرتُ مؤتمرًا روحيًّا أسلمتُ بعده كل حياتي ليسوع المسيح وكرَّستها له، كان إيماني قبل هذا المؤتمر شيئًا موروثًا، أما الآن وبعد لقائي الحقيقي مع يسوع، فقد أصبحت علاقتي معه حيَّة، شخصية وقوية. هذا تمامًا هو الفرق بين الإيمان الذي أقبله من الآخرين، وبين الإيمان الذي أصل إليه بنفسي".

يجب أن يكون إيمان كل مسيحي، ليس كرواية ولكن كخبرة حيَّة.

هل أومن؟

من لا يؤمن بالله نسميه ملحدًا، إلاَّ أن له أيضًا عقيدة، وعقيدته هي: "لا يوجَد إله".

سُئل قس: "لماذا يحدث أن بعضًا من هؤلاء الذين ندعوهم ملحدين تكون أخلاقهم جيِّدة؟"، فأجاب القس: "ولكن ليس لهم إله يسامحهم إن هم أخطأوا، ومَن منا لا يخطيء؟"

عندما سمع أسقف تَقِي أن عالِم الطبيعيات المشهور المُلحِد جون بوروجز John Burroughs قد مات، فإنه قال: "مسكينَ جون، إنه أحب البستان ولم يحب البستاني أبدًا".

عبَّر ملحد عن معضلة الإلحاد عندما قال لزميل له: "التصق به يا توم Tom"، فأجابه: "ولكن لا يوجد شيء ألتصق به!".

من أسباب الإلحاد:

(١) الكبرياء:

توجد أسباب كثيرة تقود الناس إلى الإلحاد، ومن ضمنها الكبرياء، الكبرياء العقلية التي لا يمكنها أن تقبل أي شيء لا يفهمه العقل. قد تكون

coptic-books.blogspot.com

كبرياء المعرفة الضحلة، يقول السير فرانسيس باكون Sir Francis Bacon: "إن رشفة من فنجال الفلسفة تؤدي إلى الإلحاد، ولكن شرب الفنجال كله يؤدي إلى التديُّن". قد تكون الكبرياء هي التي تجعل الإنسان يتخذ نفسه إلهًا لنفسه. يقول دستويفسكي Dostoievsky: "إن لم يوجد إله، نكون نحن الآلهة ونضع القوانين على أمزجتنا". إن الإنسان الذي يقيم نفسه إلهًا هو الذي يعمل مثل شيطان، وهو الذي يملأ الحياة بالرعب. إن كارل ماركس، شوبن هاور، نيتشه وآخرين، حارَبوا من أجل أن يمحوا فكرة أن وجود الله من عقل البشر، قالوا: "نحن آلهة"، وعليهم يردُّ دستويفسكي بسرعة: "إن كنا آلهة، فإن كل شيء يكون مُباحًا ولن يكون الإنسان مسئولاً أمام أحد عن أعماله". وحتى فولتير Voltaire تحقَّق من خطورة مثل هذا الفكر بينما كان يتناقش مع بعض أصدقائه في موضوع الإلحاد وقال لهم: "اسكتوا يا رفاقي حتى يمضي الخَدَم، لأنهم إن آمنوا بما تُؤمنون به (يقصد الإلحاد) فلن يكون لحياة أحد منَّا أمان".

(٢) أسباب عاطفيَّة:

وبعد الكبرياء، فإن كثيرًا من الإلحاد يعود إلى أسباب عاطفية. إن الطفل الذي يتمرَّد على الأب العنيف الذي يحاوِل أن يفرض الدين على أولاده، يصبح ملحدًا. اندفعت امرأة إلى مكتب قس لتقول له: "لا يوجد إله". علِم الراعي أن هذا الإلحاد قد نما داخل المرأة بعد أن طُرِد ابنها من الكنيسة. إن كثيرًا من الإلحاد هو عبارة عن رد فعل عاطفي من نفس نوع المرض العصبي.

(٣) أسباب أخلاقية:

يلي ما سبق أنه توجد أسباب أخلاقية تدفع البعض إلى الإلحاد. قال جُندي: "أنا سعيد لأنني ملحد، لو كنتُ مسيحيًّا لاضطررتُ أن أساعد

coptic-books.blogspot.com

المرضى". إن لم يوجَد إله، فلن نشغِل أنفسنا بتنفيذ أوامره أو وصاياه. قال ألدوس هوكسلي Aldous Huxley الملحد: "لو قبلتُ الإيمان لاضطررتُ لإصلاح طرقي لأحيا على مستوى أخلاقي أرقى، وهذا ما لا أُريد أن أعمله". إن يسوع قد عبَّر عن هذا بقوله: «*كل من يعمل السيِّئات يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلاَّ توبَّخ أعماله، وأمَّا من يفعل الحق فيُقبِل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة*» (يو ٣: ٢٠).

(٤) الإهمال:

وأخيرًا يوجد إلحاد نتيجة اللهو والإهمال. إن الله لا يكون موجودًا بالنسبة للبعض بسبب إهمالهم، أو بسبب أنهم لاهون تمامًا باهتمامات ومشاغل الحياة. مثل هؤلاء هم الذين يصفهم هالفورد لوكُك Halford Luccock في قصيدة صغيرة هزليَّة فيقول:

إن كانت أنفك قريبة من السطح الخشن لحجر الجلخ
وأنت تمسك بها هناك لمدة طويلة
ففي وقت سوف تقول إنه لا يوجد مثل هذا الشيء
مثل جداول المياه التي تهدِر والعصافير التي تُغرّد
وكل عالمك يتكون من هذه الأشياء الثلاثة:
أنتَ فقط والحجر وأنفك البالي.

هذه هي بعض أسباب الإلحاد: الكبرياء، رغبة الإنسان أن يعمل ما يريد دون تدخُّل أي شخص، التمرد الناتج عن أسباب عاطفيَّة، الإهمال والكسل.

(٥) التمرُّد على إله غير حقيقي:

ومع ذلك، فليست هذه هي كل الأسباب. يوجد بعض الملحدين يكون إلحادهم بسبب بعض أسباب جيدة، إنهم يتمردون ضد فكر خاطئ عن الإله

coptic-books.blogspot.com

الحقيقي، يتمردون ضد وجود إله يتعمد إرسال المرض والموت كعقاب على الخطايا، إن مثل هذا الإله غير موجود، إنهم يرفضونه. وكذلك هم يرفضون أيضًا إلهًا يُحرِّك الناس مثل قطع الشطرنج على اللوحة دون أن يترك لهم عمليًّا فرصة اتخاذ قرار بأنفسهم. هذا أيضًا إله غير موجود. كذلك الإله الذي يحكم باستبداد على البعض بالهلاك بينما يخلِّص آخرين، هذا أيضًا إله غير موجود. إن مثل هذا الصنف ينكره كثيرون من الملحدين، ونحن كذلك نوافقهم على هذا. إن إلهًا مثل هذا ليس هو الإله الذي نُؤمن به. جاء شخص إلى كاهن ذات يوم وقال له: "لقد فقدتُ إيماني"، فقال له الكاهن: "حسنًا! مثل هذا النوع من الإيمان يجب أن تفقده".

كان الشهداء المسيحيون الأوائل يُقابَلون بالهتافات: "إلى الأسود مع الملحدين". كان الجمع حقًا على صواب، فأُولئك المسيحيون الأوائل كانوا حقًا ملحدين، إنهم رفضوا أن يُؤمنوا بآلهة روما الكاذبة: فينوس، جوبيتر، باخوس وآخرين. إن كُنا نعبد يسوع على أنه الإله الحقيقي وحده، فنحن مدعوون لأن ننكِر الآلهة الأُخرى غير الحقيقية.

اُلبرهان على وجود الله:

يُخطيء الملحد إذا سأل عن دليل لوجود الله قبل أن يُؤمن. قال بول تليش Paul Tillich إن محاولة إثبات وجود الله هي تجديف، تمامًا مثل محاولة الملحد أن ينكر وجوده. لماذا؟ لسبب بسيط، وهو أننا لا يمكننا أن نشبِك الله بدبوس ونضعه على المنضدة في المعمل ونُشرِّحه مثلما نفعل بالضفدعة، إنه ليس بالغ الصغر هكذا، إنه الإله العظيم غير المحدود، ولكن إن أردنا أن نبرهن على وجود الله، فإنه يجب علينا أن نستخدم وسائل أُخرى: أدوات الإيمان والصلاة وتسليم الحياة له.

coptic-books.blogspot.com

بيِّناتٌ على وجود الله:

اخترعنا على طول الزمان حُججًا لنثبت أن موقف الملحد غير معقول، وعلى سبيل المثال فقد تناقشنا: "إن كان من المستحيل أن توجد ساعة دون أن يوجد ساعاتي يصنعها، فكيف يمكن أن يُنظَّم هذا الكون دون وجود سيِّد ينظِّمه؟ ثم كيف تكوَّنت جميع قوانين العالم دون وجود صانع لها؟ إن كان يلزم أن يوجد شخص ذكي جدًا ليصمم كمبيوتر، أما يلزم أن يوجد هذا الذكي ليخلق خلية مخ واحدة والتي هي أكثر تعقيدًا بما لا يُقارَن عن أعظم كمبيوتر معقَّد عرفه الإنسان؟ وإذا كان يلزم أن تتضافر كل القوى البشرية وتتكاتف لصنع قمر صناعي وإطلاقه في الفضاء الخارجي، أما يلزم وجود شخص ما فائق القدرة ليصنع ويحفظ في مدارات وأفلاكٍ الشمس والقمر وجميع أفلاك السماوات؟"

اعتنق الملحد س. إس. لويس C. S. Lewis المسيحية، ووصف الحُجَّة التي دفعته إلى الإيمان بقوله: "إن لم يوجد أحدٌ قد وضع تصميمًا للمخ بهدف أن يمكنه أن يفهم، فيكون المخ إذن مجرَّد ذرَّات داخل الجمجمة ترتِّب نفسها بطريقة ما لأسباب طبيعيَّة أو كيميائية وتُعطِي إحساسًا بالتفكير. ولكن إن لم يستطِع الإنسان أن يُصدِّق تفكيره الشخصي، فلا يوجد سبب له ليكون ملحدًا أو أي شيء آخر. إن لم أُومن أن الله هو الخالق الذكي للكون، فلن أُومن بالتفكير، وبالتالي فلن يمكنني على الإطلاق استخدام التفكير لأُومن بالله".

يكتب الدكتور لزلي د. وذرهد Dr. Leslie D. Weatherhead للعقول ذات الفكر العملي ويقول: "إنها عقلية غريبة جدًا تلك التي تتطلع إلى فوق إلى السماء وإلى النجوم، ومن أسفل إلى الزهور والنرجس، والتي يمكنها أن تصغي إلى اللحن الموسيقي لموسيقيٍّ بارع، أو تدرس هجرة

coptic-books.blogspot.com

الطيور، أو تنظر إلى وجه طِفل، أو تلاحظ السلام الغريب الذي غالبًا ما يملأ عيون الموتى؛ ثم تقول بعد ذلك إنه لا يوجد إله".

كتب رئيس الأساقفة وليام تمبل William Temple: "إن المسيحية أقامت المستشفيات، والملحدون يعالَجون فيها، دون أن يدروا أنهم مَدِينون بشفائهم للسيد المسيح".

يقارن النبي إشعياء الشخص الملحد بالمصنوع الذي يقول لصانعه: «*لَمْ تصنعني، وليس لك مِن فهم*» (إش ٢٩: ١٦).

إن جميع الحُجج التي اخترعناها نحن المسيحيين كدلالات على وجود الله هي ليست براهين كافية، هي فقط عونٌ للمؤمنين. لا يمكن لأحد أن يبرهن على وجود الله. إن أمكننا عمل هذا لنثبت وجوده فلا لزوم للإيمان. لا توجد حُجة عقلية مهما كانت صالحة، كافية لتهدي أي شخص إلى الإيمان إن لم يكن يرغب شخصيًّا في ذلك.

الإلحاد العملي:

عندما نتكلم عن الإلحاد، فإنه يتبادر إلى ذهننا للتو: "روسيا" (كُتب هذا الكتاب قبل اندحار الشيوعية) التي فلسفتها الرسمية هي الإلحاد. ولكن هل باقي العالَم أقل إلحادًا؟ إن فكرة محاربة الله نشطة جدًا في روسيا والصين. نحن في الغرب لا نحارِب الله، ولكننا نعمل شيئًا آخر، إننا نتجاهله. لقد صار الله نسيًا منسيًا في العمل وفي السياسة وفي الأُسرة. أن نتجاهل الله أمرٌ أخطر من أن ننكره. وبمعنى آخر، لقد صرنا ملحدين عمليين. نحن نقول إننا نُؤمن بالله، ولكننا نعيش كما لو كان الله غير موجود، وعلى سبيل المثال، فإن يهوذا عبَّر عن إلحاده عمليًّا من خلال عملية انتحاره. إنه أظهر أنه لا يُؤمن بإله غفور مُتسامِح. كم يحدث كثيرًا

coptic-books.blogspot.com

أن نتصرَّف كملحدين عمليين؟ إننا لا ننكر وجود الله، ولكننا نتمسَّك بأنه لا يمكنه إعادة تشكيلنا، لا يمكنه تغييرنا، لا يقدر أن يقيمنا من القبور التي حَبسْنا أنفسنا فيها. إننا نقول إنه لا يستطيع أن يعمل أي شيء لنا، إنه عاجز، كل شيء يعتمد علينا فقط. هذا هو الإلحاد العملي، أن نحيا ونعمل كما لو كان لا يوجد إله.

إن كنا نُؤمن بالله، ليتنا نُؤمن به ليس بشفاهنا فقط، ولكن أيضًا بقلوبنا وحياتنا. ليتنا نسلك كمُؤمنين حقيقيين، نثق بوجوده. نُؤمن به لا مثل مَن يريد أن يُبرهِن عليه مِن خلال التطلُّع من ميكروسكوب، ولكن بتسليمنا كل الحياة له، بإيمان.

"إنه الطريق للضال.

إنه الثوب للعريان.

إنه الخبز للجائع.

إنه الحرية للأسير.

إنه القوة للضعيف.

إنه الحياة للميت.

إنه الصحة للمريض.

إنه النظر للأعمى.

إنه الثروة للمحتاج.

إنه مسرَّة دائمة، وكنْزٌ لا يُسرَق".

جايلز فلتشر Giles Fletcher

coptic-books.blogspot.com

بإله واحد

يقول قانون الإيمان النيقاوي: "أُومن بإله واحد"، لا نُؤمن بآلهة كثيرين ولكن بإله واحد. وُضِع قانون الإيمان في القرن الرابع عندما كانت عبادة الآلهة الوثنية لا زالت موجودة، قَلَبَ المسيحيون الأوائل كل النظام الاجتماعي في أيامهم عندما رفضوا عبادة الأوثان، ورفضوا أن ينحنوا ويعبدوا حجرًا أو شخصًا كإله. كان يُطلب من كل مواطن روماني أن يحرق مقدارًا قليلاً من البخور مرَّة واحدة في السنة اعترافًا بألوهية قيصر، من يفعل هذا فهو يبرهن على أنه مواطن مخلص لروما، فالرومان شعبٌ متسامح جدًّا، ويمكن لأي مواطن بعد أن يحرق كمية ضئيلة من البخور على شرف قيصر ويقول: "قيصر رب"، يمكنه بعد ذلك أن يذهب ويعبد ما يشاء من الآلهة، ولكنَّ المسيحيين رفضوا هذا تمامًا، ولهذا فقد أُلقي بهم إلى السباع، إنهم رفضوا أن يقولوا عن أي إنسان إنه: "رب"، ولأجل هذا فإنهم قاسوا ثلاث مئة سنة من اضطهادات عنيفة، استُشهد خلالها أحد عشر مليون مسيحي رفضوا أيّ حلّ وَسَط بخصوص اعترافهم بإله واحد.

الإنسان مخلوقٌ عابد:

تنص الوصيَّة الأُولى من التوراة على: «*أنا الرب إلهك، لا يكُن لك آلهة أُخرى أمامي*». وحقيقة وضع هذه الوصيَّة على أول القائمة يدل على أهميتها. إن العدو الحقيقي للإيمان هو عبادة الأوثان، عبادة آلهة كاذبة. يحذرنا الكتاب المقدس للهروب منها كما من وبأ: «*لا تلتفتوا إلى الأوثان، وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم، أنا الرب إلهكم*» (لا ١٩: ٤)، ويقول القديس بولس للكورنثيين: «*لذلك يا أحبائي اهربوا من عبادة الأوثان*"، "*لا عبدة أوثان .. يرثون ملكوت الله*» (١كو ٦: ٩ و١٠). يُولِي

coptic-books.blogspot.com

الكتاب المقدس أهمية أكثر لعبادة الأوثان عن الإلحاد. إنه لا يهتم بالإلحاد لأنه لا يوجد إنسان ملحد حقيقة. كل إنسان - حتى الملحد - يؤمن بإله ما. الإنسان مخلوق للعبادة. الموضوع ليس هو أن الإنسان يعبُد أو لا يعبُد، لأنه سوف يعبُد، إن لم يكن الإله الحقيقي وحده، فسوف يعبد إلهًا كاذبًا. الإنسان مخلوق باحثٌ عن الله، والاختيار أمامه إمَّا العبادة الحقيقية أو عبادة الأوثان.

يكتب شارل ل . ألين Charles L. Allen: "إن الوصية الأولى مُستغرَبة لحدٍ ما، كنا نتوقع أن تكون: "عليك أن تؤمن بالله"، وصية مثل هذه هيَ ضد الإلحاد، ولكن لا توجد مثل هذه الوصية، لقد اهتم الله جيدًا بهذا عند خلقتنا. إننا لا نعلِّم المولود أن يجوع أو يعطش، إن الطبيعة تعلِّمه ذلك، ولكن يلزمنا أن ندرب أولادنا أن يُشبعوا جوعهم أو عطشهم بالأشياء الصحيحة..فالإنسان يمكنه أن يقلب غريزته الفطريَّة للعبادة، بأن يجعل لنفسه إلهًا غير حقيقي". ويقول الدكتور ر. م. برون R. M. Brown: "إن المشكلة ليست هي في (عدم وجود) الله أو (موت) الله، ولكن بالأحرى (تعدُّد) الآلهة. الناس ليسوا ملحدين ولكن لهم آلهة متعددة، يعطون ولاءهم الأخير إلى آلهة ليست هي الإله الحقيقي، وبهذه فإنهم يعبدون آلهة وأصنامًا يصنعونها لأنفسهم".

ما هو الوثن؟

الوثن أو الصنم هو أي شيء يأخذ مكان الله؛ أي شيء نعتمد عليه؛ أي شيء نضع فيه ثقتنا؛ أي شيء يَكون الأول في قلوبنا وأفكارنا. يقول مونتان Montaigne: "الإنسان هو بالتأكيد شخص مخبول تمامًا، فبينما لا يستطيع أن يخلق دودة، إذ بنا نراه يخلق لنفسه كمًّا من الآلهة". إن الصنم لا يكون فقط تمثالاً من الحجر عديم الحس منتظراً أن يعبده الناس،

coptic-books.blogspot.com

ولكن قد يكون أيضًا القوة أو المال أو الجنس أو الشهرة أو اللذة أو النجاح العالمي، يمكن للصنم أن يكون أشياء كثيرة. كان العالَم القديم مكتظًّا بالآلهة، كان الناس يعبدون الأحجار، الحيَّات، الشمس، النار، الرعد؛ أمَّا الآن فقد صارت لنا أصنامنا الخاصة، وواحد منها المال.

صار المال في العالم الآن على هذه الدرجة من الأهمية حتى صار نواله أو جمعه أو تكديسه دليلاً على القوة والفاعلية. لا يهم بأيّ طريق يُحصَل عليه ويكدَّس أكان من خلال العمل أو الحظ أو السرقة. الشيء الأساسي أصبح هو الحصول عليه. لم يعُد التقييم الأدبي الآن للشخص هو بمدى تكريسه لله ولأتباعه، إنما أصبح يُقيَّم بمقدار ما يحوزه من مال، بل وكثيرون منَّا ينظرون باستخفاف لمن لا يمتلكون كثيرًا منه، وينظرون إليهم أنهم في درجة أحط أدبيًا وأنهم مُتكاسِلون وضعفاء وغير جديرين أن يطلق عليهم أنهم بَشَر. عندما يكون المال صنمًا، يكون الفقر عاراً.

وقف رجل صيني مشهور منذ وقت قريب في واحدة من بيوتات الأموال في نيويورك وقال، بعد أن زار الكنائس ووجد نصفها خاويًا، وبعد ما رآه من الإعجاب والحماس الشديدَين في بورصة المال: "آه، هذه هي ديانتهم الحقيقية، هذا هو ما يهتمون به، هذا هو إلههم: المال!".

قال يسوع: «*لا تقدرون أن تخدموا الله والمال*» (مت ٦: ٢٤). إن كلمة مال Mammon يُقصد بها في اللغة العبرية الممتلكات المادية، وهذه بدورها مُشتقة من كلمة تعني: "يثق في، يعتمد على"، إن المال هو الشيء الذي تعهد به إلى البنك ليُحفظ فيه في أمان، ولكن بمرور السنين أصبح المال هو الشيء الذي نثق فيه ونحتفظ به، وأصبح الحرف الأول من كلمة مال يُكتب بالحروف الكبيرة M، لم يعد المال يُعتبر أنه أقل من إله.

coptic-books.blogspot.com

ليس المال فقط هو الإله الوحيد الذي نعبده، فكثيرون منَّا صاروا مثل قومٍ في أرض غريبة، وإن سُئلوا إن كانوا يؤمنون بالله لأجابوا على الفور: "بالتأكيد! ولكن أيّ إله هذا الذي تقصده؟" إن تعدُّد الآلهة لم يعد أمرًا يخص القدماء، فالآن يوجد في أمريكا بعض الناس يعبدون إلهًا واحدًا، إنه العمل، وآخرون يعبدون السياسة، وآخرون لهم إله واحد في الكنيسة، لذلك قيل لنا ألاَّ نخلط بين إله الدين وإله السياسة والعمل.

ومن ضمن الآلهة المتعددة التي تُعبَد في أمريكا يوجد إله النجاح، إله ننحني له ونعبده، وقد نكون مستعدِّين أن نُضحِّي بكل شيء لأجله، الأُسرة، المبادئ، وحتى الله نفسه.

توجد قصة لطيفة عن سيدة عجوز كانت ترشم نفسها بعلامة الصليب داخل الكنيسة وكذلك عند كل ذِكر لكلمة الشيطان، انتهرها القس وقال لها: "انتبهي، لا تعملي هكذا، ارشمي ذاتك عندما تسمعين فقط اسم يسوع، واحذري أن تعملي هذا عند ذِكر اسم الشيطان"، فأجابته المرأة: "إن مجامَلَة قليلة لن تكلفنا شيئًا، وبالإضافة إلى ذلك، فنحن لا نعلم في أيّ يد سوف نقع في النهاية". قد يكون هذا مطابقًا تمامًا لما يعيشه بعض الناس اليوم، يقولون إنهم يؤمنون بإله واحد، ولكنهم يُفضِّلون أيضًا أن تكون لهم علاقة طيِّبة ولو قليلة بآلهة أُخرى.

خطيَّة رئيسية:

بما أن عبادة الأوثان هي خطيَّة رئيسية، لذلك فإنها توضع في أول قائمة الوصايا العشر. أمَّا أفظع نوع من عبادة الأوثان فهو عبادة الذات، ووضع الذات في مركز الخليقة. إن آلهة الجنس والمال والقوة والكرامة والمركز إنَّما هي تعبيرات مختلفة لإله الذات. التديُّن الحقيقي يقول لنا إنَّنا

coptic-books.blogspot.com

مخلوقون لنخدم الله، ولكن عبادة الأوثان تقلب الموازين وتقول إن الله موجود ليخدم الإنسان، وعلى ذلك يستمر الإنسان في أن يخلق آلهة تخدمه، وكمثال، فإن الإنسان عندما أراد أن يسكَر، فإنه أقام لنفسه إله الخمر "باخوس" ليبتسم له بالموافقة عند سُكره، وعندما أراد الإنسان أن يحارِب، فإنه اتخذ لنفسه إله الحرب "مارس" ليقدّس له الحقد والانتقام، وعندما أراد أن يمارس الحب غير المقيَّد، فإنه اخترع إلهًا آخر هو "بعل"، ليمنحه الموافقة المضادة للطبيعة لممارسة الزنا. وهكذا فإن الإنسان يصنع لنفسه دائمًا آلهة لتخدم نزواتِه وأهواءه. هذه هي خطيَّة الإنسان الأساسية ضد الله.

الأصنام على المسرح العالمي:

صار للأوثان القديمة أسماء مختلفة في عالَم اليوم، ففي وقت الحرب العالمية الثانية كان إمبراطور اليابان يُؤلَّه، وكانت تُقدَّم له العبادة، إلاَّ أنه حدث في رسالة الإمبراطور الشهيرة للأُمَّة عبر الإذاعة يوم رأس السنة عام ١٩٤٦م أن أعلن الإمبراطور أنه ليس إلهًا، وكانت هذه واحدة من أهم الأمور بعد الحرب العالمية الثانية، وبهذا العمل فإن الإمبراطور حجَّم الموقف، وعادت اليابان إلى الحقيقة، ومن ثم بدأت علامات شفائها المدهش. وبالمثل كان ستالين صنمًا آخر، وشُيِّدت تماثيل هائلة لتعظيمه، وبلغ حجم واحد منها إلى درجة أن الأموال التي صُرفت على المواد اللازمة لتشييده كانت تكفي لبناء عشرة آلاف مسكن للمحتاجين، وبعد موته أمر الحزب الشيوعي إبادة هذا النصب، كما سُمح للمواطنين أن تنظر أقدام هذا الصنم المعمولة من الطين، والذي ذبح صاحبه ملايين من الفلاحين. إن نيتشه Nietzche قال إن الله ميِّت، ونادى بتأليه كل إنسان لنفسه، ودعا إلى صنم اسمه أدولف هتلر Adolf Hitler الذي أقحم

coptic-books.blogspot.com

العالَم في حمام من الدماء. إن الأصنام قد لعبت دورًا غير مرغوب فيه في تاريخنا الحديث.

لتسقُط الأوثان:

إن الآلهة الكاذبة تفشل في أن تُقنِع أو تُشبِع، وقد عبَّر إرميا النبي عن هذا بقوله: «*شعبي عمل شرَّين، تركوني أنا ينبوع الماء الحيَّة لينقروا لأنفسهم آبارًا آبارًا مُشققة لا تضبط ماء*» (إر٢: ١٣). إن الآبار المشققة هي الآلهة الكاذبة، إنها لا تجدي نفعًا، فهي لا تُشبِع ولا تُروي. عُمِلت دراسة حديثًا على مُجتَمَع شبه مُوَسَّر في الولايات المتحدة، وكان عنوانها: "المصيَدة المشقوقة المُوازية للأرض"، وسجّل البحث كيف أنَّ جُزءًا كبيرًا من سكان المجتمعات شبه المَدَنيَّة بعد الوصول إلى أهدافهم التي ظنُّوا أنها هامَّة، كيف أنَّهم وجدوا الحياة في جملتها فارغة جدًّا وغير مُحتملة. وهذا الشيء نفسه يحدث عندما نُملِّك على العرش المحفوظ لله شخصًا ما أو شيئًا ما، وهذا أمر غير لائق للمكان السامي، وهو يدفعنا إلى السقوط. علينا أن نتذكَّر ما حدث في نوفمبر ١٩٢٩م وأولئك الذين قفزوا من النوافذ عندما ماتت آلهتهم بانهيار سوق الأوراق المالية!

مشكلة الإنسان الرئيسية:

إن مشكلتنا الأساسية هي في أن نعرف ما الذي يجب أن نضعه في المرتبة الأولى في حياتنا، أين ولمن نحني الركب، ولأي شيء نعطي ولاءنا وإخلاصنا الكامل. إن جميع المشاكل تتضاءل أمام هذا الشيء، وإن لم يتقرَّر هذا الشيء ويترسَّخ فلا شيء سوف يتقرَّر. إنه من خلال هذه المشكلة الهامة جدًّا يتعامل الله معنا من خلال الوصية الأولى: «*أنا الرب إلهك ... لا يكن لك آلهة أخرى أمامي*». الجزء الأول من الوصية يكلمنا عن **علاقة الله بنا**: «*أنا الرب إلهك*»، **إلهك** الذي **خلقك، إلهك الذي**

coptic-books.blogspot.com

يعتني بك، إلهك الذي يحبك لدرجة أنه بذل ابنه الوحيد لأجلك. أمَّا الجزء الثاني من الوصية فهو يخبرنا عن مسئوليتنا تجاه الله: «*لا يكن لك آلهة أُخرى أمامي*»، وإن استجابتنا لله ولمبادرة حبه تعني تسليمنا الكامل له.

إن كلمات قانون الإيمان النيقاوي: "أُومن بإله واحد" إنما تحثنا على أن ننظر نظرة جيدة إلى حياتنا لنتمعن هل الله أم آلهة أُخرى هي التي لها الأولوية في حياتنا؟ من أو ما الذي سوف نُتوِّجه حقًّا بالأكاليل؟

يدعونا الله من خلال الإنجيل كله أن نمتلكه ملكًا خاصًّا لنا، وكذلك جميع عطاياه: غفرانه، حبه، سلامه، فرحه. ولكنَ لكي نعمل هذا، يجب أن نكمِّل شيئًا واحدًا: «*لا يكن لكَ آلهة أُخرى أمامي*».

coptic-books.blogspot.com

اللّه

يقول قانون الإيمان النيقاوي إننا نؤمن في "إله". مَن هو هذا "الإله" وماذا يشبه؟

كَتبت ذات مَرَّة فتاة صغيرة وقالت:

"سألتُ والدتي: اللّه ماذا يُشبه؟

فلم تعرف.

سألتُ مُدرِّستي: اللّه ماذا يُشبِه؟

فلم تعرف.

سألتُ والدي، الذي يعرف أكثر من أي إنسان آخر في كل العالَم: اللّه ماذا يُشبه؟

فلم يعرف.

فتفكَّرتُ في نفسي وقلت: إن طالَ عُمري مثل أبي وأمي، فقد أعرف شيئًا عن اللّه".

ماذا نعرف عن "اللّه" الذي نقول إننا نؤمن به؟

كان الراعي الإنجليزي ج. أ. شتودرت كينيدي G. A. Studdert Kennedy يهتم جدًّا بشعبه، وظلَّ يرعاهم بعناية خاصة إبان الحرب العالمية الأولى ولمدة ثلاث سنوات وظل يتتبعهم في آلامهم، في الوحل وفي الدم، وكان السؤال الكبير الذي يلاحقه أكثر من جميع الأسئلة هو: اللّه ماذا يشبه؟ ويتكلم الراعي عن جندي جريح سأله وهو مطروح في المستشفى: "إن ما أريد أن أعرفه يا أبي هو: اللّه ماذا يشبه، إنني عندما سوف أُرحَّل إلى كتيبة أُخرى فإنني أريد أن أسأل عن قائدها ومن يشبه، إنه رئيس الجماعة وقائدها، والوضع يختلف تمامًا بالنسبة لي عندما أعرف

coptic-books.blogspot.com

ما هي صفة هذا القائد ونوعه، إنني الآن في كتيبة بشرية في الجيش وأريد أن أعرف ماذا يشبه رئيس وقائد هذه الخليقة، إن هذا واجبك يـــا أبي، ويجب عليك أن تعرف الإجابة".

ليس في ساحة القتال فقط يُطرح هذا السؤال، ولكنه يُطرح على الدوام، وفي كل مكان يريد الناس أن يعرفوا طبيعة وصفة هذا الـــ "واحد" الـــذي يقف وراء العالَم، هذا الـــ "واحد" الذي «به نحيا ونتحرك ونوجَد».

ما نعتنقه عن الله أمرٌ هام:

إن ما يؤمن به شخص بخصوص الله ليس هو مجرَّد إيمانه الخاص كمـــا يظن البعض، لأن هذا يؤثِّر فينا كلنا نحن الذين نعيش معه في نفس العالم، وكمثال على ذلك، فإن ما اعتنقه البعض عن الله قد تسبب في أشـــرس الحروب ضراوة في العالم، وأولئك الذين كان "مولوك" هو إلههم، كانوا يلقون بأطفالهم في النار كي يسترضوا هذا الإله، والذين كانوا يؤمنـــون بالإلهة "كالي Kali" كانوا يشنقون الرجال على شرفها، لأنهم كـــانوا يظنون أنهم بهذا الفعل يسترضونها. يقول الأطباء النفسانيون اليوم: إن ما يعتنقه الإنسان عن الله هو أمر مُرتبط بالصحة العقلية والعاطفية للشخص، وما نعتنقه عن الله قد يريحنا ويعزِّينا أو يرعبنا ويزعجنا، وهـــذا بحســـب الصورة التي نتخيلها عن الله.

نحن نُلبِس الله مفاهيمنا التي كوَّنَّاها مسبقًا عنه:

من المهم جدًا، إذا ما تكلمنا عن الله، أن نحدِّد ماذا نقصـــد، وتمامًـــا مثلما عمل الجنود الرومان وألبسوا يسوع رداء قائد روماني، هكذا نُلبسه نحن اليوم كل ما نفترضه مسبقًا عنه، إننا نعمل الله على صورتنا. اكتشف "فرويد Freud" أن عددًا من مَرضاه كانوا يشعرون أن الله يعاقبـــهم،

coptic-books.blogspot.com

وكان العامل الأساسي في مرضهم هو الخوف من الله، وفي كل مرَّة كان فرويد يسأل مرضاه ماذا يقصدون بالله، كان يندهش من التشابه الـــذي يصفه هؤلاء المرضى بين إلههم وبين والديهم. كانت صورة الله عنـــدهم هي صورة والديهم، فإن كان والدهم طاغيًا، هكذا يكون إلههم، وهـــذا الذي اكتشفه فرويد كان عاملاً مساعدًا في مرضهم.

حقيقة، إنه يوجد إله واحد، ولكن توجد أفكار كثيرة عنه، فـــبعض الأشخاص لم يغيروا فكرتهم عن الله منذ الطفولة، إنهم قد عدَّلوا أفكارهم عن أشياء أخرى في الحياة، ولكن لا يزال الله بالنسبة لهم شخصًا ذا لحية طويلة، وجالسًا على كرسي من رخام في مكان ما فوق السحاب، وهو محاطٌ بجوقات من الملائكة يعزفون على القيثارات، أو قد يكون الله هـــو ضابط الشرطة المُوكَّل بالعالم، والجاسوس الأعظم الذي عيناه تجـــولان في كل مكان ينظر ويحدِّق ويبحث عن الأشياء الدنيئة التي يصنعها النـــاس ليعاقبهم عليها، أو قد يكون "سانتا كلوز Santa Claus" بابا نويـــل العالمي الشهير المُحمَّل بالهدايا، أو قد يكون أعظم مُهدِّئ أتى ليُخفِّف من "نرفزتنا" ويحفظ لنا ضغط الدم من الارتفاع، أو قد يكـــون الله هـــو الساكن في الطابق الأعلى لبيتنا وهو يحبنا ويَودُّنا جدًّا، كما قد يكون الله هو كاتب الحسابات السماوي الذي يقتفي آثار فضائلنا وتعدياتنا، ويومًا ما سوف يَزِنُ ما في الكتب، وقد نتصوَّر الله هو الولد الذي يوصِّل الناس إلى أماكنها في الفندق، الذي تدعوه فقط عندما تكون في ضيقة ثم تصرفه إلى حين الاحتياج الماسِّ إليه في مرَّة أخرى، كما قد يكون الله هو القاضي الغضوب الذي لا يمكنه أن يطيل أناته بل يصبُّ رجزه على الخطاة. هذه بعض مفردات قائمة الصور الكاذبة عن الله والتي تشغل بعـــض النـــاس، ولكن ليس الله هكذا!

coptic-books.blogspot.com

لا زال يوجد المزيد في القائمة، فقد يوجد أولئك الذين يتصورون الله أنه صغير لدرجة أنه يمكنهم وضعه في صندوق، تمامًا مثلما عمل الإسرائيليون قديمًا عندما وضعوه في التابوت، وحملوه كتعويذة لحظ سعيد، ويُفتَرَض أنه ينفِّذ مطالبهم، كما عليه أن يعمل بطريقة يمكن أنً يفهموها وأن تكون هي الأفضل لهم، وما يطلبوه يجب أن يكون نافذ المفعول، كأن يُقال: "سوف أومن به إن أوقف ألم أسناني" أو: "سوف نؤمن به إذا أعطانا مطرًا" أو: "إذا أوقف الفيضان" أو: "جعلني في صحَّة جيِّدة".إن ما يقوله هؤلاء إنما هو على الحقيقة يعني: "سوف أومن بالله فقط إذا ما ركَّب الكون أو أعاد ترتيبه على أساس احتياجي أنا وحسب حكمتي". وبكلمات أُخرى، إننا نريد أن نضع نحن الأحوال التي يجب على الله تنفيذها حتى نعترف بألوهيته، أَماَ نكون بهذا نحن أسيادًا لله؟!

كثير من هذه الأفكار الباطلة عن الله نشأت بسبب تربية الوالدين لأولادهم. يحكي كاهن عن امرأة كانت تخاف جدًّا من الله، واكتشف السبب، فعندما كانت طِفلة وكانت تحدث عاصفة رعدية، كانوا يقولون لها: هذه العاصفة حدثتَ لأن الله غاضب منكِ، وبالتالي كانت هذه المرأة تخاف جدًّا أثناء العواصف الرعدية لدرجة أنها كانت تختبئ وترنِّم المزامير حتى تُرضِي الله ويعفو عنها، وكذلك كان أهل هذه الطفلة يقولون لها في نهاية كل عام: إن الله غاضب منكِ جدًّا بسبب الأعمال الرديئة التي عملتِها خلال العام المنصرم، مما قد لا يجعل الله يسمح لكِ أن تعيشي سنة أُخرى، وهكذا أصبحت صورة الله لدى هذه المرأة: شخصًا يُخاف منه ولا يمكن أن يُوثَق فيه أو يُحَب.

انظر أيضًا إلى الوالدين الذين يقولون لأولادهم: "إن لم تكن ولدًا صالحًا، فإن والدتك لن تحبك"، والأردأ من هذا عندما يُقال: "إن لم تكن

coptic-books.blogspot.com

ولدًا صالحًا، فإن الله لن يحبك". مثل هؤلاء الوالدين يعطون أولادهم انطباعًا كاذبًا بأن الله يحبهم، فقط، عندما يكونون صالحين، وقد نسوا كم أَحبَّ الأب ابنه المخطئ في مَثَل الابن الضال، وكيف أنه وقع على عنقه وقبَّله واحتضنه عندما عاد إلى المنْزِل. عندما نجد اليوم شخصًا ما يسقط في تعديات أخلاقية، فإننا نجعله يشعر كما لو كان لم يَعُد ينتسب إلى الكنيسة، وبدلاً من أن نعكس له حُب الآب ونكون له مُحبِّين، مسامحين، ناصحين، متفاهمين، جماعة مُتقبِّلة له، ومُساعِدة له ليستعيد احترامه لنفسه، نجد أنفسنا نحن الذين داخل الكنيسة نرفضه، وهكذا نُعطي أُولئك الذين يسقطون أخلاقيًّا الانطباع أن الله لم يعد يحبهم وأنه قد رفضهم. لا نعجب إذًا مما يقوله برديييف Berdyaev: "إن ما يسميه الناس بنوع من الوثنية الله، ليس هو إلاَّ الشيطان وليس الله".

فكرة أُخرى كاذبة تمامًا عن الله هي أنه هو الذي يرسل لنا الأمراض والآلام في الطريق. إننا نتَّهمه في كل مرَّة نقول فيها: "إنها مشيئة الله" عندما يحدث لنا شيء رديء (ونادرًا ما نقول هذا عندما يحدث لنا شيء حسن!). تصوَّر معي الحال ونحن بكل أسى وانكسار قلب نتهم الله بسبب الآلام الناجمة عن السرطان أو أمراض القلب! كيف يمكن لأي شخص أن يثق في إله مثل هذا؟ إن يسوع قد برَّأ الله من هذا النوع من الاتهامات عندما قال عن المرأة التي كانت منحنية لمدة أعوام كثيرة إنه: «*ربطها الشيطان*» (لو ١٣: ١٦)، لم تكن إرادة الله وراء هذا المرض، ولكن كان وراءه الشيطان، بل وبولس الرسول نسب مرضه المزمِن إلى الشيطان. إن الشر قد يكون بسبب جهل الإنسان أو بسبب خطيته أو بسبب الشيطان، ولكنه ليس بالضرورة هو إرادة الله. إن الدموع التي ذرفها يسوع عند قبر لعازر تبيِّن لنا أن الله ينكسر قلبه للغاية بسبب آلامنا

coptic-books.blogspot.com

البشرية. كذلك نحن إن آمنَّا به للدرجة الكافية التي تجعلنا نأتي إليه بآلامنا، فإننا نصدِّق أنه يمكنه أن يُخرِج منها صلاحًا. وبخصوص هذا الموضوع يقول القديس بولس: «*إننا نعلم أن الله يعمل في كل الأشياء للخير للذين يحبونه*» (رو ٨: ٢٨)، ويقول إشعياء: «*في كلِّ ضيقهم تضايَق، وملاك حضرته خلَّصهم*» (إش ٦٣: ٩).

الله: شخصٌ أم شيءٌ؟

عندما يستخدم البعض الكلمة "الله"، فإنهم قد يقصدون شيئًا مثل "أصل الوجود" أو "قوَّة الحياة" أو "الكائن الأسمى"، كما لو كان الله ليس مُشخَّصًا إنما مُجرَّدًا. إنهم يتحاشون فكرة أن الله شخص، ويجعلونه شيئًا ما، ليس He ولكن It. إن الكتاب المقدس عندما يتكلم عن الله، فهو يستخدِم الصفة الشخصيَّة. يُصوِّر الكتاب المقدس الله كشخص يمكننا الاتصال به، شخص يخاطبنا ويمكننا أن نخاطبه. ولكن عليك أن تلاحظ أننا عندما نتكلم عن الله ونقول إنه مُشخَّص، فنحن لا نقصد أنه شخص مثلنا له ذراعان ورجلان ويدان..الخ، ونحن نقصد أنه مهما كان الله غير ذلك (وهو حقًّا أعظم جدًّا مما يمكن أن نتصور)، إلاَّ أنه على الأقل شخص يمكننا أن نُكوِّن علاقة شخصية معه، وحيث إنه لا يمكننا الاتصال بالحجارة ولكن بالأشخاص، لذلك فنحن نقول إن الله مُشَخَّص.

يسوع:

لو نظرنا إلى جميع الأفكار عن الله والتي وُجِدت خلال كل الدهور، فإننا نجد أنفسنا نتساءل: كيف يمكننا أن نعرف الله وماذا هو يشبه حقيقة؟ والإجابة هي: كيف يمكننا أن نخفق في ذلك؟ فمنذ أن أتى يسوع يعلِّم ويشفي ويغفر ويحِب ويذوق الموت لأجلنا، لم نعد بعد في ظلام عدم معرفة الله. إننا أصبحنا نعرف أن الله مِثل يسوع المسيح، وصار يسوع

coptic-books.blogspot.com

هو: ''أفضل صورة يمكننا على الإطلاق أن نأخذها عن الله''. إن يسوع فقط هو الوحيد الذي يملأ الكلمة ''الله'' بمعناها.

كتب القديس يوحنا: «*والكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا، .. مملوء نعمة وحقًّا، ورأينا مجده، مجدًا كما لوحيد من الآب*» (يو ١: ١٤).

وقال يسوع: «*أنا والآب واحد*» (يو ١٠: ٣٠)، «*من رآني فقد رأى الآب ... أنا في الآب والآب فيَّ*» (يو ١٤: ٩ و١١).

يسوع هو: «*صورة الله غير المنظور ... فيه سُرَّ أن يحل كل ملء الله*» (كو ١: ١٥ و١٩).

في يسوع نرى الله الحقيقي الوحيد، ولهذا السبب فنحن ندعوه: ''نور مِن نور''، ''إله حق من إله حق''.

توجد أفكار متعدِّدة عن الله، ومنها أنه: قاضٍ غاضب، سادي (الساديَّة هي التلذُّذ بالقسوة)، سوف ينْزِل بنا العذاب والألم والموت، Cosmic Bellboy أي الولد العالمي الذي معه الجرس ليوصِّل الناس إلى أماكنها، الرَجل العُلوي، جدٌّ هرِم، المدبِّر الأوَّل، قوة الحياة، غول كبير على غرار أب أو أم بلا رحمة.

كل هذه التصورات عن الله تصير غير حقيقيَّة بنظرة واحدة إلى يسوع، لأنه وحده، وليس آخر سواه، هو ''النموذج الكامِل'' لِما ينبغي أن يكون عليه الله. للإجابة عن ماذا يشبه الإله الحقيقي الوحيد، يجب أن ننظر إلى يسوع، ونستمر في التطلُّع إليه، حتى نأتي إلى الاعتقاد أنه لا يمكن أن يكون شيء حقيقي عن الله إلاَّ إذا كان في توافق تام مع صفات يسوع.

coptic-books.blogspot.com

يحكي فكتور هوجو Victor Hugo قصة عن الفتاة الصغيرة كوزت Cosette التي أُرسِلت في ليلة مظلمة لتجلب ماءً من ينبوع موجود داخل غابة كثيفة. كانت الغابة مرعبة. وأثناء عودة الفتاة سمعت خطوات ثقيلة خلفها، فهلعت الفتاة من الخوف إذ ظنَّت أن غولاً سوف ينقضّ عليها ليحطِّمها، وفجأة شعرت بيد قويَّة تأتي من أسفل وترفع دلو الماء. لم يكن هذا الشخص غولاً على الإطلاق، ولكنه صديقٌ عزيز هو الذي عاد بها إلى المنْزل. بنفس المغزى شَعَرَ الناس ولا يزال البعض يشعرون أن الله هو شخص ما مَهُوب مرعِب، ولكن عندما أتى يسوع إلينا، شَعَرَ الناس أن يسوع نَزل إلى أسفل ليرفع أحمالهم، وليتمشَّى معهم كصديق ومخلِّص.

يظن بعض الناس أن الله ضابط شُرطة يَقتفِي بلا هوادة أثر الهاربين المتهمين حتى يقبض عليهم ويقيِّدهم داخل أسوار السجن، ولكن بعيدًا عن هذا الظن تمامًا قال يسوع إن إلهنا مثل راعٍ يترك بقيَّة القطيع في الحظيرة ويذهب باحثًا عن خروف ضال واحد، وعندما يجده فإنه يُهدهده برفق على ذراعيه ويعود به إلى دفء وأمان القطيع. وَضَعَ الرسول يوحنا رأسه في حضن المخلص واكتشف أن: «*الله محبَّة*».

يمضي القانون النيقاوي خطوة أبعد في تعريفِه بالله الذي نؤمن به ويقول إنه **أب**.

coptic-books.blogspot.com

الآب

أثناء الحرب العالميَّة الأولى، أثناء معركة في فرنسا، حدث أن سقط جندي جريحًا في أحد الخنادق المفتوحة في وسط أرضٍ ليست ملكًا لأحد، وفجأة رأى وسط الظلام شبحًا قادمًا عليه فوقع به الخوف، ولم يعلم بالقادم المجهول ما إذا كان صديقًا أم عدُوًّا، فإن هَمَسَ الجندي "مَن هناك؟" فقد تكون الإجابة طلقة أو كلمة من صديق أو مجرَّد صمت.

يشعر كثيرون منا بمثل ما شعر به هذا الجندي. نحن نقف في ظلمة هذا العالَم مجروحين بتقلُّبات وهموم وصعوبات الحياة، ونشعر كالصارخين في الظلام "من هناك ؟ صديق أم عدو ؟ هل يوجد شخص هناك وراء النجوم ؟ هل يوجد شخص ما يعتني بي ولو قليلاً جدًّا وأنا في مشاكلي وهمومي".

تصرخ الأرملة الشابة التي فُقد زوجها في المعركة: "من هناك؟" يصرخ اليتيم: "من هناك؟" وهكذا أيضًا يصرخ أولئك الذين يبحثون عن معنى للحياة: "من هناك؟"

بعض إجابات:

"من هناك؟"، عشرات الألوف سألوا هذا السؤال، وتعالَت الإجابات بعد صمت، ومنها نشأت العقائد والإيمان والفلسفات والديانات التي اعتنقتها البشرية.

البعض عادوا بمذهب اللا أدريَّة (أي عدم كفاية العقل لفهم الوحي الإلهي)، هل يوجد أحد هناك؟ لا نعلم بالضبط، هكذا يقولون.

وآخرون عادوا بإلحاد مُرّ، لا أحد هناك، لا يوجد على الإطلاق،

coptic-books.blogspot.com

جميعنا يتامى في أرض قاحلة مروِّعة.

وآخرون عادوا بما يسمونه الدايزم deism (أي الاعتقاد بالله وحده وإنكار الوحي والأنظمة الدينيَّة) إله بعيد جدًّا، وأنه لا يهتم لدرجة أنه قد نسي العالَم، خَلَقَه مَرَّة ثم تركه وشأنه يدير نفسه.

وكذا حدَّق الناس في الظلام، وعادوا بإجابات مختلفة لهذا السؤال الكبير: ''مَنْ هناك؟'' تلك هي إجابات بعض الملحدين واللاأدريين والدايزم.

الإجابة:

وضد جميع محاولاتنا البشريَّة لإجابة هذا السؤال، تقف الإجابة التي أعطاها لنا الله في الكتاب المقدس، فالله أعلن من خلال موسى أنه يوجد إله واحد حقيقي، وبعد ذلك من خلال النبي عاموس نعلم أنه إله حق (عدل) يهتم بمتاعب الناس، ثم تلا ذلك ومن خلال نبي آخر هوشع أعلن الله ذاته أنه قادر أن يغفر الخطايا، وبعد قرون تالية عندما أتى يسوع، فقد أعطانا الإجابة الكاملة لهذا السؤال: "من هناك؟".

أب:

لقد علَّمنا يسوع أن نخاطب الله: ''أبانا''. يكتب ج. والاس هاملتون J.Wallas Hamilton: ''كانت الكلمة الكبيرة عن الله على لسان يسوع هي: «*الآب*». كانت هناك كلمات أخرى عن الله قبل مجيء يسوع: ''خالق، ملك، قاض، القادر على كل شيء، بل والبعض تجرَّأ في تلك الأيام أن يفكِّر أن القوة التي تعيد الحياة قد تكون مثل أب. يقول المرنِّم: «*كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه*» (مز ١٠٣: ١٣). لقد وَرَد في العهد القديم ستة تعبيرات غامضة عن هذا، ولكن تبقي البشرية مديونة إلى الأبد ليسوع الذي أخذ هذه الكلمة الغنيَّة بالرقَّة

coptic-books.blogspot.com

البشرية، والمألوفة جدًّا لدى كل إنسان (لأن كل شخص له أب) وجعلها النقطة التي تتجمَّع فيها كلمة السر للإيمان الجديد، والمفهوم الذي نصوغ فيه أفكارنا عن الله، كما علَّم الجنس البشري ذا اللسان المُتَلَعثِم أن يصلِّي بحرارة: «*أبانا الذي في السموات*»".

كانت كلمة: "أب" باستمرار على شفتيِّ يسوع. عندما وجده أبواه في الهيكل بعدما انفصل عنهم قال لهم: «*ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي* (العمل الذي يخص أبي)؟» (لو ٢: ٤٩). وعلى الصليب صلَّى: «*يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون*» (لو ٢٣: ٣٤)، وأيضًا: «*يا أبتاه في يديك أستودع روحي*» (لو ٢٣: ٤٦)، وعندما أراد أن يخبرنا بماذا يُشبَّه الله، فإنه أخذ كلمة: "أب" ونسج منها مثلاً لا يُنسى: «*إنسان كان له ابنان..*» (لو ١٥: ١١)، وعندما أراد أن يكشف لنا كم أن الله يعتني بنا قال: «*أم أي إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزًا يعطيه حجرًا؟ وإن سأله سمكة يعطيه حيَّة؟ فإذا كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيِّدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه*» (مت ٧: ٩ - ١١). لقد أخذ يسوع كلمة "أب" وأعطاها عمقًا ومحتوًى جديدًا.

لكن يسوع استخدم كلمة "أب" كتشبيه، فهو لا يقصد أنه يلزم أن تكون فكرتنا عن الله مبنيَّة على أساس فكرتنا عن أبينا الجسدي، لأن بعضًا من هؤلاء ظالم ومستبد، فيبدو أن يسوع يقول لنا: "خذ منتهى الحب ومنتهى الانتباه والاهتمام الذي يوليه الأب الجسدي البشري الصالح لأولاده، ثم ضاعف هذا الحب إلى ما لا نهاية، وعندئذ سوف يُمكنك أن تفهم شيئًا يسيرًا عن حب الله لأولاده".

coptic-books.blogspot.com

أبَّا:

استخدم يسوع كلمة أكثر قوة في محاولة تعريفنا الله، كلمة لم يجرؤ أحد أن يستخدمها مع الله من قبل، إنها كلمة: "أبَّا" (مر ١٤: ٣٦، رو ٨: ١٥، غل ٤: ٦). إن كلمة: "أبَّا" هي الاسم الذي كان ينادي به الطفل الصغير أباه في المنْزل أيام يسوع، وهي أكثر دالة عن كلمة: "أب"، ولا زالت هذه الكلمة: "يا أبَّا" مستخدَمة في اللغة العربية إلى الآن، ويمكن ترجمتها ببساطة إلى: "دادي أو داد أو بابا". إنها تعبِّر عن ألفة وجراءة وثقة وعدم الكُلفة للأطفال وهم يخاطبون آباءهم. هذه هي الكلمة التي استخدمها يسوع ليعبِّر عن أعماق الحب الذي لا يُسبَر غوره الموجود في علاقته بالآب. إن المسيح صلَّى في حديقة جثسيماني التي تألَّم فيها وقال: «*يا أبَّا الآب .. أجزِ عني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت*» (مر ١٤: ٣٦). أيُّ كلمة يمكنها أن تعبِّر وتفي بالمراد عن شعور الابن بمحبة أبيه أكثر من كلمة: "أبَّا"، هذه التي استخدمها يسوع، وهي بعينها التي يدعونا يسوع أن نستخدمها. إن الكلمة التي نستخدمها في الصلاة الربِّيَّة: "يا أبانا" هي المساوية لكلمة: "أبَّا". إنَّ يسوع خوَّل لنا أن نستخدم هذه الكلمة الحميمة جدًّا عندما نخاطب الله، كما وفي القداس الإلهي أيضًا نُعبِّر عن إدراكنا الكامل للامتياز العظيم أنَّنا نستطيع أن ندعو الله: "أبَّا" بأن نسبق الصلاة الربِّيَّة بالكلمات: ["بدالة" أن نقول: "أبانا"].

بأي حَق؟

بأي حق نجرؤ أن ندعو الله: "أبانا"؟ لا يوجد أي حق غير هذا، وهو أن الله بنفسه تكلَّم أولاً وعلَّمنا أن ندعوه: "أبَّا الآب". إنه ليس حقًّا نلناه بالميلاد البَشَري، ولكن بالميلاد المجيد بالمعموديَّة المقدَّسة، عندما وهبنا الله نعمة التبني كبنين وبنات له . نحن بالإيمان أبناء . يقول القديس بولس:

coptic-books.blogspot.com

«*أنتم جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع*»، ومع أنَّنا جميعًا أولاد الله بالخلقة، إلاَّ أننا أولاد الله بالاختيار، ولكن رغم ذلك فليس الجميع اختاروا أن يعترفوا بالله كأب، ويعيشوا في اتصال قريب منه. ليس الميلاد البَشرِي إذن هو الذي يجعلنا أولاداً وبنات حقيقيِّين لله، ولكنه الميلاد الجديد بالمعمودية والإيمان وتسليم الحياة للمسيح كرب.

أبٌ حقيقيٌّ:

يوجد رجال هم آباء لأولادهم، ولكنهم لم يكونوا على الإطلاق آباء بكيانهم كله لأولادهم. عندما يقضي الأب وقتًا مع ابنه، ويعطي نفسه لابنه، ويحبه، ويلعب معه، ويساعده في دراسته، ويمرِّنه، ويقوده؛ فهو لم يعد بعد مجرد أب لابن ما، ولكنه أيضًا أبٌ بكيانه كله لابنه. هذا بالضبط ما يريده الله أن يكون لنا إذا سمحنا له بذلك. إن الإيمان هو المفتاح الذي يفتح الباب ليجعل الله أبًا لنا.

المعجزة الكبرى:

الأعجوبة الكبرى والتي تفوق كل معجزة هي أن الله الكُلِّي الحكمة والقدرة، والذي يسود على هذا الكون هو: "أبونا".قد تكون قد سمعتَ عن القصة المشهورة التي حدثت منذ قرون مضت، عندما اقتحم فتى صغير صفوف الضباط واتجه مباشرة إلى مركبة الإمبراطور الذي كان عائدًا لتوه من رحلة بعيدة، اعترض هذا الفتى عدد من الحراس محاولين إيقافه قائلين: "احذر الإمبراطور!"، أمَّا هو فأجاب: "إنه إمبراطور لكم، ولكنه أبِي"، وفي لحظة صعد إلي المركبة الإمبراطورية في المكان اللائق به كابن للإمبراطور، والذي له الأحقية به.

مَن هو الله إذن؟ الخالق العظيم؟ نعم، ولكنه أكثر من هذا. خالِق

coptic-books.blogspot.com

العالمين؟ نعم ولكنه أكثر من هذا. الكُلّي القدرة، الكُلّي المعرفة، الخالق، القدُّوس، ذو الألوهة والربوبيَّة، نعم، ولكنه أكثر من هذا. إنه أبونا، إنه إله المحبة الذي ينظر إلينا من خلال عيون يسوع، الذي يُطهِّر البُرْص ويشفي المرضى ويعيد النظر للعميان ويسامح المرأة التي أُمسكت في ذات الفعل، الذي يغسل أرجل التلاميذ، والذي سفك دمه الثمين لأجل خلاصنا وأباد الموت بقيامته المجيدة.

معاني مُتضمَّنة عن أُبوَّة الله

إن اعترافنا بالله كأب له بعض المعاني المُتضمَّنة:

(١) يقول يسوع، ما دام الله هو أب، فهو يهتم بنشاط بأولاده. إن اهتماماتهم هي اهتماماته، حتى الأشياء العاديَّة كالملابس والطعام تهمه. إن المسيح لم يُعلِّم فقط بهذا الإيمان ولكنه أيضًا عاشه. هل تذكر الوقت الذي كان فيه المسيح نائمًا أثناء العاصفة؟ ما الذي جعله هادئًا حتى استطاع أن ينام أثناء العاصفة؟ ليس إلا لأنه كان يثق أن هذا البحر هو ملك لله، وأن الأمواج والزوابع والظلمة جميعها في يد الله والأذرع الأبدية من تحت. إن الثقة بأب يهتم بجديَّة باهتمامات أولاده هي التي تعطي السلام الداخلي والتوازن والاستقرار بأنه ليس شيء مما في الحياة يُقلِق.

(٢) يقول يسوع، مادام الله أبًا، فهو يعرف ويحب كل فرد بشخصه، وأنه لا يحب العائلة بجملتها فقط، بل كل طِفل وفرد فيها على الخصوص: «*حتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة*» (مت ١٠: ٣٠)، «*يكون فرح أمام ملائكة الله بخاطيء واحد يتوب*» (لو ١٥: ١٠)، وحتى حينما كانت الجموع تحتشد حول يسوع، كانت النفس الواحدة هي التي تستحوذ اهتمامه، فمن جميع المطروحين على بِركة بيت حسدا ذهب يسوع مباشرة إلى النفس الوحيدة البائسة والتي انتظرت باطلاً لمدة ٣٨

coptic-books.blogspot.com

سنة دون أن تجد شخصًا واحدًا يكتَرث بها (يو ٥: ٢). وعندما اقتـــرب موكب الدفن الحزين إلى باب مدينة نايين، لم يتكلم يسوع إلا مع الأرملة التي كانت تبكي وحيدها المفقود (لو ٧: ١١). كذلك من بين الجَمـــع الكبير المحتشد في أريحا، اختار المسيح شخصًا واحدًا - زكا - ليكـــون ضيفًا عنده (لو ١٩: ١). لا نعجـــب إذن عنـــدما نســـمع القـــديس أوغسطينوس يقول عن محبة الله: "إنه يحب كل واحد منا كما لو لم يكن يوجَد إلا واحدًا فقط ليُحَب".

(٣) وما دام الله أبًا، فإنه يلزم النظر إلى الخطيَّة من خلال ضوء جديد. لم تعد الخطية كسرًا لوصيَّة مجرَّدة، ولكنها بالأحرى هي كسر لقلب أب، إنها خطية ضد حبه لنا، إنها كسر لعلاقة بين أب وابن. ولكـــي يُرسِّـــخ يسوع هذا الدرس في أعماقنا حكى لنا قصة الابن الضال. لقد بلغ به أن مات على الصليب ليوضِّح لنا كم أن الخطية تَكسر قلب الله وتَصلب محبته.

(٤) وحيث إن الله أب، فإنه يستمر في حبه لنا حتى لو أدرنا ظهورنا له بالخطية وعدم الطاعة. تحكي قصة عن ابن مُخزٍ لعائلته أنه ذات ليلـــة انسلَّ الأب وهو بقلب كسير إلى حجرة نوم ابنه، فوجد الهـــواء معبَّـــأً برائحة أدخنة الخمر، ووجد أُم الفتى راكعة بجوار سريره وهي تلاطـــف ابنها بشعرها وتُقبِّل جبينه وتعانقه وتربُت على وجنتيه وتُقبِّلـــه، وكـــان الأب ينظر دموعها، فلما أبصرته قالت له: "لم يعطني ابني فرصة لأُظهـــر حبِّي له وهو مُتيقِّظ". هذه صورة من المحبة التي يحبنا الله بها، هذه صورة صغيرة عن كيف يحبنا أبونا السماوي: «*ونحن بعد خطاة مات المســـيح لأجلنا*» (رو٥: ٨). هل الابن العاصي المتمرِّد يستحق أن يمـــوت أحـــد لأجله؟ كانت إجابة الله هي يسوع على الصليب يموت لأجل الخطـــاة، فبينما كان الابن الضال بعيدًا جدًا رآه أبوه فجرى.. ووقع على عنقه وقبَّله.

coptic-books.blogspot.com

بهذا النمط يحب الله أولاده وبناته الخطاة، وبهذه الصورة ينتظر عودتهم.

(٥) وحيث إن الله أب، فكيف إذن يكون قاضيًا؟ نحن نُفكِّر عن القاضي في المعتاد أنه مُؤدِّب صارم، أمَّا بالنسبة لله كقاضٍ فالأمر يختلف - لأنه أب. إن الله نوع غريب من القضاة، حقيقة هو يدينا، ولكنه في الأوَّل هو أب، ويحكم ويقضي كما يحكم ويقضي الأب.

(٦) وبما أن الله أب، فيجب أن يُنظر إلى الموت من خلال ضوء جديد. إن كان لنا أب فسيكون لنا طبعًا منْزِلٌ، منْزِلٌ أبديٌّ. إن كان لنا أب، فلن تكون نهاية الإنسان حفرة في الأرض ولكن منْزلاً في السماء. عندما نقول: "أُومن بإله واحد الله ضابط الكل"، فنحن إنَّما نتكلم عن أب ينتظرنا أن نعود إلى المنْزل إليه، وساعة موتنا يمكننا أن نقول لمن حولنا: «*أنا أمضي إلى أبي*» (يو ١٦: ١٠). وعندما نأخذ نَفَسَنَا الأخير نستطيع أن نقول مع يسوع: «*يا أبي، في يديك أستودع روحي*» (لو ٢٣: ٤٦). إن كان الله أبانا، فالموت هو طريقنا إلى المنْزِل.

(٧) وحيث إن الله أب، فيجب أن نُعدّ وأن نعوِّد أنفسنا على الثقة به حتى عندما لا نفهم بعض الأمور التي تحدُث لنا. يجب أن نثق فيه لأننا نعرف أنه أبونا. يمكننا أن نثق فيه لأننا رأينا حبه على الصليب. لذلك، حتى في الآلام نحن نثق أن الحياة تعمل على تحقيق هدفه لأجلنا. لن يمكن أبدًا أن نعي تمامًا طرق الله أكثر من شخص يمشي بخطى قصيرة قلقة، ووالده جرَّاح، ولكنه يفهم لماذا يُخدِّر أبوه المرضى ليفقدوا الإحساس، ويضعهم على منضدة الجراحة ويُعالج أوجاعهم بالمشرط. قد لا نقدر أن نفهم طرق الرب تمامًا، ولكن لأننا نعلم أنه أبونا، يمكننا أن نثق فيه تمامًا.

(٨) بما أن الله أبونا، فنحن جميعًا متَّصلين ببعض. أيًّا كان لوننا أسود

coptic-books.blogspot.com

أو أصفر أو أحمر، فنحن جميعًا إخوة أو أخوات، أولاد لنفس الإله الأب. حدث أن رئيسًا هنديًّا هَرِمًا كان يسمع مبشِّرًا يعظ عن أُبوَّة الله، وبعد العظة سأل الرئيسُ الواعظَ: "هل ما أسمعه صحيحٌ أن الله "أبونا"؟". أجابه الواعظ: "نعم". فسأله: "وهل هو أبي أيضًا؟". فأجابه "نعم". وعندئذ أضاء وجه الرئيس بشعاع بهج وديع وقال كما لو كان شخصًا قد اكتشف شيئًا جديدًا: "إذن أنتَ وأنا إخوة!". يلزم لبعض منا الذين يَدْعون الله "أبانا" أن يصلوا إلى هذا الاكتشاف. نحن نريد أُبُوَّة دون أُخُوَّة. نحن نريد أن نكون أولادًا لله دون أن نكون إخوة لأبنائه الآخرين. إذا كان هذا حقًّا ما نريده، فيجب أن نكُف عن أن ندعو الله "أبانا". ليس لأحد الحق في استخدام كلمات يسوع "أبانا" إن لم يكن مستعدًا أن يعامل جميع الناس في كل مكان كأعضاء لنفس العائلة ويقول عنهم: "هذا الرجل مثلي الله أبوه، وهو أيضًا ابنٌ لله".

هل الله حقيقي أم تصوُّري؟

ظنّ "سيجموند فرويد Sigmund Freud" أن الله الآب هو مجرَّد صورة اخترعها الإنسان ليُشبِع احتياجه الشديد إلى شخص يرنو إليه ويعتمد عليه، وقال حيث إنه يوجد آباء بشريين عديدين ليسوا جيِّدين ولا يمكن الاعتماد عليهم، لذلك فقد خَلَقَ الإنسان أبًا أعلى أو أكثر تفوُّقًا ليُشبِع رغبات نفسه المُلحَّة. وبكلمات أُخرى، فإن الله الآب لا يوجَد إلاَّ في أفكار أولئك الذين أوجدوه لأنفسهم.

حسنًا، إن كان كلام فرويد صحيحًا، فنحن نكون جميعًا يتامى في هذا العالَم، عاجزين وضحايا لآلاف الميتات، مصروعين لأقدار لا نفهمها. وإن كان هذا صحيحًا، فإن أولاد فرويد الروحيين، أي الأطباء النفسانيين سوف يكونون مشغولين جدًّا، وبدقَّة، ما دام بعض الناس قد فقدوا إيمانهم بالله

coptic-books.blogspot.com

الآب، فإنهم لن يجدوا معنًى للحياة. حقًّا إن فرويد على صواب، فالإنسان يحتاج فعلاً إلى أب فائق، إلى شخصٍ ما يحبه ويهتم بالتفاصيل اللانهائية لحياته، شخصٍ يمكننا أن نثق فيه، شخصٍ يمكننا أن نعود إليه عند وقت الحاجة، شخصٍ يدين ويحكم، لكن يدين ويحكم كما يحكم الأب ويقضي، شخصٍ في أُبوَّته الشاملة نكون مرتبطين به كبنين وبنات. نحن نحتاج إلى هذا الأب، بل ونحن له، إننا لم نخترعه، ولكن الرب يسوع أعلنه لنا، وعلَّمنا أن نخاطبه بعاطفة شديدة: «*يا أبا الآب*».

فإذا نظرنا إلى العالَم حولنا نتساءل: "مَن هناك؟"، نجد الملحدون يقولون: "لا أحد"، ويقول اللاأدريون: "لا نعلم"، ويقول المؤمنون بالربوبيَّة دون الإيمان بالأديان Deist: "حاكم بعيد جدًّا لا يكترث بنا فيما بعد"، ويقول فرويد: "أب فائق تصوُّري"، أما يسوع الإله والذي يعرف جيِّدًا يقول: «*أبانا*»، أب: «*هكذا أحب العالَم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يُؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة*» (يو ٣: ١٦).

coptic-books.blogspot.com

ضابط الكل

يصف القانون النيقاوي الله أنه: "ضابط الكل". حقيقةً إنه لا يمكننا أن نقول شيئًا كثيرًا عن الله الذي لا نعرفه من قبل، ولكن إن كان حقًّا هو الله، فلابد أن يكون هو: "ضابط الكل - الكُلِّي القُدرة - القادر على كل شيء".

إن الأيقونة التي تُعبِّر جيدًا عن قوة الله القادر على كل شيء هي أيقونة البانطوكراتور التي تُطِلُّ من القُبَّة في مُعظَم الكنائس الأرثوذكسية. إنها أكبر الأيقونات على الإطلاق وأكثرها تأثيرًا، إنها تهيمن على كل المبنى. تتكون الصورة من شكل عظيم للمسيح محاط بدائرة متعدِّدة الألوان أو قوس قُزح الذي يُقال إنه يحيط بعرش الله. إن صورة المسيح بأكملها: وجهه، رقبته، ذراعيه، الهالة الهائلة حول رأسه، الطريقة المهيبة التي يبدو فيها وهو يمسك الكتاب المقدَّس بيسراه ويبارك بيمناه، كل هذه تُعبِّر عن قوَّته وجلاله. إنها تعبير مرئي عن الله ضابط الكل القادر على كل شيء، الذي سوف يسود في النهاية، الذي هو الألف والياء، البداية والنهاية، الذي يجلس متوَّجًا ويحكم العالم، الذي بقيامته المجيدة وطئ الخطية والموت والألم، وهو يملك منتصرًا، هذا الذي الله الآب: «*أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوَّة وسيادة وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبَل أيضًا، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأسًا فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده، مِلء الذي يملأ الكل في الكل*» (أف ١: ٢٠ - ٢٣).

coptic-books.blogspot.com

قادر على كل شيء في الطبيعة:

يميط العلم اللثام كل يوم عن قوَّة الله القادر على كل شيء في الطبيعة. وعلى سبيل المثال القوة الهائلة الموجودة في الذرَّة. إنه يوجَد في فنجال واحد من الماء البارد طاقة كافية لتدفع سفينة لتعبر المحيط الأطلنطي، وحُسِب أن الأرض تستقبل عِشرين جزءاً من المليون من واحد في المائة فقط من طاقة الشمس، ومع ذلك فإن هذه الكميَّة الضئيلة جدًّا من طاقة الشمس (مع أن هذه الشمس هي مجرَّد واحدة من بليون تريليون نجم مشابه لها) هي كافية لأن تجعل هناك إمكانية للحياة والدفء والطعام والضوء. مَن هذا الذي وضع كل هذه القوَّة في الطبيعة؟ إنه ليس إلاَّ ضابط الكل الذي يقول عنه القانون النيقاوي: "خالق السماء والأرض".إنه بلا شك أكبر وأقوى بلا حدود عن العالَم الذي خلقه.

قادر على كل شيء في الكتاب المقدَّس:

ليست الطبيعة فقط هي التي تتكلم عن عظمة وقوَّة وقدرة الله، بل الكتاب المقدَّس أيضًا، فنقرأ في الكتاب المقدَّس في المزمور١٠٤:

«باركي يا نفسى الرب! يا إلهي قد عظمت جدًّا .. الباسط السماوات كشقَّة .. الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة الريح .. تَصعد إلى الجبال، تنْزل إلى البقاع إلى الموضع الذي أسَّسته لها.. المُفجِّر عيونًا في الأودية، بين الجبال تَجرِي، تسقي كل حيوان البَر .. الساقي الجبال مِن علاليه، مِن ثمر أعمالك تشبع الأرض، المُنبِت عشبًا للبهائم، وخضرة لخدمة الإنسان .. صنع القمر للمواقيت، الشمس تعرف مغرِبها .. ما أعظم أعمالك يا رب، كلها بحكمة صَنعتَ» (مز ١٠٤: ١ - ٢٤).

بهذا الجمال يُفخِّم المزمِّر في العهد القديم قوَّة الله الفائقة.

coptic-books.blogspot.com

أمَّا في العهد الجديد، فإن الرب يسوع بنفسه يُظهِر قوَّة الله بقـــدرة لم يُظهرها أحد قبله قط. إنه شفى عشرة بُرص، أعطى النظر للعُميان، طرد الأرواح الشريرة، أقام المخلَّع، هدَّأ العاصفة الثائرة، أشبع خمســـة آلاف بقليل من الخبز، أقام لعازر من الموت بعد أن أنتن. هنا نرى أيضًا أن إلـــه المحبة والرحمة يُظهر أيضًا أنه الكُلِّي القدرة، المالك المطلَق لكل قـــوَّة. وفي الحقيقة، فإنه بدون هذا الشعور الأوَّلي لقوَّة الله، فإن صفات الله الأُخرى من محبة ورحمة قد تبدو أنها صُوَر من الضعف.

لا يُؤكِّد الكتاب المقدَّس عظمة الله وقوَّته ليجعل الإنسان يشعر بضآلته وتفاهته وعدم أهميَّته، بل العكس، فإن عظمة الله وقوَّته إنما هي مُقامة لأجل احتياجات الإنسان. إنها لا تَدَع للإنسان أن يقول: "إن كان الله عظيمًـــا هكذا، فأنا بالضرورة كالدودة بالنسبة له"، ولكن على العكس تســـاعده على القول: "إن كان الله عظيمًا هكذا، فهو قادر أن يساعدني ويحميني".

هذا الفكر نجده في الأصحاح الأربعين لإشعياء النبي الـــذي يقول فيـــه: «*مَن كالَ بكفِّه المياه، وقاس السماوات بالشِّبر، وكـــالَ بالكيـــل تـــراب الأرض، ووزن الجبال بالقبَّان والآكام بالميزان؟*» (إش٤٠: ١٢). هنا قـــوَّة الله. ولكن يسبق هـــذا العدد القول: «*كراعٍ يرعى قطيعه ، بذراعه يجمـــع الحملان، وفي حضنه يحملها، ويقود المُرضعات* » (١١) . هـــذه الـــقوَّة العظيمة إنما هـــي بيد راعٍ محب! ثم ينتهي كـــل الأصحاح بالآية: «*وأمَّـــا منتظرو الرب فيجدِّدون قوَّة، يرفعون أجنحـــة كالنســـور، يركضـــون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون*» (٣١). هذه القوَّة الهائلـــة وطاقـــة الله الجبـــارة موجودتان ليس لكي تُصغِّر الإنسان ، وإنَّما لتُعزِّزه . إنها تحـــت تصـــرُّف أولئك المؤمنين به . هذا هو الإيمان الذي نُعبِّر عنه عنـــدما نعتـــرف بـــالله: "ضابط الكل".

coptic-books.blogspot.com

الله هو الذي يُحدُّ نفْسه

عبارة: "ضابط الكل"، التي تُطلَق على الله تعني بالتحديد أنه كُلّي القدرة، له كل القوَّة بلا حدود، أمَّا إذا كانت هناك حدود لِما يمكن أن يفعله الله، فهذه الحدود يلزَم أن يفرضها الله بنفسه وليس شخص آخر، وإلاَّ فلا يمكن أن يكون كُلّي القدرة. اختار الله بإرادته أن يضع بعض الحدود على نفسه لما يفعله أو لِما لا يفعله، فمثلاً يمكن لله أن يصنع شيئًا سخيفاً إذا شاء، ولَكنه اختار ألاَّ يفعل ذلك، كما أنه اختار أن يُحدّ قوَّته غير المحدودة بحكمته. إن الله كُلّي القدرة، ولكنه أيضًا أبونا، أبٌ محدودٌ بأبوته، فمع أن أي أب مهما كانت القوَّة التي في يده، فلابد أن يكبح هذه القوَّة، وينتظر وينتظر على ابنه أن ينمو ويتعلَّم بنفسه حتى ولو كان على حساب أخطاء مرعبة يفعلها وتكسر قلب أبيه. الله لم يخلقنا كدُمي، إنه خلقنا أشخاصًا، وأعطانا مُطلق الحرية، الله لن يفرض نفسه علينا، إنه اختار أن يحتَرم حريَّة اختيارنا، لذلك ليتنا لا نصلّي صلوات خالية من الحكمة كما نفعل أحيانًا ونسأل أسئلة بلا فطنة مثل: لماذا لا يوقف الله الحروب؟. إن الله لم يبدأ بالحروب، إنه الإنسان، وهو أيضًا الذي يستطيع أن يوقفها. الله اختار أن يضع حدًّا لقوته، إنه يرفض أن يتدخل ويحرِّك عصا سحرية وقتما يدعوه الإنسان. إنه اختار أن يعاملنا كبنين وليس كعبيد أو دُميً.

أبٌ ضابط الكل:

إن قانون الإيمان يضع اللفظتين: "الآب" و"ضابط الكل" معًا، ليرينا أن الله الكُلّي المحبة هو نفسه الكُلّي القدرة. هذا يعني أن محبة الله مسنودة بقوَّته. إنها ليست محبة ضعيفة وجدانية، إنها مُعضَّدة كما بأعظم قوَّة في الوجود. إنه حبٌّ لن يُهزَم، قد يُؤجَّل ولكنه في النهاية سوف يسود.

coptic-books.blogspot.com

كما أن اللفظتين: "الآب ضابط الكل" ترينا أيضًا أن قوَّة الله العظيمة سوف تُستخدَم أيضًا في محبة، لن تُستخدَم لتُؤذي أو تُخرِّب أو تهدم. إن الله العظيم الذي يمسك بالكواكب في يده ويتمشَّى في الفضاء هو نفس الإله الذي يعتني بك وبي، الذي قال: «*حتى شعور رؤوسنا كلها مُحصاة ومعروفة لديه، وإن عصفورًا واحدًا صغيرًا لا يسقط على الأرض دون علمه*». إنه نفس الإله الذي أخذ منشفة وغسل أرجل تلاميذه، لذلك فأن يكون الله ضابط الكل، فهذا يعني بالنسبة ليسوع: أن يخدم في محبة.

يقول روبرت برونينج Robert Browning إن وضوح قوَّة الله ظاهرة في كل شيء: في الإعصار، في الفيضان، ولكن حبه ليس هكذا، حب الله يحتاج إلى برهان، أمَّا بالنسبة لنا كمسيحيين فهذا الكلام هراء. ليس هناك وضوح لمحبة الله بعد الصليب. نظرة واحدة على الصليب كافية لتبيِّن لنا كم أن محبة الله ضابط الكل عميقة.

فكلمة ضابط الكل، كلي القدرة، تعني إذن أننا نؤمن ليس بإله ضعيف خامل ولكن نؤمن بإله كل الأشياء ممكنة عنده. هذا يعني أنه إن كانت لدينا مشاكل، فلا ينبغي أن تثبط همَّتنا، ذلك لأننا نؤمن بإله كبير بدرجة تحوي كل مصاعبنا وكل احتياجنا ووجع قلبنا. لا حدَّ إطلاقًا لقدرته وقوَّته. إنه إله قادر قدير، قادر أن يعتني بكل احتياجاتنا، قادر كما يقول القديس بولس: «*أن يفعل أكثر جدًّا ممَّا نطلب أو نفتكر*» (أف٣: ٢٠-٢١). إن قوَّته اليوم حقيقيّة كما كانت يوم أن أتاه البرص ليطهروا. إنه ليس فقط له القوَّة، ولكنه أيضًا يعطي القوَّة، فالضعيف الذي بلا رجاء لا يعود فيما بعد يائسًا: «*منتظرو الرب يجدِّدون قوَّة.. يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون*». هذا الكلام قاله شخص اختبر شخصيًّا قوَّة الله. إنه إشعياء النبي.

coptic-books.blogspot.com

تحدَّث شخص حضر اجتماعًا لسكِّيرين مجهولي الهويَّة، وكان يسمعهم يتكلمون عن الاستحواذ المرعب الذي يعمله الكحول معهم، حتى يحطِّم حياتهم وأعمالهم وأسرهم. مِن ضمن ما تأثر به كانت الجملة التي كان يسمعها مرَّات كثيرة: "أنا سكِّير"، وعندما سأل لماذا يستخدمون العبارة في الزمن المضارع بدلاً مِن: "أنا كنت سكِّيرًا" في الماضي، أجابه أحد الأعضاء: "في كل يوم أَعترف بأنني سكِّير، فالتجربة تراودني، ولكن إن كنت أعترف بذلك ثم أحاول أن أكون رزينًا ومنتبهًا مرة واحدة في اليوم، فإنني أتمكن من إخضاعها، ولم أكن أستطيع أن أفعل ذلك إن لم أَنَل معونة الله، وقوَّته الروحيَّة، وبدون هذا فإنني أَضِيع". إن جملة: "أومن بإله واحد، ضابط الكل" تعني هذا وأكثر.

سأل الملك داريوس دانيال في العهد القديم: "هل إلهك الذي تعبده دائمًا قدر أن يُنجِّيك من الأسود؟" (دا ٦: ٢٠)، كان الردّ بالإيجاب. إن الله قدر إن ينجِّي دانيال مِن الأسود، واليوم نفس الإله قادر أن ينجِّينا من أنواع أخرى من الأسود: أسد تثبيط العزيمة، أسد الهزيمة، أسد الموت. إن الله عظيم بدرجة كافية، ومُتمكِّن بدرجة كافية إن سمحنا له أن يكون لنا إلهًا، وذلك بأن نثق فيه بكفاية. وحيث إننا أبناء ولسنا دُمًى، فإن قوَّة الله يمكن أن تُحدّ فقط بافتقار إيماننا. يقول يسوع: «*كل شيء مستطاع للمؤمن*»، ونقرأ في: (مت ١٣: ٥٨) أن يسوع: «*لم يقدر أن يصنع هناك قوَّات كثيرة لعدم إيمانهم*». إن قوَّة يسوع وقدرته تُدرَك لأولئك الذين يؤمنون به بدرجة كافية تجعلهم يُسلِّمون أنفسهم في يده.

إبَّان الحرب العالميَّة الأولى، ذهب أمريكي ليستشير كاهنًا في أمرٍ ما، فوجد بيت الكاهن قد ضُرِب بالقنابل، وجزءاً من السقف قد عُصِفَ به، ووجد الكاهن واقفًا عند رأس السلالم بطوله الممشوق وهو هادئ تمامًا،

coptic-books.blogspot.com

مُشرِق الوجه، لامع العينين ويداه ممدودتان. انعصر قلب الأمريكي وقال: ”يا سيِّدي، كيف تبتسم هكذا وبلدك يتحطَّم؟“. أجابه الكاهن: ”هل نسيت أنني تحت أوامر قائد لا يمكن أن يُقهَر؟“

إننا تحت أوامر نفس القائد: ”ضابط الكل، الكُلِّي القدرة، الـــذي لا يُقهَر“. إنه المسيح، الأقوى من كل ضغوط وتوتُّرات الحياة، الأقوى من الخطية التي تجدّ لتحطِّمنا، وفي النهاية هو أقوى من الموت نفسه.

”أنتَ تأتي إلى مَلك،
وأنتَ مُحمَّلٌ بطلبات كثيرة،
ولكن نعمته وقوَّته حاضرتان،
بشكلٍ لا يجعل أحدًا يسأل كثيرًا“.

جون نيوتن John Newton

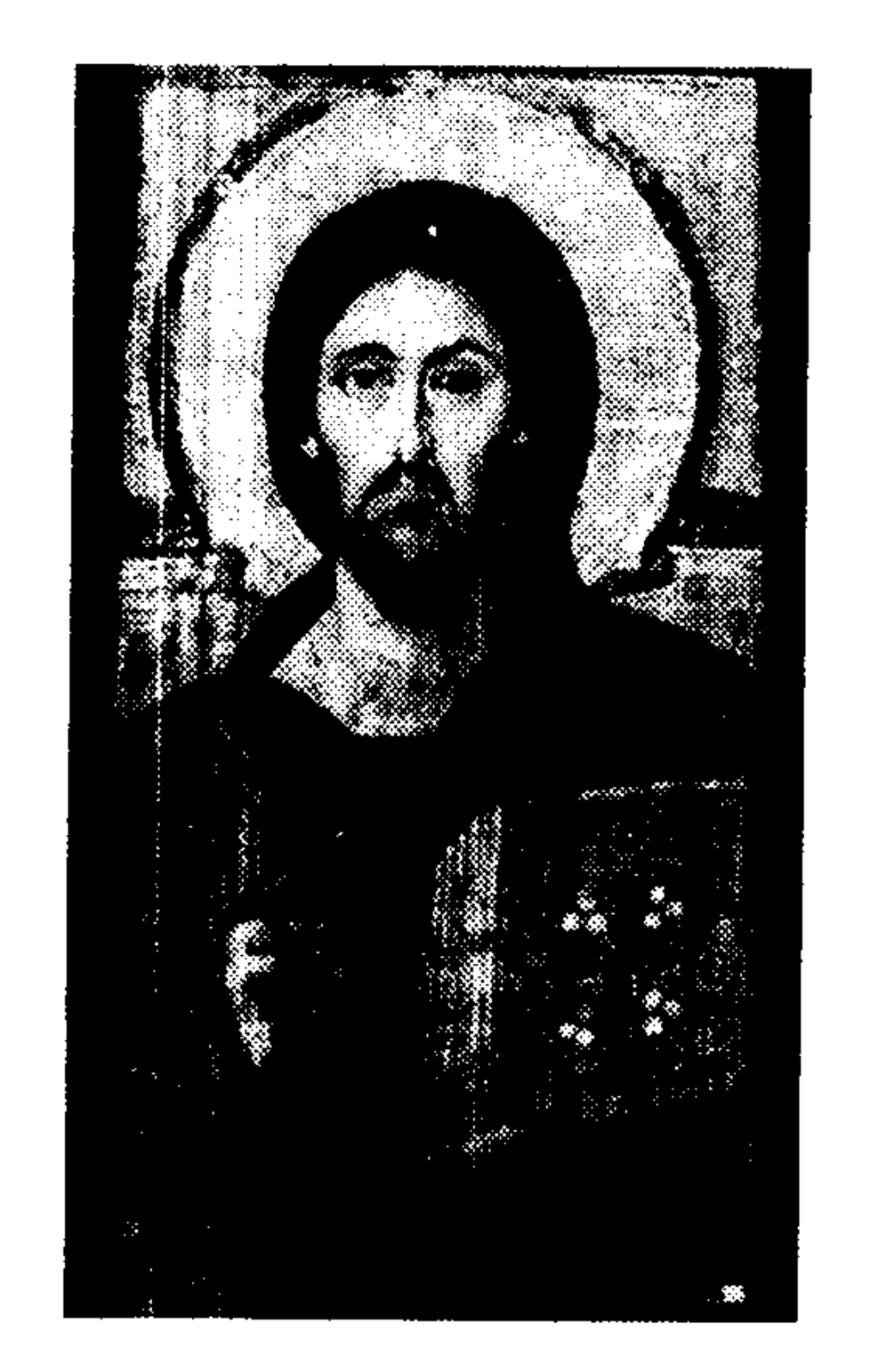

coptic-books.blogspot.com

خالق السماوات والأرض

ذهب شاب إلى الترزي لتفصيل بذلة جديدة، فقال الترزي للشاب: "سوف تكون جاهزة بعد ٣٠ يومًا"، فاعترض الشاب قائلاً: "ثلاثين يومًا! لماذا؟ إن الله خلق الأرض كلها في ست أيام فقط"، فأجابه الترزي المرهق والمشغول جدًّا: "ولكنك هل نظرت إليها جيِّدًا الآن؟"

نعم، سوف نستغرق في نظرة جيِّدة متمعِّنة للعالَم، عندما ندرس المعنى المُتضمَّن في قانون الإيمان عن الله: "خالق السماوات والأرض، ما يُرى وما لا يُرى".

إنَّ شَغَف الإنسان أن يسأل عن الخليقة هو أمر مُحتَّم لا يمكن اجتنابه، فالإنسان يعلَم بالفطرة أنه إذا كان يلزم أن يَفْهم نفسه، فإنه يلزمه أن يفهم مُنشئه، مَنْ خلقه؟ ولماذا خُلِق؟

مَنْ خلق الإنسان؟

أوَّل سؤال سوف نتناوله هو: مَنْ الخالق؟

يوجد من يؤمنون أن كل العالم حدث مصادفة، نتيجة ملايين من المصادفات التي حدثت كمجرد شيء عَرَضي، أمَّا أن يُقال إنه يوجد إله خلق الكون، فهذا مجرَّد تصوُّر بشري. والسؤال الذي يفرض نفسه، أيُّما أسهل للإيمان: أن يكون للعالَم خالِق أم أن يكون العالَم قد تكوَّن وليد الصُّدفة؟ إن كان كَم مِن المهارة تلزم لصناعة ساعة السباق والتي تقدر أن تقيس بالضبط أجزاءً من الثانية، إذًا، كم يلزم من ذكاء لشخصٍ ما لأن يضع النظام الشمسي الذي فيه الكواكب والأقمار وهي تدور حول الشمس بهذا الانضباط ، وحتى يمكن التنبؤ بهذه الحركة لزمن آلاف

coptic-books.blogspot.com

السنين مقدَّمًا ولجزء من الثانية. إن لم تكن ساعة السباق أو آلة الحساب الآلي أو الآلة الكاتبة قد أتت بمجرَّد الصُّدفة، فكيف يمكن لأي شخص أن يزعم أن الكواكب أو الكلب أو القط أو الإنسان بمقدرته على التفكير والكلام والتخليق والاتصال، يمكن أن ينشأ بمجرَّد مصادفة بدون تخطيط أو تفكير؟

يقول الأستاذ الدكتور أ. كريسي موريسون Dr. A. Cressy Morrison الرئيس السابق لأكاديمية نيويورك: "إنه من المُحال الاعتقاد أن الكون حدث هكذا من ذاته، وأدلة هذا العالم مثيرة للاهتمام، إن الأرض تدور بالسرعة المضبوطة تمامًا لبقاء الحياة، فإن كانت تدور بسرعة ١٠٠ ميل في الساعة فقط بدلاً من ١٠٠٠ ميل في الساعة، فإن الليل والنهار سوف يطولان عشرة مرَّات عمَّا هما عليه، وهذا الكوكب في النهاية سوف يتجمَّد ويجف، ولن توجد حياة نباتية. وبالمثل، فإن الحرارة على سطح الشمس، هي الحرارة اللازمة بالضبط لتعطي الأرض الكميَّة الصحيحة التي تمنعها من حرق كل شيء على الأرض. وكذلك فإن الثلاث والعشرون درجة ميل لمحور الأرض هو صحيح بالتمام لتنظيم أربعة فصول مضبوطة ممَّا يمنع تكدُّس القارات بالثلج. وأيضًا فإن عمق المحيط هو صحيحٌ بالضبط ليُبقي على الاتِّزان السليم للأكسجين وثاني أكسيد الكربون في الجو. وأيضًا فإن القمر موجود على المسافة المضبوطة ليمنع المحيط من إغراق الأرض. وأيضاً يقول الدكتور موريسون: إن هذه الموازين الدقيقة لا يمكن أن تكون وليدة المصادفة". فلا نعجب إذًا إن رأينا المرنِّم يكسر صمته بالحمد ويقول: «*ما أعظم أعمالك يا رب! كلها بحكمة صنعتَ*» (مز ١٠٤: ٢٤).

كان لعالِم الفَلَك الشهير كيرشنر Kirchner صديق له كثير من

coptic-books.blogspot.com

الشكوك بخصوص وجود الله، ولَمَّا أدرك العالِم أن نموذجًا توضيحيًّا بسيطًا سوف يكون أكثر فاعليَّة عن مناقشات طويلة، فإنه عمل نموذجًا للكرة الأرضيَّة ووضعه في مكتبه، وحدث أن زاره هذا الصديق ورأى هذا النموذج الجديد موضوعًا، فسأله:

"من صنع نموذج الكرة الأرضيَّة الرائع هذا؟" فأجابه:

"لا أحد، إنه أوْجَدَ نفسه".

ضحك الصديق كثيرًا على هذه الدعابة، فقال له العالم: "هل تضحك على هذا الشيء المُنافي للعقل؟ إنه من الأسهل ألف مرَّة أن هذا النموذج الصغير قد أوجد نفسه عن أن تُصدِّق أن الكرة الأرضية العظيمة التي نعيش عليها قد أوجدت نفسها".

إن الكتاب المقدَّس يهتم بموضوع الخلقة بطريقة مختلفة، فبينما نجد أن العلم يسأل كيف خُلقت الأرض، نجد أن الكتاب المقدَّس يهتم بالسؤال مَن خلق الأرض. والإجابة عن هذا السؤال موجودة في العدد الأوَّل من أول سفر في الكتاب المقدَّس، فنحن نقرأ في سفر التكوين: «*في البدء خلق الله..*». إن الله يقف شامخًا في بداية الأشياء كخالق لها، ويصف إشعياء الله أنه الواحد: «*خالق السماوات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها، مُعطي الشعب عليها نَسمةً والساكنين فيها روحًا*» (إش ٤٢: ٥). وكذلك في العهد الجديد، فإن الآيات الأولى من إنجيل يوحنا تعطي صدًى للأسطر الأولى في سفر التكوين، ولكنها تمضي بطريقة أوضح لتصف مَن هو الخالق:

«*في البدء كان الكلمة، والكلمة كان مع الله، وكان الكلمة الله. كان هذا في البدء مع الله، كل الأشياء به كانت وبغيره لم يكن شيء ممَّا كان. فيه كانت الحياة والحياة*

coptic-books.blogspot.com

كانت نور الناس .. في العالم كان والعالم به كُوِّن ومع ذلك فالعالم لم يعرفه» (يو ١: ١ - ٤).

والكلمة الذي خلق به الله العالم صار جسدًا في يسوع الناصري، و *«حلَّ بيننا»* و*«رأينا مجده»* (يو ١: ١٤). كما يكتب القدِّيس بولس عنه:

«فإنه فيه خُلق الكل، ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشًا أم سيادات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلق، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (كو ١: ١٦ و١٧).

فلكي نرى هذا العالَم جيِّدًا، يلزمنا إذًا أن نرى المسيح في مركزه كخالق وفادٍ له.

كيف خُلقَ العالم؟

الكتاب المقدَّس ليس كتاب علم، إنما هو كتاب لاهوت، ليس هدفه إن يُخبرنا كيف خُلق العالم، إنَّما مَن الذي خلقه. إذا طلبنا من طفل ذكي أن يقرأ الأصحاحين الأولَيْن في سفر التكوين، ثم سألناه أن يُلخِّص لنا في جملة واحدة فحوى هذين الأصحاحين، فمن المُحتَمَل أن يجيب: "الله خَلَقَ العالم". هذه الإجابة هي التي يعطيها بالفعل سفر التكوين وهو يستخدِم تصويرات شعريَّة.إن الطرق التي من المُحتمل أن يكون الله قد استخدمها في خلقة العالم إنما يُكشَف الغطاء عنها كل يوم بمختلف اجتهادات العلماء، لهذا السبب يُقال: "إنَّه خَلْف كل باب للعلم نحن نتقابل مع الله".

يخبرنا العِلم أن الخلقة تمَّت خلال التطور. إن التطور هو عملية معجزيَّة، قد يكون الله قد أتمَّ خلقة العالم خلالها، إنها عمليَّة منظمة جدًّا

coptic-books.blogspot.com

للنمو المتقدِّم من أصغر إلى أعلى صُوَر الحياة، عمليَّة تفترض أولاً وجـــود ذكاء مُتفوِّق إلهي يقودها. إن الذي نرفضه كمسيحيين ليس نظريَّة التطور ولكن التطوُّر التلقائي، التطوُّر الذاتي، تطوُّر بلا إله يقوده كقوَّة مُرشدة. وعلى سبيل المثال فقد حدث في أحد الفصول الدراسيَّة أن علَّم أســتاذٌ طَلَبَته وقال لهم إن الحياة قد وُجِدَت على الأرض ليس عـــن طريـــق الله ولكن بسبب طوفان مياه البحر على الشواطئ. ولما أكمل المدرِّس كلامه رفع أحد الطلبة أصبعه وقال له: "وضِّح لنا من فضلك كيف أتت كـــل هذه المياه إلى هناك أول مرَّة". يكتُب وليام هربرت كاروث William Herbert Carruth:

"أتربةٌ كونيَّةٌ وكوكب -
بلُّورةٌ وخليَّة،
قنديل البحر وعظاء،
وكهوفٌ حيث يسكن إنسان الكهف:
ثم عالَم يسير حسب قوانين وجمال
ووجهٌ تشكَّل مِن كتلة الطين.
البعض يُسمِّيه تطوُّر،
والبعض يُسمِّيه الله".

كيفما كانت طريقة الخلقة، حيث أنه توجَد نظريَّات علمية كـــثيرة بخصوص كيفيَّة انبعاثها، إلاَّ أن الله يبقى هو الخالق، الذي لا يمكن بدونه أن توجَد حياة.

لماذا أراد الله أن يخلق العالَم؟

لماذا أراد الله أن يوجَد شيء بجوار ذاته؟ ليس حسنًا أن نقول لأنه كان وحيدًا، هذا يعني أننا ننسب ضعفنا البشري إلى الإله الكامل. الإله الكامل

coptic-books.blogspot.com

مكتف بذاته. إن أراد الله وجود آخَر لتكمُل به سعادته فلن يكون كاملاً وبالتالي لن يكون هو الله. الإجابة الصحيحة هي أننا لا نعلم لماذا اختار الله أن يخلق العالَم والإنسان، ولكننا نُخمِّن فقط أنه حيث أن أوَّل صفة ذاتية لله هي المحبة(١)، فالخلقة يُنظَر إليها بواسطة البعض على أنها فيضٌ من محبته الفائقة التي لا تفرغ. يقول الأسقف شين Sheen: "لم يقدر الله أن يحفظ سرّ حبه مخفيًّا، وكان التعبير عنه هو الخليقة". حب الله فاضَ، وكانت نتيجة هذا الفيض أن أتى العالَم إلى الوجود.

(١) كما نصلّي في القداس الغريغوري: "خلقتني إنساناً كمحب للبشر، ولم تكن أنت محتاجاً إلى عبوديتي بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك، من أجل تعطُّفاتك الكثيرة كوَّنتني إذ لم أكُن" (المترجم).

coptic-books.blogspot.com

ما يُرَى وما لا يُرَى

قال راعٍ: "كنتُ أعلِّم لسنين طويلة مفترضًا أن الله خلق الأرض فقط، وفجأة تحقَّقتُ أنني بهذا أجعل الله صغيرًا جدًّا بالنسبة إلى العالم غير المحدود". يقول عالِم الفلك الشهير جيمس جينس Sir James Jeans: "حاول أن تتخيَّل عدد حبَّات الرمل الذي على شاطئ واحد، ثم حاوِل بعد ذلك أن تتخيَّل عدد حبَّات الرمل على كل شاطئ بمفرده من شواطئ أمريكا، وعندئذ يمكنك أن تكون لك فكرة عن كم عدد الكواكب في الكون". إن شمسنا أكبر ٣٣٢ ألف مرَّة عن الأرض، والشمس هذه هي مجرَّد نجم واحد من المجرَّة التي نسمِّيها: "الطريق اللبني". هذا الطريق اللبني أو هذه المجرَّة تحوي مئة بليون نجم آخَر، وبعضها أكبر كثيرًا من الشمس، ومجرَّتنا هذه وما فيها من الـ ١٠٠ بليون نجم ليست إلاَّ مجرَّة واحدة من بلايين البلايين من المجرَّات الأُخرى في الكون والتي يحوي كل واحد منها بلايين من النجوم.

وإن كانت توجد حياة على كوكبنا الصغير هذا، فمن يستطيع أن يجزم أنه لا توجد حياة في باقي الكواكب الأُخرى. تأمَّل عالِم الفلك المشهور بجامعة هارفارد الدكتور هارلو شابليDr. Harlow Shapley في الكون وافترض أنه من الممكن أن يوجد عشرة بلايين كوكب في العالَم مناسبين للحياة العضوية تمامًا كما هو الحال على الأرض، ويدعو هذا الافتراض: "حسابات تحفُّظيَّة". لقد سمعنا عن تقارير في الوسط الصحفي والجرائد عن استقبال موجات إذاعة غير عاديَّة آتية من الفضاء، وعلَّله بعض العلماء بشعورهم أنه ربما تكون هذه الموجات وعلامات الراديو مُنبثَّة عن طريق كائنات ذكيَّة تقطن كواكب أخرى.

coptic-books.blogspot.com

إنَّ عالَمنا متَّسِع جدًّا لدرجة أن العلماء اخترعوا قياسًا آخر سمَّوه السَّنَة الضوئيَّة لقياس المسافات في الفضاء الخارجي. يسير الضوء بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية. إن السنة الضوئية هي عِبارة عن المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة، أي ٦بليون ميل. إن الضوء يصل إلينا من القمر في ثانية ونصف، ويصلنا الضوء من الشمس في ٨ دقائق، ولكن توجد بعض النجوم في الفضاء الخارجي أبعد كثيرًا ويستغرق ضوءها ٨٠٠ مليون سنة حتى يمكنه أن يصل إلينا، علمًا بأن سرعة الضوء ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية أو ٦بليون ميل في السنة! إن حدود العالَم الذي يمكننا أن نراه من جميع الاتجاهات بالتلسكوب يمتد إلى اثنين بليون سنة ضوئية، ولكن خارج ما يمكننا أن نراه بالتلسكوب توجد ملايين من المجرات الأخرى التي لا نراها، والتي تظهر جميعها مندفعة من واحدة إلى أخرى في سرعات خيالية.

عندما سأل الصحفيون رائد الفضاء القائد الشيوعي السوفييتي تيتوف Major Titov عن شعوره أثناء الـ ١٧ دورة التي قضاها في الدوران حول الأرض قال: "نظرتُ حولي فلم أرى إلهًا ولا ملائكة". ولما سُئل رجل الفضاء الأمريكي الكولونيل جون جلين Col. John H. Glenn نفس السؤال أجاب بهدوء: "الله الذي أُصلِّي إليه ليس صغيرًا إلي هذه الدرجة حتى أتوقَّع أن أراه في الفضاء الخارجي".

في أُمسيَّة عيد الميلاد ١٩٦٨ م أَرسَلَ رواد الفضاء فرانك بورمان Frank Borman و وليم أندرز William Anders و جيمس لوفل James Lovell رسالة مبهِجة ساحِرة إلى الأرض، وقد بُثَّت هذه الرسالة على التو في التلفاز من خلال الأقمار الصناعية أثناء رحلتهم ووجودهم على الجانب المضيء من القمر، وأعطوا وصفًا تفصيليًّا لمناظر طبيعية على

coptic-books.blogspot.com

القمر، وقال بورمان أثناء البث التلفازي: "رسالة مُوجَّهَة إلى كل الأرض من طاقم السفينة الفضائية أبولو ٨"، ثم تبعه أندرز يقول: «*في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة*»، ثم أخذ أعضاء الطاقم يتبادلون قراءة الأصحاح الأول من سفر التكوين. مِن على بُعد ٦٩ ميلاً فوق القمر استقبل رواد الفضاء هؤلاء منظرًا جديدًا وعظيمًا عن الله كـ "خالق السماء والأرض، ما يُرى وما لا يُرى".

كَتَبَ جوزيف أديسون Joseph Addison عام ١٧١٩ م: "إن الكائن الذاتي الفائق أعطى أعظم برهان على وجوده من خلال خلقته للسماء والأرض... الكلمة التي تهتف بها السماوات هي الله".

وقال أبراهام لنكولن Abraham Lincoln: "يمكن أن أنظر كيف أنه من المحتمل للإنسان أن يتطلَّع إلى أسفل ويصير ملحدًا، ولكن لا يمكن افتراض أن يحدث هذا وهو ينظر إلى السماوات، ويقول لا يوجد إله".

حذَّر فرنسي ملحِد أحد الفلاحين وقال له: "سوف نهدم كنائسكم ونحرق كتبكم المقدَّسة ونتلف أيقوناتكم وندمِّر كل ما يذَكِّركم بالله!"

أجابه الفلاح ببساطة وحِكمة: "ولكنكم سوف تتركون النجوم، أليس كذلك؟!"

يقول المرنِّم: «*السماوات تُحدِّث بمجد الله، والفَلَك يخبر بعمل يديه*» (مز ١٩: ١).

إن ضخامة واتساع هذا العالَم المنظَّم لا يخيفنا، لأننا نحن المسيحيين نعلَم أن هذا هو عالَم أبينا، ويسوع قال لنا إن في بيت أبينا منازل كثيرة، وعندما يخبرنا التليسكوب البالوماري أنه توجد منازل أكثر جدًّا مما نحلم بها، فإن

coptic-books.blogspot.com

ما نتعلَّمه جديدًا هو أن الله أعظم وأكثر ضخامة جدًّا عمَّا يمكن أن يظنَّه فكر بشر. من خلال هذا الاتجاه، فإن كل المفاهيم عن عظمة الله تأخذ معنًى جديدًا وأكثر حيويَّة وعذوبة ونقاوة، وبهذا، فإن الحقيقة المُتضمَّنة في قانون الإيمان تصبح خيالية في حجمها: "أومن بإله واحد، الله الآب، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يُرى وما لا يُرى".

ما لا يُرى:

إن عبارة ما لا يُرى المنصوص عليها في القانون النيقاوي تُعزَى إلى عالَم الطبيعة الذي خلقه الله والذي يشمل المجرَّات البعيدة جدًا بمسافات لا يمكن للعين العاديَّة أن تراها، كما تُعزَى أيضًا إلى العالَم الروحاني المُمتدّ والعالَم غير المرئي الذي خلقه الله لأجلنا. إن العالَم الذي نراه حولنا ليس هو كل ما خَلَقَهُ الله، فهذا شيء ضئيل للغاية. إننا نرى فقط ١/٩ الجبل الجليدي العائم فوق الماء، أمَّا الـ ٨/٩ الباقية فتحت السطح غير مرئي. هكذا أيضًا في خليقة الله، من بلايين البلايين من النجوم والمجرَّات نحن نرى فقط شيئًا ضئيلاً جدًّا من خلقة الله، وهذا كله بخلاف العالم الروحاني، فوق الطبيعي الذي يتضمَّن الملائكة ورؤساء الملائكة والمخلوقات السماوية الرائعة والتي لا يمكننا أن نراها، والتي قال عنها القديس بولس: «*ما لم تَرَ عين ولم تسمع أُذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدَّه الله للذين يحبونه*» (١ كو٢: ٩).

عملية الخلق لم تنته بعد:

اعتُقد قبل داروين Darwin أن عملية الخلق قد انتهت، ولكننا اكتشفنا بعده أن الله لم ينته بعد من خلقة العالَم، فهو لا يزال يَعْمَل أجناسًا جديدة وأنماطًا مختلفة من الحياة، ونجومًا وكواكبَ ومجرَّاتٍ جديدة. نُشر في الصُّحُف حديثًا تحت عنوان رئيسي: "موجات الراديو

coptic-books.blogspot.com

تبيِّن ميلاد كوكب جديد"، ما فحواه الآتي: "إن علماء الفضاء المشتغلين بالراديو وهم يحملقون بعمق في السماء يكتشفون ولأول مرَّة ما يشهد عن ميلاد عاصف لكوكب أو أكثر مثل الأرض. العلماء يكتشفون انبعاثات موجات راديو تظهر على الأقل كحلقة واحدة من التراب والغاز تنطلق بسرعة هائلة حول هدف في المركز، جماعة علماء قياديُّون مُتخصِّصون في دراسة أصل المجموعة الشمسية يظنون أن هذا الشيء المركزي قد يكون نجمًا في مرحلة التكوين، والحلقة أو الحلقات قد تتكثَّف لتكوين كواكب جديدة".

في البدء خلق الله، وهو لا زال يخلق. كل نبات جديد، كل طفل جديد في المهد يُعلِن قوَّة الله الخلاَّقة. الله لا يزال يخلقنا، نحن لسنا مُنتَجات اكتمل إنتاجها، فالله يمدنا كل يوم بالقوَّة لنكون أفضل، أعمق في المحبة، أقوى في الفهم وفي الصبر: *«ها أنا أصنع كل شيء جديدًا»* (رؤ ٢١: ٥).

خلقة الحياة في أنبوبة اختبار:

سمعنا أن العلماء الباحِثين عل وَشَك خلقة حياة في أنبوبة اختبار. سوف يُحوِّل الإنسان مواد كيميائية ميِّتة إلى مواد حيَّة يمكنها أن تنمو وتُنتج وتوجِد الحياة ثانية، وبكلمات أُخرى، سوف يمكن للإنسان عن قريب أن يعمل عمل الله. يوجد مَن هم قلقون بخصوص موقف الدين من هذه الأمور ويقولون: "إن تمكَّن الإنسان مِن أن يخلق الحياة، فما هي حاجتنا بعد لنؤمن بالله؟"

إلاَّ أنه يوجد أيضًا آخرون يعتقدون أنه بدلاً من أن يكون إيجاد حياة في أنبوبة اختبار هو تهديد للدين، بل إن هذا يؤكِّد عظمة حكمة الله. سوف يميط العِلم اللثام مرَّة أُخرى ويُظهِر مرَّة ثانية العمليَّة المُدهِشة التي

coptic-books.blogspot.com

بها ظهرت الحياة لدهور لا تُحصى: سيكون الإنسان إنما يعمل فقط نُسخًا من العملية التي أتمّها الله في خلقة الحياة. ومع ذلك، حتى ولو حدث هذا، وسيصبح جراءة زائدة أن نتصوَّر أن ما يصنعه الإنسان في أنبوبة اختبار سوف يكون كافيًا ليشرح خلقة الكون بكامله. الحياة التي سوف تُخلق بهذا الشكل سوف تكون بدائية بسيطة للغاية من نوع الفيروسات. وأحيانًا نتعجَّب ممَّن يَدَّعي أن الإنسان يقدر حقًّا أن يخلق شيئًا، إنه فقط يفصِل بين أشياء موجودة من قبل ويضعها مع بعض مرَّة أُخرى. إنه يعيد تنظيم أشياء خُلقت مُسبقًا. إن الله عندما يخلِق، فإنَّه يوجِد من العدم.

حقائق تحتويها عقيدة الخلقة

هناك حقائق مُعيَّنة تنبع من حقيقة الخلقة وهي:

(١) إن كان الله قد خلقنا، فنحن إذن ننتسب إليه، وأصبح من حقّه - مثلاً - أن يعطينا وصايا، وواجب علينا أن نطيعه. نتكلَّم كثيرًا في هذه الأيام عن حقوق الإنسان كما لو كان لا يوجَد غير الإنسان في هذا الكون. إن كان لنا حقوقًا، فللّه أيضًا حقوقٌ علينا، وهذه الحقوق هي بسبب فضله أنه خلقنا.

(٢) عقيدة التجسُّد تخبرنا أن العالَم يخص الله. الله يحبّه ويعتني به، زنابق الحقل تهمه، والعصافير الصغيرة يهتم بها. الله خلق العالَم ليكون جميلاً. إن روَّاد الفضاء الثلاثة على السفينة الفضائية أبوللو ٨ رأوا كوكبنا الصغير كما لو لم تره عين بشريَّة مائتة من قبل. كَتَبَ الرائد جيم لوفيل Jim Lovell أن في عالَم الفضاء الخارجي ذي اللون الأسود والأبيض، كان الجزء الصغير الملوَّن هو فقط على ظهر الأرض، إنه يحمِل كل الرجاء وكل الحياة وجميع الأشياء التي عرفها طاقم الفضاء وأحبّها. لقد كان هو

coptic-books.blogspot.com

أكثر الأشياء جمالاً التي يمكن أن تُرى في كل السماوات. إن البشر على كوكب الأرض لا يقدِّرون ما عندهم.

يُسمِّي الدكتور كانهام Dr. Canham الأرض: "الكوكب الواحة". إنها بقعة الجمال والاندهاش والتعجُّب وسط فضاء الكواكب المُمتد. فإن كانت هذه الأرض الجميلة تخص الله، فيجب علينا أن نعاملها بالاحترام والاهتمام. هذا يعني أنها خطيَّة أن نلوِّث البحار والمحيطات وجداوِل المياه التي تمرّ بين الجبال، وذلك بأن نملأها بزجاجات الخمور والنفايات والكيماويات القاتلة والنفايات الذريَّة. إنها خطيَّة أن ندمِّر موارِد الأرض بإتلاف الطعام أو بزيادة السكان الفائقة. إن كان هذا هو عالَم الله، فإنَّ تعاملنا معه كشيء نمتلكه نحن، فهذا نوعٌ من السرقة. إن عقيدة أن الله هو الذي خلق الأرض تعني أننا مسئولون على المحافظة والإبقاء على جميع الموارد الطبيعيَّة والبشريَّة. لقد خَلَق الله الأرض لنا لنستخدمها ونفرح بها لا لكي ندمِّرها ونُسيئ استخدامها ونعتدي عليها.

(٣) بعد أن خلَقَ الله الأرض، فإنه أعطاها للإنسان ليتسلَّط عليها: «*تسلَّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدبُّ على الأرض*» (تك ١: ٢٨)، إنه أمر رسمي للإنسان أن يسود على الطبيعة، والإنسان أنجز هذا من خلال العلم. الإنسان ساد على المسافات من خلال الطائرات الجويَّة والسيَّارات والمراكب الهائلة. تسلَّط الإنسان على الحرارة والبرد من خلال التسخين المركزي وتكييف الهواء وأنواع الملابس، كما تسلَّط على المرض من خلال الطب.

إن أمْرَ الله للإنسان: «*تسلَّطوا .. املأوا الأرض وأخضعوها*»، هو دعوة منه للإنسان ليكون خالقًا عاملاً مع الله. الله لم يخلق العالَم في

coptic-books.blogspot.com

الماضي فقط، إنه لا يزال يعمل فيه مع الإنسان. يكتب الدكتور كارل يونج Dr. Carl Jung: "لا غِنى عن الإنسان لاستكمال الخلقة، إنه الخالق التابع لله". إن الإنسان تمكَّن من السيادة على البيئة الطبيعيَّة، وأصبح عمله العظيم الآن هو أن يخلق عالَم الحُب الذي يلاشي الحرب والصراع العنصري والفقر والمجاعة والأوبئة. إن أشياء كثيرة وجسيمة من الأخطاء حدثت في العالَم الذي خلقه الله بسبب خطيئة الإنسان، وصار على الإنسان الآن بنعمة الله وكخالقٍ مشاركٍ وتابع لله أن يحاول إصلاح ما قد تلف.

عندما خَلَقَ الله الأرض، كان ممكنًا له أن يُنهي على هذه العمليَّة، ولكنه لم يفعل ذلك، لقد ترك عمليَّة الخلقة غير منتهية حتى يمكننا أن نشارك في بهجة الخلقة مع الله. إنه ترك زيت البترول في الصخور والأعماق، وترك الغابات قفار، وترك الماس غير مقطوع، والبحار بدون كباري، وترك المدن غبر مبنيَّة. إن الله بعد أن خَلَق العالَم قال إنه وجده حسنًا، ولكنه لم يقُل إنه كامِل، بل قال إن على الإنسان أن يعمل في الأرض وأن يُخضعها. الله أمدَّ الإنسان بعزيمة وتحدٍّ ليكمل ما بدأه الله. إن كل ما هو حولنا يدعونا أن نكمِّله بإلهام من الله ليكون مفيدًا. إن ما يحتاجه الإنسان هو أن يشعر أن هناك احتياج إليه. الله أمدَّنا بالعقل والروح الخلاَّقة حتى نُكمِل خلقته.

إنَّنا نفكِّر دائمًا أن ما هو كامل هو جميل، ومع ذلك شيء واحد لا يمكن للكمال أن يعمله. الكمال لا يمدّنا بالعزيمة والحماس.إن جمال ما ليس كاملاً هو أنه يحثنا على الإنماء والتخليق. هذا هو السبب الذي دعا الله أن يوجِدنا وسط عالَم غير كامل لم يتمّ بعد.

رَفَع شاب كبُّوت عربته (الفورد) المُعطَّلة محاوِلاً إصلاحها، وبعد فترة

coptic-books.blogspot.com

طويلة من الفشل، وقفت بجواره عربة ليموزين وخرج منها رَجُلٌ وسيم، وذهب للتو إلى الشاب، ولَمَّا شعر بضيقته طلب منه أن يعمل ضبطًا مُعيَّنًا لجهاز توقيت الموتور، وما أن عمل الشاب هذا حتى دار موتور السيَّارة للتوّ.

اندهش الشاب، كيف عرف هذا الرجل ميكانيكا سيارته، فسأله مُستفسرًا: "من تكون؟"، أجابه الرجل: "إنني أعلم جيِّدًا كل أسرار عربتك، وكيف تدور، وما هو المُحتمل أن يكون سبب عطلها، إنني هنري فورد Henry Ford مُصمِّم العربة".

عندما تتعطَّل الحياة وتخيب، يوجد عندنا نحن أيضًا شخصٌ يَعلَم كيف يُصلحها ويجمعها مرَّة أُخرى، إنه الذي أوجدنا وأوجدها. قال سكِّير: "حياتي دُمِّرَت، لم يعُد لها ضابطٌ، فرصتي الوحيدة هي أن أُعَيدها إلى خالقها وأطلب منه أن يُقوِّمها ثانية"، وفعلاً عمل هذا.

مَن يكون خالق السماء والأرض؟

اسمه يسوع، وقد علَّمنا أنه يعتبِر كل واحد منَّا ثمينًا، لا حدَّ لثمنه، بل وثمنه يفوق كل العالَم الذي خلقه: «*ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالَم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطي بدلاً عن نفسه؟*».

الإنسان تحفة الله الرائعة

تناولنا بالشرح خلقة الله للكون: "خالق السماء والأرض، ما يُرى وما لا يُرى". والآن نأتي إلى تُحفة الله الرائعة: الإنسان.

يُصوِّر لنا سِفر التكوين الله عند خلقه للعالَم يقول: «*ليكن نور.. ليكن جَلَد في وَسط المياه.. لتُنبت الأرض عُشبًا..*»، ولكن عندما يذكر السِّفر خلقة الإنسان، نجد أن الله لا يقول: "ليكن إنسان"، فالإنسان قد

coptic-books.blogspot.com

وُضِع هنا على حِدة بالنسبة لباقي الخليقة، فنحن نقرأ في سفر التكـــوين: *«وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلَّطون على سَـــمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلـــى جميـــع الدَّبابات التي تدبُّ على الأرض»* (تك١: ٢٦). جـــيء بالإنســـان إلى الوجود مِن خلال عمل خَلْقي خاص مِن الله. إنـــه هـــو الفَريـــد بـــين المخلوقات التي على الأرض المخلوق على صورة الله. هناك تقع حقيقـــة شرف الإنسان.

توجَد قصَّة قديمة عن الخليقة تصف اليوم الذي أتت فيه جميع البـــذور التي فيها حياة أمام الله، وطلب الله منها ماذا تريده أن تكـــون. طلـــب البعض أن يكون فيلاً، والآخر طلب أن يكون نمرًا، وهكـــذا خلـــق الله الحيوانات. استصوب البعض أنه بما أن الماء يغطِّي كل ســـطح الأرض أن تكون لهم زعانِف ليسبَحوا فيه، وهكذا خلق الله الأسماك. فكَّر البعض أنه ما دام يوجد هواء في الجو أكثر من الماء أن تكون لهم أجنحة ليطيروا فيه، فخلق الله الطيور. طلب البعض أن يعيش في أمان وكان كل ما يشغلهم هو الطمأنينة، فطلبوا أن تكون منازلهم من حولهم تحمـــيهم، فخلـــق الله السحالِف والمحار والصَدَف. وبعد أن تكلَّمَتْ جميع البذور الصغيرة بقيت بذرة واحدة مُتَّضعة جدًّا وخجولة، فقال لها الله: ''وماذا تريدين أنتِ؟''، فقالت لستُ أُريد زعانِف أو أجنحة، ولكن اجعلني فقط كصورتكَ وأنا سوف أصنع لنفسي عندئذ أجنحة وقوارِب ومنـــازل. اجعلـــني فقـــط كشبهك كصورتك، آه لو أعطيتني هذه الفُرصة! وتمضي هـــذه القصَّـــة لتقول إن الله سُرَّ بهذه الإجابة وخلق الإنسان على صورته.

على صورة الله

الكلمة ''صورة'' تعني أيقونة أو شِبه، والإنسان إذ خُلِق على صـــورة

coptic-books.blogspot.com

الله، فهو صورة حيَّة لله، وإن كان ليس بالضبط مثل الله، ولكنه شـــيء مشابهٌ لله. لقد أُنعِم عليه بقدرات إلهيَّة مختلفة مؤكَّدَة ومُحدَّدَة، له قـــوَّة التفكير والعقل. الإنسان هو الفَرِيد بين جميع الخلائق الذي يمكنه أن يكلِّم الله، الذي له القدرة أن يستقبِل إعلانات الله وأن يعمل بمسئوليَّة كاملة في طاعة لله. إن له علاقة خاصَّة معه، أنا وأنتَ يمكننا أن نكلِّم الله كشخصٍ إلى شخص، هذه العلاقة تسمو بالإنسان عن مستوى الحيوانات. وكمـــا أن الله هو سيِّد الكون، هكذا الإنسان سيِّد العالَم المخلوق، إنَّه ملكهـــا المتوَّج بالمجد والكرامة. وكما أن الله خالق هكذا أُعطِيَ للإنسان أن يخلق كل شيء من أوَّل مصايد البعوض إلى الكومبيوتر المعقَّد. إنَّ حافز الخلق قد زرعه الله في الإنسان، وهكذا فإنَّ جزءًا من صورة الله موجود فينـــا. وكما أن الله يتمتَّع بالحريَّة هكذا أيضًا الإنسان. الفارق بـــين الإنســـان والحيوان هو الفارق بين كائن حُرّ يملك أن يُحدِّد ويعمـــل والآخـــر لا يملك. الحريَّة عطيَّة إلهية، إنها تكوِّن جزءًا من صورة الله فينا. وكما أن الله يُحِب، هكذا خُلق الإنسان وفي مقدرته أن يُحب خالقه وأن يكون لـــه معه صداقة ليصير مثله. إننا نعجَب ونندهش من مجد الله في روعة وبهـــاء شروق الشمس وغروبها، ولكن الله خَلَعَ على الإنسان شيئًا أعظم مما هو موجود في أي شيء آخر في الطبيعة. الله خَتَمَنَا بصورته الإلهيَّة وزوَّدنـــا بمَلَكَة التفكير وبقوَّة التواصُل، بسلطان السيادة عل الطبيعة، بقوَّة الحريَّة، بقوَّة التخليق، بالقدرة على الحب وبمزيَّة مرافقته.

وكما أن الإنسان يعكِس نفسه على ما يصنعه مثلما يعكِس الفنان فنَّه على لوحاته، والمُؤلِّف على كتاباته، والمعمارِي على مبانيه، هكذا يعكِس الله نفسه أفضل من كل شيء علينا. الله في الحقيقة هو أبونا وفي الحقيقة نحن أولاده، كل مِنَّا يحمِل صورة الأعظم. كيف يمكننا على الإطلاق أن

coptic-books.blogspot.com

ننسى هذه الكرامة العظيمة التي منَّ الله بها علينا؟

توجَد زُهريَّة قُدِّرَت قيمتها بثمن باهظ، وذلك لأن ملكًا شهيرًا وضع أصابعه مصادفة من قبل أن تدخل الفرن. إن لمسة الملك لها عزَّز قيمتها جدًّا. إنها ليست لمسة الملك فقط هي التي نحملها ولكن صورته ذاتها!

دعنا نرى الآن بماذا يُخبرنا الكتاب أكثر من هذا عن تُحفَة الله الرائعة: الإنسان.

سفر المزامير:

توجَد في سفر المزامير رنَّة تتكرَّر وتتردَّد باستمرار وهي أن الله يعرف الإنسان، يعرفه جيِّدًا، ويعرفه تمامًا. في المزمور ١٣٩ يتأمَّل المُرنِّم في أن الله يعرفه قبل أن يُشكَّل في البطن، ويعرف أفكاره قبل أن تُصاغ وتُنطَق، يعرف دوافعه قبل أن تصير أعمالاً تُنفَّذ، يعرف أين هو وأين سوف يذهب فهو دائمًا حاضر أمامه، ومن هنا تأتي كلمة الاعتراف والعبادة. يقول المُرنِّم: «*عجيبة هذه المعرفة فوقي، ارتَفَعَت، لا أستطيع بلوغها*». لم يُفكِّر المُرنِّم إطلاقًا عن نفسه أنه مخلوق عن طريق الصُّدفة أو أنه حَدَثٌ كَوْني، إن الله ساهر يقظ عليه كما يسهر الأب على ابنه. إنه موضوع معرفة الله واهتمامه.

مغزى إبراهيم:

عندما تكلَّم الله مع إبراهيم، توقَّف عن أن يكون راعيًا بدويًّا غير معروف يجول من واحة إلى أُخرى. إنَّه أصبح كائنًا جديدًا. لقد بدأ يعيش مثل مَن اكتشف ذاته، كشخص يتكلَّم الله معه، كمن ينتظر الله منه استجابة. هذا الأمر ملأ كيان إبراهيم وحياته. عندما يتكلَّم الله مع إنسان، عندئذ يصبح هذا الإنسان إنسانًا، إنه يتوقَّف عن أن يكون حُثالة

coptic-books.blogspot.com

على وجه الأرض ويصير نَفْسًا حيَّة، كائنًا قادرًا أن يخاطبه الله وهو يستجيب له.

تراب:

يخبرنا الكتاب المقدَّس أن الله جَبَلَ الإنسان من أحقر مادة في العالَم، وهي مُتوفِّرة جدًّا كما أنها ليست لها قيمة: «*أنتَ تراب وإلى تراب تعود*» (تك٣: ١٩). هذه الكلمات التي خاطب بها الله آدم بعد خطيئته تُرينا أن الإنسان جُبِل من الأرض مثل باقي الحيوانات. الإنسان من الناحية الطبيعيَّة جزء مخلوق من الأرض. لا يوجَد مَن ينكر أن نَسَبَه إلى الأرض وإلى الحيوانات طبيعيًّا: "جبل الله الإنسان من تراب الأرض".

ولكن نُسِجَتْ في طبيعة الإنسان أشياء جعلته أكثر من تراب. إن كرامة الإنسان هي في حقيقة أنه خُلق على صورة الله. تعترف الكنيسة الأرثوذكسيَّة وتُقرّ بهذا في كل خدمة ليتورجيَّة. يُبخِّر الكاهن أوَّلاً أمام المذبح ثُمَّ أمام أيقونة السيِّد المسيح والقدِّيسين ثُمَّ يدور ويُبخِّر أيقونات الله الحيَّة، أعضاء الجماعة المُؤمنين. إن الكاهن بعمله هذا يُلقي بالاحترام ويُكرم صورة الله الموجودة في كل إنسان. الإنسان ليس ترابًا فقط، إنه أيضًا صورة الله؛ إنه ليس حيوانًا فقط، إنه ابن الله. قال الفيلسوف كارليل Carlyle ذات مرَّة:

"إنني لا أعترض، حتى لو كنتُ مسيحيًّا على ما يُقال إن الإنسان مُتطوِّر عن أشكال لحيوانات سابقة له، أو القول إن القرد جَدٌّ له، أو إن أبو ذنيبة مِن أجداد أجداده. ماذا كنتُ، هذا يُسأل عنه العِلم، ولكن اعتراضي هو على شيء آخر، إن اعتراضي هو بخصوص طبيعة الإنسان، اعتراضي هو على القول بأن طبيعتي وطبيعة أي إنسان آخر هي مثل أبو ذنيبة. إن أردتَ أن تُحدِّد سِرّ الإنسان، وأن تُعرِّف ماذا كان في فكر الله

coptic-books.blogspot.com

من جهة الإنسان، وأنه نَفَخَ فيه، فلن تستطيع أن تقول: "إنه أكثر قليلاً عن أبي ذنيبة"، ولكن يجب أن تقول: "إنه أقل قليلاً عن الله". وبكلمات أُخرى، لا يمكن أن تُعرِّف الإنسان على أُسُس بيولوجيَّة، ولكن يجب أن تُعرِّفه على ضوء القصد والهدف من خلقته.

يجب في الواقع أن ندخل إلى مستوى آخر، إن سِرّ الإنسان يمكن أن يُفهَم فقط إن وضعناه بالمقارنة بمَن أعطاه الحياة ودعاه باسمه وضحَّى بابنه الوحيد على الصليب لأجله، ولن يستريح إلى أن يُخرِجه مِن عُزلته ومن جنونه ومن خوفه ومن جريمته، ويعود به ثانية إلى منْزِله وإلى مكان سلامه".

إذا أردنا أن نَعرِف من هو الإنسان، فلا يجب أن نسأل مِن أين أتى مِن الوجهة الوراثيَّة الحيويَّة، فالكتاب يقول إن الله يستطيع أن يقيم من الحجارة أولادًا لإبراهيم، ولكن علينا أن نسأل ما هو الهدف الذي لأجله دعاه خالقه إلى الوجود، وصيَّره ابنًا له. قال يسوع: «*يا أبتاه، أُريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنَّك أحببتني قبل إنشاء العالَم*» (يو ١٧: ٢٤). ويقول القدِّيس يوحنا في رسالته الأُولى: «*لكننا نَعلَم أنه متى أُظهِر نكون مثله لأننا سنراه كما هو*». في ضوء هذه الدعوة العُليا لرؤية الله والبقاء معه كل الأبد، يجب أن ننظر: مَن يكون الإنسان؟

إن الكلمة الإنجليزيَّة anthropoid والتي تعني: "شبيه بالإنسان" هي مُشتقَّة من الكلمة اليونانيَّة anthropos والتي تعني: "مخلوق ينظر إلى أعلى"، والتي تتميَّز بالضدّ للحيوان الذي طبيعته هي النظر إلى أسفل.هذا دليل على أنه لا يمكننا الإجابة على السؤال: "مَن هو الإنسان؟" بالتطلُّع إلى أسفل فقط والبحث عن الحلقة المفقودة التي تربط الإنسان بالحيوان،

coptic-books.blogspot.com

ولكن أيضًا بالنظر إلى فوق لنكتشف الحلقة المفقودة التي تربط الإنسان بالله، لأن الإنسان إنَّما خُلِق لينظر إلى فوق. هذا هو الجزء المميّز لإنسانيَّته.

إن بَحَثنَا على الرابطة التي تربطنا بالبهائم، فبالأولى علينا أن نبحث عن الرابطة التي تربطنا بالله. إن بَحَثنَا عن الرابطة التي تخبرنا عن مصدر الجزء الأسفل مِن طبيعتنا والمشتركة بيننا وبين الحيوانات، فبالأولى علينا أيضًا أن نبحث على الرباط الذي يدل على مصدر الجزء العلوي في طبيعتنا والذي نتشارك فيه مع الله.

إن الذين يبحثون عن الحلقة المفقودة بين الإنسان والحيوان يخبروننا أن هذه الحلقة لابد أن يكون لها شيء مُشتَرَك لكليهما. وعلى نفس النمط، نحن الذين نبحث عن الحلقة بيننا وبين الله نقول إن هذه الحلقة لابد أن يكون لها شيء مُشتَرَك لكلينا، لابد أن تكون إنسانيَّة وإلهيَّة، إنسان وإله معًا.

مَن يكون الحلقة المفقودة؟ أين نبحث عنه؟

يجيب الأسقف فولتون شين Fulton Sheen عن هذا السؤال بطريقة فذَّة فريدة ويقول:

"وأين نبحث عن هذه الحلقة؟ هل في كهف؟ نعم! حقٌّ للعالَم أن يبحث عن إنسان كهف Cave Man، ولكن للأسف يبحث عنه العالَم في الكهف الخاطئ، إن كنا نبحث عن النموذج الأصلي للإنسان، فلا يجب علينا أن نبحث عنه في كهف يافا Java ولكن في كهف بيت لحم، واسم إنسان الكهف المسيح، والضياء الذي يسطع في عينيه ليس ضوء حيواني يشرق على فَجر العقل، إنما نور إله آتٍ إلى ظُلمة الإنسان.."

إن وُجِد للإنسان رباط طبيعي يربطه بالمملكة الحيوانيَّة، فله أيضًا رباط روحي يربطه بالله، والمسيح هو الذي يربطنا بالله. إنه رابطنا مع العليّ.

coptic-books.blogspot.com

قال بيلاطس عن يسوع: «*هوذا الإنسان!*» إن الكلمة التي استخدمها بيلاطس هي الكلمة اليونانيَّة العاديَّة للكائن البشري ho anthropos، ولكن مما يدعو للإثارة أنه ليس بعد مُدَّة طويلة من قصَّة الصليب أن استخدم المُفكِّرون اليونانيون نفس التعبير للإنسان السماوي، الإنسان المثالي، الإنسان الكامل، الأنموذج البشري. عندما نتطلَّع إلى يسوع، فنحن ننظر إلى الإنسان المثالي، النَمَط للبشريَّة. عندما نتطلَّع إلى يسوع، الإنسان الإله، فإننا نرى أنفسنا كما يريدنا الله أن نكون. الإنسان بكون إنسان حقًّا فقط بفضل علاقته بالله في المسيح. الله صار جسدًا في المسيح حتى يمكن من خلال هذا الإنسان، المسيح، أن يجد كل الناس أنفسهم، أنفسهم الحقيقيَّة. يَرَى العهد الجديد في المسيح صورة الله الحقيقيَّة والتي نحن نتحوَّل على مثالها.

صورة الله في الإنسان

دعنا نتمعَّن الآن في بعض المفهومات العمليَّة التي يتحصَّل عليها الإنسان من خلال حَمله لصورة الله.

إن الصورة التي نحملها في أنفسنا إنَّما تُحدِّد ما سوف نصير إليه. الإنسان الذي له صورة هزيلة سوف يفشل، والشخص الذي له صورة جيِّدة سوف ينجح. قُل لإنسان باستمرار إنَّه دودة، فسوف تجده يعمل بهذه الصورة، ولكن ذكِّره أنَّه جُبِل على صورة الله، سوف تجده يحاول أن يحيا بالإمكانيَّات التي تمنحها هذه الصورة. ليس علينا أن نتوتَّر ونَقْلَق مثل إنسان يريد أن يحصل على مزيد من المال ليكون رجلاً يُذكَر، ولكننا أشخاص ذوو شأن بسبب حقيقة أن الله عملنا على صورته.

الإنسان يحتاج أن يكون له حُب حقيقي واحترام لشخصه كحامل

coptic-books.blogspot.com

لصورة الله. يكتُب نيقولاس برديف Nicolas Berdyaev:

"أحد مصادر شقاء الإنسان هو اشمئزازه من نفسه وعدم مقدرته أن يشعر بحُب نفسه. توجد محبة للذات يجب أن نشعرها بحسب وصيَّة الله. يجب أن نحب أنفسنا كما نحب خليقة الله، وأن نحب الصورة والمثال الإلهي الذي فينا. تقول الوصيَّة إنه يجب أن نحب قريبنا كنفسنا. هذا النص يتضمَّن أنه يجب أن نحب أنفسنا أيضًا وأن نحترم صورة الله داخلنا، وهذا الحُب يتعارض مع حُب الذات والتمركُز حول الأنا الذي هو جنون اعتبار الذات كَمَركَز للعالَم. إن بُغضة الذات وعدم الاحترام الكامل لصورة الله في الإنسان يجعل الشخص منقسمًا، ويؤدِّي به فحص الضمير إلى الاكتئاب والمرض الشديد وإلى كافة أنواع العُقد. أغلب الأشخاص الأردياء وسريعي الغضب والمتكبِّرين هم الذين يكرهون أنفسهم".

حَكَى رجل هندوسي حكيم خرافة لها مغزى فقَال: "تبنَّت قطعان الماعز نمرًا صغيرًا فَقَدَ أُمَّه، وإذ عاش النِّمر بينها فقد ظن نفسه معزاة. ويومًا ما أتى مَلِك النمور وسط الماعز فولَّت وهربت، وتُرِك النمر الصغير ليجابه الموقِف، ولكنه لم يكن خائفًا كما هو متوقَّع.

سأله مَلِك النمور عن الحالة المُزرِية التي هو فيها، فأخذ في الثغاء بعصبيَّة وجَرى إلى الحشيش ليأكله. أخذه مَلِك النمور إلى عين ماء وأجبره لينظُر في شكله جيِّدًا من خلال انعكاسات الماء من كل جانب ليتمعَّن هويَته الحقيقيَّة.

فشل النمر الصغير في اكتشاف ذاته، فأعطاه المَلِك قطعة صغيرة من اللحم التي رفض أن يأكله إذ كان المذاق غير مُستسَاغ له، إلاَّ أنه بعد أن تعوَّد على الأكل قليلاً قليلاً بدأت الحقيقة تَظهر له أنه من سلالة ملوك

coptic-books.blogspot.com

الغابة. بدأ في أن يضرب بذيله وأن يحفر بمخالبه في الأرض، وأخيرًا بـــدأ الحيوان في رفع رأسه عاليًا، واهتزَّت الغابة مِن زئيره".

كان هذا هو حال الإنسان قبل مجيء يسوع، لم يكن يعِي حقيقة نفسه، تصرَّف مثل معزاة بينما هو نمر. إنَّ يسوع عرَّفَ الإنسان أن فيه صورة الله، وأنه خُلِق ليتسلَّط على الأرض كمَلِك، ولا يهرب خائفًا مثل ماعز.

احترام صورة الله في الآخرين:

إن كان كل شخص يحمل صورة الله، فيجب علينا أن نُحِب وأن نحترم صورة الله لكونها موجودة في كل إنسان حتى ما يعتبره النـــاس مُنحطاً جدًّا. وكما نُكرِّم الأيقونة، هكذا وأكثـــر يجـــب أن نُبجِّـــل الإنسان الذي هو الصورة الحيَّة لله. يقول اللاهوتي ب. إفدوكيموف P. Evdokimov: "إن الإنسان هو أفضل صورة لله". حـــدث أثنـــاء الحرب العالميَّة الثانية أن أرســـل هتلـــر Hitler رســـولاً إلى مستشـــفى للمُقعدين والمشلولين ليُبلِّغ مديرها أن الحكومة على غـــير اســـتعداد أن تستمر في الصرف على صحَّة مئات من المرضَى الذين لا رجاء منهم ولا نفع للمجتمع، ويلزم التخلُّص منهم. انتصر لهم الكاهن المســـئول عـــن المرضَى في النهاية، ليس بسلاح ولكن بأن وضَّح أن هؤلاء المرضَى مـــن رجال ونساء مخلوقون على صورة الله، وأن نتخلَّص منهم فهذه خطيئـــة عظيمة ضدّ الله.

صورة الله يُعاد تجديدها في المسيح:

يجب على الإنسان أن يُقرِّر ما إذا كان يريد أن يُنمِّي جهوده وقدراته المُعطاة له كصورة لله، وأن يستمر في التقدُّم ليصير مثل الله. الكلب الماهر الذي يقود الكلاب لا يواجَه بالقرار ما إن كان يريد أن يكون قائـــدًا أَم

coptic-books.blogspot.com

لا، إنَّه هكذا أوتوماتيكيًّا. أمَّا بالنسبة للإنسان فالوضع مختلف تمامًا، إنَّ له حريَّة إرادة، ويلزمه أن يُقرِّر ما يريده. يستطيع الإنسان أن يختار أن يكون شيطانًا أو قدِّيسًا، ولهذا السبب فقط وهو أنه صورة الله، فإنه يمكنه أن ينحطّ بعيدًا جدًّا. قال باسكال Pascal: ''حتى في الإنسان الساقط يمكن أن يُرَى تعاسة السيِّد الساقط، بُؤس المَلك المعزول. إن نَظَرنا من هذه الزاوية، فحتى سقوط الإنسان؛ ولو أنه يحطُّ من قدره، إلاَّ أنه يرفعه''.

ويقول برديف Berdyaev بهذا الخصوص:

''إن قصة السقوط لا تحط من كرامة الإنسان، بل ترفعه إلى مستويات عجيبة .. إن إدراك الخطيَّة الأصليَّة تُهبط الإنسان كما أنها أيضًا ترفعه. الإنسان سقط من علو، ولكنه يستطيع أيضًا أن يرتفع إليه ثانية. في الشعور بالخطيَّة الأصليَّة لا يوجد ما يجعل الإنسان وضيعًا مثل أن يعتقد أن أصله هو الطين وأنه تافه. إن قصة السقوط هي قصة عظمة الإنسان''.

إن الكنيسة الأرثوذكسيَّة تُؤمن باستمرار أنه بينما صورة الله في الإنسان يمكن أن تفسد، إلاَّ أنه لا يمكن أبدًا أن تتلاشى. يكتُب إرنست بنْز Ernst Benz بهذا الخصوص:

''الإنسان مخلوق على صورة الله. إنه يحمل أيقونة الله في نفسه. هذا الاعتقاد رئيسي في اللاهوت الأرثوذكسي وعِلم الإنسان. إنَّ إدراك أن الإنسان مدموغ بصورة الله منذ يوم الخلقة هو فكر سائد، لدرجة أن فكرة الخطيئة الأصليَّة لم يمكنها أن ترسخ في الفكر الشرقي كما هي عليه في الفكر الغربي. الخطيئة تُعلن نفسها كتشويه، تدمير، عدوَى، إفساد لصورة الله، ولكن لا يمكنها أن تسلب الإنسان من شرفه الأصلي، وهذا هو سبب وجوده المستمر على صورة الله''.

بينما يمكن أن تتشوَّه صورة الله في الإنسان بالخطيَّة، إلاَّ أنه لا يمكن

coptic-books.blogspot.com

أن تتشوَّه إلى هذه الدرجة من السوء التي تجعل من غير الممكن إعادة تجديدها وشفائها واستكمالها مرَّة أُخرى بالمسيح.

من الصورة إلى المثل (الشَّبَه)

يُميِّز الآباء الذين كَتبوا باليونانيَّة بين التعبيرين: صورة IMAGE ومِثل (شَبَه) LIKENESS ويقولون إن الإنسان مخلوق على صورة الله ولكن ليس على شبَهه، ومهما كان الإنسان خاطئًا فإنه لا يفقد أبدًا صورة الله. أمَّا شَبَهُنا بالله، فهذا يتوقَّف على اختيارنا الأخلاقي، وهذا الشبه يُمكن أن ينهدم بواسطة الخطيَّة. إن صورة الله في الإنسان تدلّ على الإمكانيَّات التي تُمنَح لكل إنسان من الله في لحظة وجوده، أمَّا الشبه بالله، فعلى العكس، ليس هو هبة يمتلكها الإنسان من البداية، ولكن هدفًا لابد أن يَصبو إليه. يقول يسوع: «*كونوا كاملين كما أنّي أنا كامل*». ولأننا على صورة الله، فإنه يمكننا أن نعرف الله وأن يكون لنا شركة معه. إن استخدم الإنسان هذه الإمكانيات صحيحًا للشركة مع الله، فإنه سوف يصير مِثل الله، سوف يحوز الشبه الإلهي. قال الوجودي سارتر Sartre: "توجدُ في الإنسان أصلاً رغبة ليصير إلهًا". إنَّ هذا يُشكِّل جزءًا من سِرّ الإنسان، فهو وقد خُلق على صورة الله، فهو مدعو أن يُحقِّق في نفسه كمال الحُب، الذي هو الاتحاد بالله.

لم تقبَل الكنيسة الأُرثوذكسيَّة أبدًا نظريَّة القدِّيس أُغسطينوس (والتي قُبِلَت عمومًا في الغرب)، وهي أن الإنسان قد مُنِح منذ البداءة كل حكمة ومعرفة ممكنة، أي كمالاً مُحقَّقًا وليس كامنًا. إن نظرة الكنيسة الأرثوذكسيَّة هي النظرة الفعَّالة الديناميكيَّة التي تبنَّاها القدِّيس إيرينيئوس، وهي أن الإنسان إذ قد جُبل على صورة الله، له المقدرة أن يتقدَّم من الصورة إلى الشبه. إن هدفنا هو أن ننمو إلى شبه الله بتتميمنا إرادته. هذا

coptic-books.blogspot.com

يُفسِّر التأكيد في اللاهوت الأُرثوذكسي على تأليه الإنسان، الذي يعني أن الإنسان يقدر من خلال يسوع المسيح والروح القدس أن يرتفع من حياة البشريَّة الساقطة إلى حياة الله ذاتها.

يُفسِّر أبراهام هزكِل Abraham Heschel فكرة أن الإنسان قد خُلق على صورة الله كالتشابه بين الوجود being والفِعل doing، فحيث إن الإنسان مخلوقٌ على صورة (وجود - كينونة)، فهو مدعو أيضًا ليعمل، أن يعمل مِثل الله: «*كونوا رحماء كما أن الله رحيم*».

صورة مُنعَكِسة:

يقول برونر Brunner إن أهم ما في المرآة هو ما تعكسه، فحتى يكون الإنسان صورة حقيقيَّة لله، يجب عليه أن يشخص في المسيح ويعكسه في حياته. ولكي يفعل هذا يجب أن يقف في وضع علاقة إيمانيَّة صحيحة مع المسيح. المرآة لا تعكس صورتنا إلاَّ إن وقفنا أمامها. إن كان الإنسان لا يعمل كما لو كان قد خُلِق على صورة الله، فهذا بسبب أنه ليس على علاقة حقيقيَّة صحيحة مع المسيح. إنه يعكس العالَم، يعكس الذات الخاطئة، ولكنه لا يعكس الإنسان المثالي. كل إنسان يعكس صورة الإله الذي يعبده: «*ونحن جميعًا ننظر ونعكس كما في مرآة مجد الرب، لذلك نحن نتغيَّر إلى صورته الشخصيَّة من مجد إلى مجد*» (٢كو ٣: ١٨ ترجمة حسب النص).

قد نكون مرآة باهتة فاقدة بريقها، ولكن إذ ننظر مجد الله، فإننا نعكسه أيضًا، وبعكسنا إيَّاه، نتحوَّل نحن يومًا فيومًا من مجد إلى مجد.

مِن آدم إلى المسيح:

خُلِق آدم الأوَّل على صورة الله، أمَّا المسيح - آدم الثاني - فلم يُصنع

coptic-books.blogspot.com

على صورة الله لأنه هو الصورة عينها. إنَّ صـــورة الله في آدم تشـــوَّهت بسبب الخطيَّة، أمَّا صورة الله في المسيح فهي أصليَّة أزليَّة. إذًا أصبح لدينا صورتان لله؛ الصورة الآدميَّة وصورة الله في المسيح. الإنسان آدم كـــان يُعبِّر عن الإنسان المتمركِز حول نفسه والمهتم بمقامـــه وقوَّتـــه ونجاحـــه وتقدُّمه، أمَّا يسوع فهو الإنسان الذي يعيش للآخرين، الذي هدفه ليس أن يسود أو يُخدَم ولكن أن يَخدم. إن آدم الأول نشيط في كـــل منَّـــا، وهدف الحياة المسيحيَّة هو الانتقال من الإنسان آدم إلى الصورة المشـــابهة للمسيح. هذا هو عمل الروح القدس، العمل الذي - بحسب القـــديس بولس - يبدأ في المعموديَّة ونتيجته: "الخليقة الجديدة" التي تنمو أكثـــر وأكثر إلى شبه المسيح (رو ٦: ٤، ٢كـــو ٥: ١٤-١٥، ١٧: ٢١، أف ٤). المسيح إذ هو ابن الله الوحيد؛ فهو الوحيد الذي أعاد تجديد صـــورة الله في الإنسان بموته وقيامته وصعوده وإرساله للروح القدس. خارجًا عن المسيح ننتهي إذ نصير حاملين لصورة مُشوَّهة.

كان النحَّات العظيم بورجلم Borglum يقوم بنحت تمثال للـــرئيس أبراهام لنكولن لوضعه في مبنى البرلمان الأمريكي، وعندما لاحظت المـــرأة المسئولة عن نظافة الأستوديو ذات صباح أن قطعة الرخام القديمـــة الـــتي كانت موجودة فيه لسنوات طويلة أصبحت فجأة رأس لنكولن تنهَّـــدت وقالت: "كيف علم السيد بورجلم وهو في العالَم أن أبراهـــام لنكـــولن موجود في هذه الكتلة الرخاميَّة القديمة؟"

ونحن قد نسأل حسنًا: كيف علم الرب أن بطرس الصـــخرة كـــان موجودًا في بطرس المُتَزعزع؟ كيف علم الرب أن القديس بولس كان في شاول المُضطهِد؟ هو يعرف لأنه صورة الله في كل واحد منَّا، وهو يعرف القوَّة الكامنة في هذه الصورة.

coptic-books.blogspot.com

قُوَّة كامنَة:

أن يُخلَق الإنسان على صورة الله، فهذا يعني أنه يُمكنه أن يصير مثلَ الله. إن له صفات مُشابهة لله، له وزنات عظيمة وقدرات فائقة وضعها الله فيه، لم يُقصد للإنسان أن يزحف عبر الحياة ليذبل ويجبن في وجه الصعوبات، إنه خُلِق ليكون مَلِكًا. الله يقول: "ويتسلَّطون".

الإنسان كنائب عن الله:

أن يكون الإنسان صورة الله، فهذا يعني أيضًا أن ينوب عن الله في الأرض، وُظِّفَ الإنسان ليعمل عمل الله في العالَم. قال جنديان بريطانيان أثناء الحرب العالميَّة الأولى وهما ينظران إلى الخنادق المُوحلة وإلى الأجساد المكسورة الملقاة فيها: "أين الله الآن؟" وإذ بشخصين حاملَيْن نقَّالة جرحى وهما صاعدَيْن من داخل الخندق وهما يحملان جنديًّا مجروحًا وهو يئن من الألم يقولان لهما: "انظرا الله الآن موجود هنا". الله يعمل من خلال صورته، وهو يحمل نقَّالة الجرحى ليأتي بالإسعاف والنجاة والشفاء. قد يسأل الأطفال الجائعون نفس السؤال: "أين الله الآن؟"، لكن عندما تحمل لهم الكنائس والهيئات المساعدة الطعام، سوف يقول الأطفال بالتأكيد: "الله هنا الآن". الله يعمل في العالَم من خلال صورته الحيَّة: الإنسان.

يلزم أن أصير مثله:

عاد جندي إلى منْزله بعد الحرب وهو مُشوَّه الوجه، وكان مغمومًا جدًّا ومرّ النفس حتى تمنى لنفسه الموت، وافَقَ طبيب تجميل ذات يوم على أن يُحاول ليستعيد لهذا الشاب وجهه إنْ أمدَّ الشابُ الطبيبَ بصورة فوتوجرافيَّة تبيِّن الشكل الذي يريد أن يعود إليه. أمَّا الشاب ففي قنوطه قال: "أما تستطيع أن تعمل أفضل من هذا، إنني لم أنظر شكلي من قبل وليست لي صورة، لماذا لا تستخدِم الصورة التي على الحائط؟ وكانت

coptic-books.blogspot.com

هذه صورة للسيد المسيح". استخدم الطبيب فعلاً الصورة كنموذج، وعندما رُفِعَت الأربطة عن وجه المريض، رأى الشاب وجهًا آخر مختلفًا تمامًا عن وجهه القديم قبل التشوُّه، وجهًا يشبه بشِدَّة الصورة التي على الحائط، وفي تلك الليلة فإنه قرَّر: "مادمتُ أُشبهه، فهناك شيء واحد عليَّ أن أعمله، أن أصير مثله".

أليس هذا هو هدفنا في الحياة كمسيحيين أن نتقدَّم من صورة الله إلى الشبه بالمسيح عن طريق نعمة الروح القدس؟

coptic-books.blogspot.com

نؤمن برب واحد يسوع المسيح

تناقشت مجموعة من الكتاب الإنجليز عمَّا كانوا يفعلونه إذا ما دخل الحجرة فجَأة بعض أبطال التاريخ. ماذا كانوا يعملون لو ظهر أمامهم "شكسبير" أو "دانتي"؟ ، وأخيرًا سأل واحد منهم: "ماذا كنا نعمل لو ظهر أمامنا يسوع؟" أجاب واحد من الجماعة وهو شارلس لامب Charles Lamb: "إذا دخل شكسبير هذه الحجرة، سوف أنهض لأقدِّم له التكريم، ولكن إذا دخل يسوع، فسوف أسقط على الأرض وأسجد له".

ثم وضَّح شارلس لامب الفرق بين يسوع وبين رجال التاريخ العظماء. إن عَظَمَة الناس تدعونا لأن نقدِّم تكريمًا لهم؛ أمَّا عَظَمَة يسوع فتدفعنا إلى الركوع سجودًا له.

إن الفقرة التالية من قانون الإيمان النيقاوي تتعلَّق بموضوع يسوع: "وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، نور مِن نور، إله حق مِن إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء".

قيل إن القانون النيقاوي يحتوي ١٠١ كلمة يونانيَّة منها ٨٤ كلمة تتعلَّق بالابن. إنَّ التأكيد السائد بشِدَّة في القانون هو عن المسيح.

يقول القدِّيس يوحنا باستمرار إن المسيح هو الكلمة، وهذا التعبير ملائم تمامًا. إن الإنسان إن لم ينطق كلمة فنحن لن نعرفه، إن الكلمات تُوصِّل معنى، إنها تُمَكِّن الآخرين أن يعرفوا ما في فكرنا. وكما أن الكلمات تُعَبِّر عن أفكارنا الداخليَّة، هكذا المسيح - كلمة الله - يُوصِّل لنا أفكار الله. جاء المسيح على الأرض ليكون: "لُغَة" الله في المخاطبة مع الإنسان. أُعيدَ في المسيح مَرَّة ثانية الحوار والتخاطُب مع الله.

coptic-books.blogspot.com

ربّ:

يمضي قانون الإيمان ليعلن لنا من هو يسوع. إنه يصفه أنَّه **رب**، نفس الكلمة التي استُخدِمت على مدى العهد القديم عن الله. إنها الكلمة التي استخدمتها الكنيسة الأولى في بكور نشأتها عن يسوع المُمجَّد لتُعبِّر في غير جدل أو جدال أنه الخالق المطلَق ومالك وملك الكون بأسره، هو السيِّد ونحن العبيد، وكما ذُكِر من قبل، فإن واحدة من عقائد الكنيسة هي أن: «*يسوع رب*» (رو ١٠: ٩، ١كو ١٢: ٣، كولو ٢: ٦).

إن اختبار ما إذا كان يسوع هو ربنا حقيقة، أو ما إذا كان هو مُجرَّد تلاوة في قانون الإيمان، هو أن نحيا له، إذا كنا نأخذ أوامر قيادتنا وسيرنا منه. إنها أعمالنا وليست أقوالنا وتلاواتنا هي التي تتوِّجه ربًّا. وعلى سبيل المثال، كم يكون عدد الناس الذين يمكنهم أن يخمِّنوا أن يسوع هو ربنا من مُجرَّد نظرهم إلينا؟ يقول يسوع: «*ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات*» (مت ٧: ٢١). إنَّ كثيرين من المسيحيِّين في هذه الأيام يقولون إن يسوع ربًّا لهم لمجرَّد ٥٠ سنتًا أو دولارين يضعونها أسبوعيًّا في صندوق الكنيسة. إنه رب لسبب مُجرَّد توفير ساعة واحدة له يوميًّا صباح كل أحد، هذا إن لم يكن الجو ممطرًا أو مُثلجًا. إنه يكون ربًّا طالما يَدَعنا نعمل ما نريد. إننا نعطيه الوقت، الوزنات، النقود التي تتبقَّى لدينا بعد أن نهتم لا أن نكمل احتياجاتنا فقط بل أيضا مسرَّاتنا، ثم بعد ذلك، ندعوه ربًّا. إمَّا أن يكون يسوع ربًّا أم لا، وإن كان ربًّا فإنه يستحق أن نكون له بالكلِّيَّة.

يسوع:

نأتي بعد كلمة: "رب" إلى كلمة: "يسوع". هذا هو الاسم الذي

coptic-books.blogspot.com

أُملى من السماء للطفل المولود في مذود بيت لحم. قال الملاك لمريم: «*لا تخافي لأنك وجدتِ نعمة عند الله، وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابنًا وتسمِّينه يسوع*» (لو ١: ٣٠ و٣١). إن يسوع هو الكلمة اليونانيَّة للاسم: "يشوع" الذي يعني: "الله مُخلِّص". كما يوجد توضيح أكثر لاسم يسوع في (مت ١: ٢١) «*وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم*». هل يوجد اسم أثمن من يسوع؟ إن يسوع هو الاسم الذي عند ذِكْره تنحني كل الأشياء؛ مَن في السماء ومَن على الأرض، ومَن تحتِ الأرض. اسم يسوع هو الذي يجلب الراحة للمُتعَبين، القوَّة للضعفاء، الشجاعة للخائرين، الرجاء لليائسين، الغفران للخطاة، والحياة للموتى. إن يسوع هو الاسم الذي هو فوق كل الأسماء؛ الاسم الذي أصبح صلاة تُعبِّر عن وتشبِع احتياجات نفوسنا. الاسم الذي عند الدعاء به في الصلاة يبدأ ما هو مستحيل أن يصير ممكنًا.

قال واحد ذات مرَّة: إذا كنتَ تكتب قصيدة ولم تستطع أن تُخرجها صحيحة وتصرخ: "ساعدني يا وليم شكسبير"، لن يحدث شيئًا. إذا شعرتَ بالقلق والخوف، قد تُفكِّر في بطل شجاع من أبطال الماضي وتقول: "يا نابليون ساعدني"، لن يحدث شيئًا. ولكن إن بَلَغتَ آخر حَبْل في حياتك وصرختَ بإيمان: "يا يسوع أعني"، فإن ملايين قد اكتشفوا أن شيئًا ما قد حدث. توجد قوَّة حيث يكون ضعف مِن قَبْل. توجد رغبة في الحياة بعد أن كانت هناك رغبة في الموت.

قالت امرأة بعد أن قرأت كلمات يسوع في الإنجيل: "عندما بدأتُ القراءة كنتُ أرغب في الموت، أمَّا بعدما انتهيتُ فقد رغبتُ الحياة". يسوع أعطاها الرجاء. استدعى سِكِّير طبيبه النفساني وقال له: "لقد فقدتَ يا عزيزي مريضًا، إن يسوع أنقذني من الشُّرب، لقد صرتُ إنسانًا

coptic-books.blogspot.com

جديدًا". أجابه الطبيب: "هذا شيء جيِّد، لعلّي أجد معونة حيث وجدتَها أنت، أنا لستُ سكّيرًا ولكن لي احتياجاتي ومشاكلي الخاصة".

«وتدعو اسمه يسوع لأنه يُخلِّص شعبه من خطاياهم».

المسيح:

الاسم التالي الذي يستعمله قانون الإيمان ليسوع هو: "المسيح". إن كلمة المسيح يونانيَّة الأصل وتعني: "الممسوح"، وهي تُنسب إلى العادة القديمة لمسح الشخص الذي يُكرَّس لمركز عالٍ، مثلما مَسَحَ صموئيلُ داودَ باسم الرب من قبل أن يصير ملكًا. إن كلمةً "المسيح" اليونانيَّة يُقابلها في العبريَّة كلمة "مسيَّا"، والتي تعني أيضًا كلمة الممسوح. من المهم أن نتذكَّر أن لقب المسيح يعني أيضًا المسيا أو الممسوح، لأن هذا يعني أنه عندما ننطق بالكلمات: "يسوع المسيح"، فإننا نعترف بجوهر إيماننا كمسيحيِّين. وحيث إن: "يسوع" هو الاسم، و"المسيح" هو اللقب، فإننا عندما نضع الكلمتين معًا ونقول: "يسوع المسيح"، فنحن نعترف بإيماننا أن يسوع هو المسيَّا، الشخص الممسوح من الله لِيُنقذ شعبه كما أعلن القدِّيس بطرس من قبل: *«أنتَ هو المسيح ابن الله الحيّ»* (مت ١٦: ١٦).

ذهب جندي يهودي كان يَحْضَر الخدمات المسيحيَّة إبَّان الحرب العالميَّة الثانيَّة إلى رابِّيَ (معلِّم يهودي) وسأله عن الفرق بين مسيَّا اليهود ويسوع المسيحيين، فشرح له الرابِّي: "الفرق أننا نحن اليهود نعتقد أن المسيَّا سوف يأتي بعد، بينما يؤمن المسيحيون أنه قد جاء في شخص يسوع"، وعلى هذا سأل الجندي سؤالاً ليست له إجابة: "ولكن رابِّي، متى جاء مسيانا، ماذا سيكون له مما لم يكون ليسوع؟ هل سيكون له حُبٌّ أكثر؟ أو صلاحٌ أكثر إيجابيَّة، أو قوَّة معجزيَّة أعظم؟ أو حياة أكثر

coptic-books.blogspot.com

نقاءً؟ أو غفران إلهي أكثر؟ أو استقامة حياة كاملة أكثر؟"

كان لليهود القُدماء مِثل هذا التبجيل والخوف والاحترام العظـــيم لله حتى أنهم لم يكونوا يريدوا أن ينطقوا اسمه. الله نفسه بدَّد هذا الخوف بأن أعطانا اسمه في كلمتين مِن أجمل الكلمات التي عرفها الجنس البَشَـــري: "يسوع المسيح"، كلمات تجعل حضور الله حقيقيًّا، وتُحضِره في قلوبنا كل يوم.

يقول جيليس فلتشر Giles Fletcher كلماته الرائعة عـــن يســـوع المسيح:

"هو الطريق لكل ضالّ،
هو الثوب لكل عارٍ،
هو الخبز لكل جائع،
هو الحُريَّة لكل مأسور،
هو القوَّة لكل ضعيف،
هو الصحَّة لكل مريض،
هو الرُّؤية لكل أعمى،
هو الثروة لكل محتاج،
هو الحياة لكل ميت،
هو يسوع المسيح".

coptic-books.blogspot.com

ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور

يمضي قانون الإيمان ليضيف إلى تعريفه لشخص يسوع المسيح أنه: "ابن الله الوحيد، المولود من أبيه قبل كل الدهور.. مولود غير مخلوق". مِن الكلمات الهامة هنا: "مولود غير مخلوق". إنها تخبرنا بشيء هام جدًّا عن يسوع.

مِن خلال المعموديَّة المقدَّسة والإيمان بالمسيح نصبح جميعنا أبناء لله، ومع ذلك يظل يسوع هو ابن الله الوحيد والفريد، الـ "مولود غير مخلوق". يعطي الفيلسوف س. إس. لويس C.S. Lewis شرحًا مدهشًا للمعنى العميق لهذه الكلمات عندما يكتب:

"إننا لا نستخدم كثيرًا الكلمة مولود في اللغة الإنجليزيَّة الحديثة، ومع ذلك فكل واحد منا يعرف معنى الكلمة. أن تلد، فهذا يعني أنك تصير أبًا لِمن تلده، أمّا أنَّك تخلق فهي تعني أن تصنع؛ والفرق واضح، فعندما تلد، إنك تنجب شخصًا من نفس نوعك، فمثلاً الإنسان يلد أطفالاً بشريين، الأسد يلد أشبالاً صغيرة، أمَّا عندما تصنع شيئًا، فإنك تعمل شيئًا مختلفًا عن نفسك، فالأسد مثلاً يصنع عرينًا، الإنسان يعمل شبكة لاسلكيَّة ..

هذا هو أول شيء يلزم إيضاحه، إن ما يلده الله هو إله تمامًا مثلما يلد الإنسان إنسانًا، وما يصنعه الله ليس إلهًا، تمامًا مثل أن ما يصنعه الإنسان ليس إنسانًا. هذا هو السبب في أن البَشَر ليسوا أبناءً لله بالمعنى الذي يتضمَّنه المسيح (من جهة علاقته بأبيه). قد يكون البَشَر أبناء لله مِن جهة

coptic-books.blogspot.com

طرق مختلفة، ولكنهم ليسوا من نفس النوع (الجوهر)" مثل الله أبيهم[٢].

لذلك، فإن يسوع هو ابن الله الفَريد الوحيد، إنه مولود مِن الآب قبل كل الدهور. يقول يسوع: «*قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن*» (يو ٨: ٥٨). إنه مولود من الآب منذ الأزل، وبتعبير آخر، فإن ما يلده الله الآب هو إله، إنه مِن نفس النوع مِثله. ونحن أيضًا أبناء لله، ولكننا لسنا مولودين منه مثل يسوع. نحن أبناء الله المَخلوقين، أمَّا يسوع فهو فقط الذي يمكن أن يُقال عنه: «*الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حِضن الآب هو خبَّر*» (يو ١: ١٨).

(٢) المسيح ابن الله بالطبيعة، بينما الإنسان ابن الله بالتبني.

coptic-books.blogspot.com

نور مِن نور

قال ملِك وثني لمعلِّم (رابِّي) يهودي: إن لم تُحضِر إلهك في القصر، فسوف تُدحرَج رقبتكَ في الشوارع.

قال له الرابِّي: "بالتأكيد أيها الملِك العظيم، ولكن دعنا نخرج أولاً إلى الشمس المُشرقة لأُريك شيئًا".

ذهب معه الملِك، فقال له الرابِّي: "حدِّق في الشمس أيها الملك". حاوَلَ الملِك جاهِدًا أن ينظر ولكنه لم يقدر، فقال للرابِّي: "إنني لا أستطيع أن أنظر إلى الشمس فهي تُؤذي عينيَّ".

قال له الرابِّي: "أخبِرني بحقِّ السماء كيف تتوقَّع أن ترى وجه الله وجهًا لوجه، إن كنتَ لا تقدر حتى أن تنظر إلى الشمس التي هي مجرَّد واحدة من الأشياء الكثيرة التي خلقها الله؟"

إن الله هو شمسنا بطرق متعدِّدة، فهو يبعث الضوء في أُعجوبة الدُّنيا التي هي الحياة، إنه مصدر الطاقة لنا، إنه يجعل الحياة والنمو ممكنَين. ولكن بحسب قِصَّة الرابِّي فإن الله يُضِيء بشدَّة لدرجة يتعذَّر معها للإنسان أن ينظر إليه وجهًا لوجه، بل وحتى الملائكة - السيرافيم - يُغطُّون أعينهم بأجنحتهم في حضرته. أمَّا الله، ففي محبته اللانهائيَّة فإنه عمل شيئًا غير محدود بخصوص ضوئه وبهائه الفائق، فإنه صار إنسانًا في يسوع، حتى يمكن بتلك الوسيلة أن يخفض بهاءه العظيم كي يمكننا أن نراه وجهًا لوجه ونرى: «*مجده، مجدًا كما لابن وحيد أبيه*» (يو ١: ١٤). يقول يسوع: «*أنا هو نور العالَم. مَن يتبعني فلا يمشي في الظُّلمة بل يكون له نور الحياة*» (يو ٨: ١٢). مَن يتبع يسوع اليوم يكون له نور الحياة، ولن يتيه

coptic-books.blogspot.com

في ظُلمة الحيرة، إنه يعرف أبعاد الحياة، ويعرف ما يتوقّعه بعد القبر، ويوجَد داخله لهيبٌ يُسبِّب تجلِّيًا لوجهه وحياته، لأن داخله يعيش الإله الذي هو: "نور مِن نور". يقول القدِّيس كليمنضس الروماني: "إننا مِن خلال المسيح نرى - كما في مرآة - وجه الله البارِع النقي، ومن خلاله تتفتَّح عيون قلوبنا، ومن خلاله يشع بالنور ذهننا المُظلِم، ومن خلاله نذوق المعرفة غير المائتة ... ".

coptic-books.blogspot.com

مساوٍ للآب في الجوهر
Consubstantial

إن يسوع هو مِن نفس طبيعة substance وجوهر essence الآب، وهذا ما تعنيه عبارة: "واحد .. في الجوهر consubstantial" أي من نفس الطبيعة. مهما كان الشيء الذي يَعمل شيئًا حقيقيًّا real فهو يُسمَّى مادَّة – طبيعة – substance ، لذلك فإنَّ كل ما يَكُونَهُ الله هكذا يكونه المسيح. إن قانون الإيمان لا يقول إن يسوع مِن طبيعة مُشابِهة، ولكنه مِن نفس طبيعة الآب. يقول يسوع: «*أنا والآب واحد*» (يو ١٠: ٣٠)، لذلك فإنَّه لا يوجد أي شك في أذهاننا مِن أن يسوع المسيح هو إله كامل.

كما يشرح أيضًا جورج فوريل George W. Forell ماذا تعني عبارة: "مساوٍ للآب في الجوهر" فيقول:

"ماذا يمكن أن تعني هذه العبارة العويصة المُبهَمة؟ إنَّها ترجمة للكلمة اليونانية homoousios والتي هي من أصعب الكلمات والتي حدث بسببها جِدال في اللغة اليونانية. في الجدال والمحاورة والنقاش الذي أدَّى إلى وضع نَص قانون الإيمان، كان هناك بعض اللاهوتيِّين الذين صمَّموا على أن الكلمة المناسب استخدامها هي: homoios والتي تعني: "مُشابه"، وآخرون أيضًا حاولوا أن يُسوُّوا المناقشة فتوسَّطوا باستخدام كلمة homoiousios والتي تعني: "مُشابه في الجوهر"، وهكذا أصبح لدينا ثلاث كلمات: homoousios والتي تعني: "مساوٍ للآب في الجوهر أو مِن نفس الجوهر"، والثانية كلمة homoios والتي تعني: "مشابه"، والثالثة كلمة homoiousios والتي تعني: "من جوهر مشابه". الكلمة

coptic-books.blogspot.com

الوُسطى تمَّ رفضها تمامًا في المناقشة التي تركَّز الجدال فيها بين الكلمتين الأولى والثالثة والخلاف بينهما كان في حرف يوتا ι الصغير. كم من مسيحيين قَبِلوا النفي بل وحتى الموت ليحافظوا على استبعاد هذا الحرف الصغير من قانون الإيمان، ومن الغريب جدًّا أن أكثر المحاربين غيرةً للمحافظة على القانون القديم لم يكونوا هُم اللاهوتيين المُتضلِّعين السوفسطائيين، بل رجالاً بسطاء مثل اللاهوتي الفلاح لوسيفر Lucifer أسقف ساردينيا. وقبل أن نتَّهم غيرتهم وحماسهم بالجنون، فإننا نَعلَم جيِّدًا من مواقف تقابلنا أن مجرَّد تغيير حرف قد يُسبِّب اختلافًا كاملاً في المعنى. وعلى سبيل المثال فنحن نَعلَم من عِلم الكيمياء أن غاز ثاني أكسيد الكربون يُرمز له (ك أ٢)، وهذا الغاز غير ضار وهو موجود كمادَّة مُهضِّمة في المشروبات الكربونيَّة، أمَّا غاز أوَّل أكسيد الكربون والذي يُرمز له (ك أ) فهو عديم الرائحة ويوجَد في عادِم أبخرة العربات ويُسبِّب المئات من الوفيَّات كل عام. بتغيير (ك أ٢) إلى (ك أ) في ماء الصودا، فإن فقاقيع الغاز تتحوَّل إلى غاز سام. وهكذا يمكننا أن نفهم الآن أنه بإضافة حَرف الـ i إلى كلمة homoousios لتصير homoiousios فإننا نُحوِّل العقيدة والإيمان المسيحي إلى مقولة وثنيَّة.

إن الاعتراف بأن يسوع المسيح هو مساوٍ للآب في الجوهر يُؤمِّن وحدانيَّة الله، وكذلك الجَزم بأن المُخَلِّص هو ابن الله الوحيد. وهكذا فإنَّ دقَّة وإحكام وضبط اللُّغة اللاهوتيَّة ليس هو تماحُكًا أو تشاحُنًا على أمر زَهيد، إنَّما قد حَمَى الكنيسة بالفعل ضد الغرق بدون اكتراث في مُستنقَع التديُّن عديم التقوى".

coptic-books.blogspot.com

إلهٌ حقٌّ مِن إلهٍ حقّ

مَن يكون يسوع هذا الذي يقول: «*أنا والآب واحد*» (يو ١٠: ٣٠)، وأيضًا: «*مَن رآني فقد رأى الآب*» (يو ١٤: ١٩)؟

مَن يكون هذا الذي يقول إنه موجود قبل أن يولَد إبراهيم: «*قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن*» (يو ٨: ٥٨)؟

مَن هذا الذي يُعلِن أن جميع نبوَّات العهد القديم الخاصَّة بالمسيَّا قد أُكمِلت فيه؟

مَن هذا الذي قال عنه أعداؤه إنه لم يتكلَّم أحد قط مثله؟

مَن هذا الذي يتَّخِذ لنفسه السُّلطة الفائقة ليُعلِن الدينونة النهائيَّة على البَشَر (مت ٧: ٢١ - ٢٣)؟

مَن هذا الذي يُساوِي صوته بصوت الله المُتكلِّم في العهد القديم ويقول: «*سمعتُم أنه قيل للقدماء لا تقتُل.. وأما أنا فأقول لكم إن كل مَن يغضب على أخيه باطلاً يكون مُستوجِب الحُكم*» (مت ٥: ٢١-٢٢)؟

مَن هذا الذي لم يقُل: "سوف أُريكُم أو أُعلِّمكُم أو أقودكم إلى الطريق والحق والحياة" بَل قال: «*أنا هو الطريق والحق والحياة*» (يو ١٤: ٦)؟

مَن هذا الذي يقول: «*أنا هو الألِف والياء، البداية والنهاية*» (رؤ ٢١: ٦)؟

مَن هذا الذي هدَّأ العاصفة على بحر الجليل، وشفي المرضَى، وأعاد الأموات إلى الحياة؟

coptic-books.blogspot.com

مَن هذا الذي نعترِف بميلاده كل عام ونؤرِّخ الزمن باسمه ٢٠٠٥م؟

مَن هذا الذي يقول عنه القدِّيس بولس الرسول: «*أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوِّيني*» (في ٤: ١٣)؟

مَن هذا الذي يقول: «*إن سألتم شيئًا باسمي فإنِّي أفعله*» (يو ١٤: ١٤)؟

مَن هذا الذي يقول: «*السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول*»؟

مَن هذا الذي يقول: «*أنا هو خبز الحياة.. أنا هو نور العالَم.. أنا هو الباب.. أنا هو الراعي الصالِح.. أنا هو القيامة والحياة*»؟

مَن هذا الذي يقول: «*تعالوا إلَيَّ يا جميع المُتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم*» (مت ١١: ٢٩)؟

مَن هذا الذي يقول عنه القدِّيس بولس: «*كلُّ شيء به وله قد خُلِق*» (كو ١: ١٦) وأيضًا: «*فيه يَحلُّ كلّ ملء اللاهوت جسديًّا*» (كو ٢: ١٩)؟

مَن يكون هذا؟

يقول البعض إنه مُعلِّم أخلاقي عظيم، وأعظَم مُعلِّم عُرِف قاطبة، ولكنه ليس إلهًا. ولكن كيف يُمكِن أن يكون مُجرَّد مُعلِّم وليس إلهًا، بينما هو نفسه علَّم أنه هو الله؟ لذلك إن كنتم تقولون إنكم تؤمنون بشخص ما أنه عظيم، فيجب عليكم أن تَقبَلوا تعليمه، ويسوع يُعلِّم بوضوح أنه هو الله. لا يمكنكم أن تَقبَلوه كمُعلِّم ولا تَقبَلوا تعليمه. وبكلمات أُخرى إن الاختيار أمامنا هو هذا: إمَّا أن يكون هو ما يقوله بأنَّه الله، وإمَّا أن يكون مجنونًا. أيّ إنسان يقف ويدَّعي ما عمله يسوع، فإمَّا أن يكون ما يدَّعيه وإمَّا أن يكون مُختلّ العقل.

coptic-books.blogspot.com

مَن يكون يسوع إذًا ؟

إن آباء الكنيسة الأولى أعطونا الإجابة بتأكيد تام وقاطِع: **إله حق مِن إله حق**. هذا هو ما قالوه وأعلنوه في قانون الإيمان النيقاوي.

مع مَن نتقابَل في المسيح ؟

إننا نتقابل في المسيح مع الله، كما أننا نتقابَل أيضًا مع أنفسنا كما يريدنا الله أن نكون، أي النَمَطَ الإلهي للإنسان. يقول يسوع: «*كونوا أنتُم كاملين كما أني أنا كامِل*».

إن أهم قرار يلزَم للإنسان أن يتَّخذه في الحياة هو: هل هو مع أو ضد يسوع، قُل: "نعم" ليسوع إنه ربّ وأنتَ تحصل على النور والحياة والغفران والفرح والأبديَّة. قُل له: "لا" وأنتَ تطرح عنك كل هذه.

يتصوَّر ر. ل. بروكبرجر R. L. Bruckberger الله الآب يقول عن يسوع:

"حيث إنني قد قلتُ لكم كل شيء في كلمتي الذي هو ابني، لم يعُد هناك كلمات أُخرى أقولها أو أُعلنها بعد هذا. ثبِّتوا أعينكم فيه فقط، لأن فيه قد قلتُ لكم كل شيء. فيه سوف تجدون أكثر مما تطلبون أو تفتكرون. إذا ما ثبَّتم عيونكم عليه سوف تجدون كل شيء، لأنه هو كلمتي وهو إجابتي، إنَّه إعلاني ورؤيتي الكامِلَيْن.

منذُ اليوم الذي نزلتُ فيه عليه مع روحي القدوس لأُعلن على جبل تابور: «*هذا هو ابني الحبيب .. له اسمعوا*» (مت ١٧: ٥)، فإنني قد تركتُ جانبًا جميع أنواع التعاليم القديمة وتبعيَّاتها وقد أُعطيتُ له الكل. اسمعوه فلم يعد لديَّ إيمان آخر لأُعلنه، وإذا تكلَّمتُ، فلكي أُبشِّركم بيسوع الذي يوجد فيه كل الصلاح".

coptic-books.blogspot.com

قال المُبشِّر جون ج. باتون John G. Paton بعد أن وصل إلى جزيـــرة نائية مع زوجته الشابة، حيث دفنها بيديه بعد أشهر قليلة من وصـــولهما: ”كدتُ أُجنُّ وأموتُ بجوار هذه المقبرة المنعزلة، لولا المسيح الذي منحني عزاءه وحضوره“.

مَن يكون يسوع هذا ؟

إنه حقًّا: ”ابن الله الوحيد، المولود مِن الآب قبل كل الدهور، نور مِن نور، إله حق مِن إله حق.. الذي به كان كل شيء“.

إنه أفضل مفتاح لحلّ لغز طبيعة وصفات الله. إنه يفي بكل احتياجات طبيعتنا البَشَرِيَّة.

إنه اللوغوس – كلمة الله – الذي يُوصِّل لنا أفكار الله، إنه حقًّا مُخلِّـــص العالَم الذي به يمكننا أن نخلُص من مرض الخطيَّة التي تُحطِّمنا، وننتسب – كما كان القصد منا أن نكون – إلى مركز الحياة الحقيقي: "الله".

يسوع هو احتياج العالَم.
يسوع هو مَن إليه يجوع العالَم.
يسوع هو رجاء العالَم.
يسوع فيه شفاء العالَم.
يسوع هو نور العالَم.

يسوع الإله والإنسان

قال شخصٌ هندوسي إن أوربا فهمت نصف رسالة المسيح فقط. إنها فهمت أن المسيح والله هما واحد، ولكنها لم تفهم النصف الآخر وهو أن المسيح والإنسان أيضاً واحد.

coptic-books.blogspot.com

المسيح يسوع الإله المُتجسِّد هو إنسان كامل وإله كامل. إنه ليس جزء إنسان وجزء إله. إنه ليس إنسانًا وقتًا ما وفي وقت آخر يكون إلهًا. إن مفتاح التعبير هو أنه طبيعة مِن طبيعتين، مِن إنسان كامل ومِن إله كامل: "إله حق مِن إله حق.. مِن أجلنا نحن البَشَر ومِن أجل خلاصنا نزل مِن السماء وتجسَّد..".

كان يسوع المسيح في طبيعته البَشَريَّة إنسانًا كاملاً مِثْلنا في كل شيء فيما عدا أنه لم يخطئ (عب ٢: ١٧). يسوع هو الإنسان الحقيقي الذي عَرَفته البَشَريَّة بينها، لأن طبيعته لم تتلوَّث أو تُلطَّخ بوصمة الخطيّة مثل طبيعتنا، فهي كاملة، أما طبيعتنا فهي أدنى منه لأنها قابلة للخطيَّة.

إنَّ الإنسان يسوع هذا هو: "مِن ذات طبيعة الآب"، إن طبيعة الشيء هي جوهره أو ما يجعله على ما هو عليه. إنَّ يسوع هو في نفس الوقت ذات طبيعة وجوهر الآب.في المسيح: «*سُرَّ أن يحل فيه كل ملء الله*» (كو ١: ١٩). الطبيعتان الإلهيَّة والبشريَّة مُتَّحدتان في شخص واحد هو الإله المُتجسِّد.

ولكن يتبقى السؤال العسير: كيف؟ كيف يمكن أن تكون الطبيعة الإلهية والطبيعة البشريَّة في شخص واحد؟ كيف يمكن للإله الكُلِّي القدرة أن يصير طفلاً لا حَوْل له؟ كيف يمكن أنَّ نَفْس الشخص الذي به قد خُلِق كل شيء، وفيه يقوم الكل ويُعتَمَد عليه يصير هو نفسه إنسانًا مخلوقًا (يقصُد الجسد المخلوق الذي أخذه من الروح القدس ومن العذراء القدِّيسة مريم) يحتاج أن يعتمِد على الآخرين؟ إنَّ آباء الكنيسة الأُولى لم يُحاولوا الإجابة على هذا السؤال، إنهم قَبِلوه بالإيمان كسِرٍّ مِن أسرار الله الذي لا يمكن فهمه تمامًا.

coptic-books.blogspot.com

ولكن حاول المسيحيون بعد ذلك في البحث عن شروحات، ولكن في محاولاتهم لتحليل اتحاد الطبيعتين psychoanalyze في يسوع، وَصَلوا إلى إجابات أوقعتهم في صعوبات جمَّة.

(١) الظَهُوريون – بدعة الدوسيتيَّة The Docetists:

وكمثال لذلك، كانت توجد مجموعة في الكنيسة الأولى يسمون أنفسهم الظهوريين، وهذا الاسم مُشتق من الفِعل اليوناني dokeo والذي يعني يتظاهَر. كان يسوع بالنسبة لهؤلاء ليس إنسانًا حقيقيًّا ولكنه تظاهر هكذا فقط، تظاهَر بالجوع وبالعطش، تظاهَر بأنَّه يُجرَّب، تظاهَر بالآلام والموت. وبمعنى آخر، فإنَّ يسوع تظاهَر بأنَّه إنسان، ادَّعى ذلك فقط، ارتدى قِناع البشريَّة، ولكنه في الحقيقة إله فقط.

هؤلاء الـ docetists or seemists أكَّدوا الطبيعة الإلهية ليسوع على حساب الطبيعة البشريَّة التي أنكروها، وذلك لأنهم كانوا يربطون الطبيعة البشريَّة بالخطيَّة. إنهم تصوَّروا إن كَوْنه إنسانًا فهذا يعني أن يكون خاطئًا، لذلك فإنه من غير الممكن أن يأخذ اللهَ شكل إنسان، إنهم ظنوا أن يسوع هو بهذه الدرجة من القداسة والشرف والإعجاب حتى أنه لا يجوز أن تُنسب إليه صفة الإنسانيَّة. من الواضح أن هؤلاء كانوا ينظرون نظرة وضيعة جدًّا للإنسان.

ولكن علينا قبل أن نحكُم على الظهوريين وندينهم أن نسأل أنفسنا، كم مِنَّا ينظرون إلى يسوع ويشعرون أنه لا يمكن أن يكون إنسانًا. إنه صالح جدًّا لدرجة الحق والكمال، ولذلك يلزم أن يكون شخصًا آخر بخلاف الإنسان، يلزم أن يكون إلهًا.إن البشر لا يرجون أبدًا أن يكونوا صالحين مثل يسوع ، لذلك فإنَّنا مِن ثمَّ نُحقِّر البشرية والإنسانيَّة

coptic-books.blogspot.com

ونستخدم دائمًا الأعذار: " أنا إنسان " لنُغطِّي كمًّا هذا مقداره من الخطايا. أمَّا يسوع فقد كان إنسانًا كاملاً وبيَّن لنا إلى أي درجة من الكرامة والشرف يمكن للطبيعة البشريَّة أن ترقى بنعمة الله.

قالت الكنيسة للظهوريين: "لا"، وأكَّدت أن يسوع ليس مجرَّد: "تظاهَر"، ليكون إنسانًا ولكنه فعلاً: "صار إنسانًا". ولذلك فقد وضع الآباء تعبيرات خاصَّة في قانون الإيمان لتدحض بدعة الظهوريين، ولتؤكِّد بشدَّة على حقيقة يسوع الإنسانيَّة، وقالوا إن يسوع صُلِب في عهد بيلاطس البنطي وتألَّم وقُبِر. إن هذه الكلمات قد وُضِعت في قانون الإيمان لتُؤَكِّد حقيقة بَشَريَّة يسوع.

(٢) المُنادون بالتبنِّي The Adoptionists:

وجماعة أخرى في الكنيسة كانوا يتمسَّكون بأن يسوع هو مجرد إنسان تبنَّاه الله الآب واختاره ليصير ابنًا له في الوقت الذي حَلَّ الروح القدس الإله عليه (مر ١: ٩ - ١١). وظلَّ الله مع يسوع إلى وقت الصليب حيث تركه، وقد استدلُّوا على هذا من صراخ يسوع: «*إلهي إلهي لماذا تركتني*» (مر ١٥: ٣٤). وكانت هذه محاولة أُخرى - رفَضَتها الكنيسة - لشرح كيف يمكن أن يكون يسوع إلهًا وإنسانًا في شخص واحد. كان يسوع بحسب اعتقاد المنادين بالتبنِّي adoptionists إلهًا في وقت جزئي بناءً على أُسُس مُحدَّدة، إنه مجرد شخص عادي تبنَّاه الله واستخدمه سنين قليلة ثم تركه.

(٣) الأريوسيون The Arians

وظهرت جماعة أُخرى في الكنيسة الأولى تُسمَّى الأريوسيين، وهذه الطائفة أكَّدت على طبيعة المسيح البَشَريَّة لدرجة أن فقدت رؤية أُلوهيته.

coptic-books.blogspot.com

إنَّ يسوع هذا شخصٌ عظيمٌ جدًّا ولكنه ليس إلهًا. إن هذا الاعتقـــاد لا زال إلى الآن سائدًا عند المُوحِّدين Unitarians هذا المذهب المســـيحي الذي ينكر عقيدة التثليث، وكذلك مذهب العمـــوميين Universalists ومذهب شهود يهوه Jehovah's Witnesses وآخرين. إن الأريوسيين حاولوا أن يحلُّوا مشكلة كيف يمكن أن يكون يسوع إنسانًا وإلهًا في شخص واحد بأن قالوا إنه إنسان فقط وليس إلهًا (وبذلك خلقوا مشاكل أخرى).

(٤) الأوطاخيُّون أي المنادون بالطبيعة الواحدة

:The Monophysites

وهذه جماعة أُخرى ظهرت في الكنيسة الأولى، وهم على الضِّد مـــن الأريوسيين علَّموا أن يسوع كان إلهًا فقط. إنَّ الطبيعة الإلهيَّة في يســـوع بلغت في قوَّتها أن أذابت وامتصَّت طبيعته البَشَريَّة. لا يمكـــن أن توجـــد الطبيعتان البشريَّة والإلهية في شخص واحد. إن هذه العقيدة تتمسَّك بأن يسوع كان يومًا ما إنسانًا، أمَّا الآن وإلى الأبد فقد أصبح إلهًـــا فقـــط، ونتيجة لذلك فقد صار يسوع مُرعِبًا awesome لا يمكن الاقتراب منه.

(٥) الأبوليناريون The Apollinarians:

تمسَّك أبوليناريوس بأن الكائن الطبيعي الحيوي the living physical organism في يسوع كان إنسانيًا، أمَّا عقله أو نفسه - الإيجـــو - الـــذات ego فيه كان إلهيًا. وأدانت الكنيسة هذا التعليم الذي يتبنى فكرة أن يســـوع ليس إنسانً كاملاً. يقول هذا المُعتَقَد إن يسوع هو حالة أُلوهـــة ذاقـــت خبرة بشريَّة جزئيَّة أو هي حالة تخفٍّ مؤقَّتة في بشريَّة.

(٦) النساطرة The Nestorians:

علَّم نسطور الذي ظهر في الكنيسة الأولى أنَّه بما أنَّ مريم أُم يســـوع

coptic-books.blogspot.com

كانت ذات طبيعة بشريَّة، فلا يمكنها أن تكـــون أُم الله الثيؤوتوكـــوس Theotokos، إنها والدة الطبيعة البشريَّة فقط للمسيح، ومـــن ثمَّ فهـــي تكون أُم المسيح فقط Christotokos فالطبيعة الإلهيَّة اتَّصلت بالطبيعـــة البشريَّة أثناء الحَمْل، وبناء عليه يصبح يسوع بطبيعتين منفصلتين مرتبطتين معًا كالزيت في الماء، هما معًا ولكن لا زالا منفصلين.

أمَّا الكنيسة فقالت لنسطور وأتباعه: "لا"، واتهمته بأنه يَقسم المسيح إلى شخصين، ومن ثمَّ فقد صاغ مجمع أفسس سنة ٤٣١م إجابـــة علـــى نسطور لا زالت موجودة إلى الآن كتعريف تقليدي ممتاز بخصوص أن الله صار إنسانًا في شخص يسوع، وتتضمَّن الصياغة أنَّه لا يجب أن نفكِّر في يسوع فيما بعد كشخصين إلهًا وإنسانًا، مثل الرواية التي تحكي عن فـــرد واحِد له شخصيَّتان أحدهما شرِّير والآخَر خيِّرًا وهما جيكلي وهايد -Dr. Jekly-and-Mr.-Hyde لقد صارت في المسيح حيـــاة واحـــدة غـــير منقسمة، شخص واحد من طبيعتين إلهيَّة وإنسانيَّة. ولكي يصف الآبـــاء هذه العلاقة بين الطبيعتين، فإنَّهم وضعوا أربعة صفات مُحدَّدة وهي: بغير اختلاط، ولا تغيير، ولا انقسام، ولا انفصال بعد الاتحاد. يقول د. كنت إس. نوتسون Dr. Kent S. Knutson: "إن المسيح إله وإنسان بطريقة لا يدَّعي مجمع أفسس أنه يطلب من أحد أن يَعرف "كيف" أن الأُلوهة أو الإنسانيَّة تغيَّرت أو تلاشت في وجود الآخر. كلٌّ باقٍ على ما هو عليه، وليس بطريقة يمكن لأحد أن يدَّعي أنه يُميِّز بينهما بعد الاتحاد". يقـــول الآباء ما هو مضمونه إنَّنا نؤمِن بابن واحد هو نفسه ربنا يسوع المسيح، كامل في ألوهيَّته وكامل في إنسانيَّته. إله حق وإنسان حق، مساوٍ للآب في الجوهر وواحد معنا في الجوهر، مسيح واحد، ابن ورب وابن وحيد، مِن طبيعتين غير مُختلطتَين ولا مُنقسمتَين ولا مُنفصلتَين ولا مُتحوِّلتين.

coptic-books.blogspot.com

إن التعليم بأن يسوع إله مُتجسِّد لا يعني أنه عِبارة عن جسد بَشَـــرِي فيه الذات الإلهيَّة بدلاً من نفس الإنسان العاديَّة، ولكنه يعني أنه إنســـان حقيقي له جسد حقيقي ونفس حقيقيَّة، هذا الإنسان اِتَّحد مع الأقنـــوم الثاني الكلمة في الثالوث ليصير شخصًا واحدًا.

ما يجب أن نضعه في ذهننا هو أن الطبيعة البشريَّة والطبيعة الإلهيَّـــة في يسوع إنَّما هما يخصَّان شخصًا واحدًا، ابن الله الأُقنوم الثاني في الثالوث. إنهما طبيعتان مُتميِّزتان وليستا طبيعة واحدة، ولكن آلَت هاتان الطبيعتان إلى طبيعة واحدة بعد الاتحاد. إن الطبيعة الإلهيَّة لم تبتلع الطبيعة البشـــريَّة، والطبيعة الواحدة موجودة من الطبيعتين.

أمَّا بخصوص كيف يكون هذا ممكنًا، كيف يمكن أن تصير طبيعتان في طبيعة واحدة وفي شخص واحد، فهذا سوف يظلّ سرًّا مِن أســـرار الله، وإن كان يمكن توضيحه جزئيًّا بأمثلة، على أنه يجب أَن نتذكَّر أن جميـــع الأمثلة هي ناقصة. لنفترض أن أبًا يلعب كرة مع ابنه، وبينما هما يلعبان، فإننا نجد أن الابن يلعب بقدر ما يمكنه بحسب مُستوى عمره، ونجـــد أن الأب يُلْقي بالكرة بحسب سرعة الطفل وإلى مسافة يمكن للطفل أن يصل إليها، ثمَّ يحاول الأب أن يتظاهر بالوقوع والإبطاء والجري بسرعة تبلُـــغ بالكاد سرعة الطفل حتى يجعل الوالد ابنه سعيدًا بالمباراة. نلاحظ هنـــا أن الأب لم يفقد شيئًا من قدرته، وإنَّما فقط يُفرِغ ذاته أو يُخليها من قدراتها من أجل الابن. هكذا كان الأمر تمامًا مع الله الذي صار إنسانًا في يسوع. إنه لم يفقد شيئًا من قدراته الإلهيَّة، وإنَّما فقط "أخلى" ذاته مُؤقَّتًـــا مـــن أجلنا ليحوي طبيعتنا.

coptic-books.blogspot.com

ماذا نستفيد من ذلك؟

قُلنا إن يسوع إله وإنسان، طبيعة واحدة من طبيعتين. هـذا جيِّـد، ولكن ماذا يعني هذا بالنسبة لنا، أنا وأنتَ اليوم؟ هل لهذه العقيدة معنى أم هي غير متَّصلة على الإطلاق بالحياة؟ دعنا نرى:

١- إن حقيقة أن الله صار إنسانًا في يسوع يعني أننا عندما نتكلَّم نحن المسيحيين عن الله، فنحن لا نتكلَّم عن ساحرٍ خيالي، إنما نحن نتكلَّم عن شخص واقعي مُدرَك بالحواس، عاش فعلاً في التاريخ. أي أن الله لـيس خيالاً أو شبحًا، إنَّما هو شخص حقيقي.

٢- إن حقيقة أن الله صار إنسانًا كاملاً في يسوع تعني أن الله يعرفني. هو يعرف جيِّدًا كيف أُحس وكيف أتألَّم وكيف أخاف وكيف أيـأس. إن الله يَعْرفني بالكامل لأنه صار إنسانًا كاملاً في يسوع. لاحظ أننا نقول إنسانًا وليس إنسانًا فائقًا superman. إن يسوع كان يمكنه أن يختار أن يتجسَّد في شخص له أعصاب حديديَّة، يمكنه أن يواجـه أي شـيء في الحياة برباطة جأش فائقة، ولكنه اختار بدلاً من ذلك أن يأخـذ جسـدًا لإنسان ذي حساسيَّة شديدة، نزل منه العَرَق على هيئة قطـرات دم في جثسيماني، وبكى عند قبر لعازر، والنتيجة هي: «*لأن ليس لنـا رئـيس كهنة غيرُ قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مُجرَّب في كل شيء مثلنـا بـلا خطيَّة، فلنتقدَّم بثقة إلى عرش الله لكي ننال رحمة ونجد نعمـة عونًـا في حينه*» (عب ٤: ١٥ و١٦).

٣- توجد دائمًا في كنائسنا الأرثوذكسيَّة صورة البـانطوكراتور - المسيح ضابط الكل، يظهر المسيح أنه كلِّي القدرة وفي سيادة تـنمُّ عـن انتصار بهيج. المسيح يتطلَّع من أعلى على جماعة الكنيسة من فوق القبَّـة

coptic-books.blogspot.com

الأساسيَّة. إنها أيقونة توحي بإجلال عظيم ليسوع عندما نراه في مجده الإلهي في الأيقونة. إننا نميل إلى التفكير في الله كشخص بعيد جدًّا فائق عن العالَم، يحكُم كسيِّد عاليًا هناك في الهواء، بعيدًا جدًّا عنَّا. إنَّ التجربة الشديدة التي مرَّت بها الأجيال لم تكن الشكّ في طبيعة المسيح الإلهيَّة إنَّما الشكّ في كمال إنسانيَّته إلى حدّ التوقير والإجلال العظيم له حتى درجة رَفعه خارجًا تمامًا عن دائرة البشريَّة العاديَّة إلى نوعٍ آخر من العوالِم.

إن كلمات القانون النيقاوي: "مِن أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نَزَل مِن السماء وتجسَّد" تأتي لنا بيسوع من فوق القبَّة العالية إلى حياتنا اليوميَّة. إن كان الله قد صار إنسانًا فقد صار شخصًا حقيقيًّا مِثلي ومِثلك، صار رَجُلاً، صار قريبي، صار جارًا، صار رجلاً أسود أو أبيَض أو أصفر. مريم المجدليَّة ظنَّتهُ البُستاني، التلميذان في طريقهما إلى عمواس سارا معه عِدَّة أميالَ دون أن يعرِفاه. هذا يُبيِّن أنه أصبح الآن يوجد في أي مكان. هذا يعني أنه لا يجب عليَّ أن أذهب إلى الكنيسة يوم الأحد ثمَّ أنحني أمام أيقونة البانطوكراتور في القبَّة، ثمَّ أمضي إلى المنْزِل وأصنع ما أشاء باقي الأيَّام الستَّة. إن الإله الذي في القبَّة هو نفسه الذي يُعرِّفني بشخصه كل يوم.

إنَّ شخوصنا إلى المسيح عاليًا في القبَّة يُذكِّرنا بما قاله يسوع عن مجيئه الثاني: *«ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القدِّيسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيُميِّز بعضهم مِن بعض كما يُميِّز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول المَلِك للذين عن يمينه: تعالوا يا مُباركي أبي، رثوا الملكوت المُعدُّ لكم منذ تأسيس العالَم»* (مت ٢٥: ٣١-٣٤).

coptic-books.blogspot.com

إن المسيح البانطوكراتور في القبَّة هو صورة لابن الله كما سوف يأتي في مجده. إنه سوف يأتي في عظمة وبهاء كمَلك عظيم. ولكن ماذا سوف يقول هذا الملك العظيم من فوق عرشه على السحاب؟ أنصت:

«جعتُ فأطعمتموني، عطشتُ فسقيتموني، كنتُ غريبًا فأويتموني، عريانًا فكسوتموني، مريضًا فزرتموني، محبوسًا فأتيتُم إليَّ» (مت ٢٥: ٣٥ - ٣٦).

إنَّ الدين الذي في السحاب قد نَزَل للتوّ على الأرض، والدين الذي كان عاليًا في القبَّة قد نَزَل إلى أرضيَّة الكنيسة، إلى الشخص الجالس إلى جواري. كيف أتعامَل مع جاري؟ يعني كيف أتعامل مع المسيح، كيف أُعامل زميلي في البشرية هو الأساس الذي عليه سوف يُحاكمني الله عندما أَظهَر أمام عرشه.

٤- يسوع إنسان حقيقي ولكن بلا خطيَّة. وبحسب كلمات الدكتور جورج فوريل Dr. George Forell فإن الخطيَّة مرض وسرطان يأكل بشريَّتنا ويُهدِّد بفنائها. يُذكِّرنا قانون الإيمان هنا أن البشريَّة الحقيقيَّة هي بشريَّة مثل بشريَّة يسوع. الله صار جسدًا كي نعرف ما هو المعنى الحقيقي للكائن البشري، ونحن لن نصير إنسانًا حقيقيًّا إلى أن نُصاغ مرَّة ثانية إلى بَشَريَّة يسوع الحقيقيَّة: "المسيح". إن التحدِّي أمامنا أن نصير إنسانًا حقيقيًّا، أن نُصاغ مرَّة ثانية بقوَّة الله إلى نوع الإنسانيَّة الذي رآه الله عندما خَلَقَ الإنسان. ليس من المفروض أن نكون: "حيوانات راقية" فقط ولكن رجالاً ونساءً على طراز بشريَّة يسوع.

إننا نتكامَل في إنسانيَّة يسوع من خلال سرّ المعموديَّة، وهذا يُعبَّر عنه في إحدى صلوات المعموديَّة في الكنيسة الأُرثوذكسيَّة هكذا: "أنتَ

coptic-books.blogspot.com

أعطيتنا يا سيِّدنا الميلاد الجديد من فوق بالماء والروح، كُن حاضرًا الآن في هذا الماء وامنح الذين يعتمدون فيه أن يتشكَّلوا مرَّة ثانية حتى يخلعوا الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، ويلبسوا الإنسان الجديد الذي يتشكَّل بحسبَ صورة الله الذي خَلَقَه". بالمعموديَّة نحن نُطعَّم في المسيح، إنَّ خلقتنا تُعاد مرَّة ثانية ونُعطَى إمكانيات حياة جديدة. برجاء أن: «*ننمو إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملِء المسيح*» (أف ٤: ١٣).

إن كان يسوع إلهًا كاملاً، فليس شيئًا زهيدًا بالنسبة لنا إذن أن نكون مسيحيين، إن هذا يعني شيئًا أعظم من أن يُدعى اسمنا في قائمة أعضاء الكنيسة، إنه يتجاوز حضورنا خدمة الكنيسة مرَّة في الأسبوع. أن أكون مسيحيًّا فهذا يعني أنني قد أسلمتُ كل حياتي للمسيح كإله لي يملك على وقتي ووزناتي وممتلكاتي. إنه قائد حياتي الذي أجد فيه المِلء والشبَع والسلام. نسمع بعض الناس أحيانًا يقولون: "الموسيقى حياتي، الكُرة حياتي، أنا أعيش لأجل عملي"، مِثل هؤلاء يجدون أن كل معنى الحياة هو في الموسيقى أو الكُرة أو العمل، كما تدعو الحالة. إن هذا حسنٌ ومفيد، ولكن المسيحي الحقيقي يجد الحياة ليست في الموسيقى أو العَمَل أولاً، بل في الإله الحقيقي الواحِد الرب يسوع المسيح، الذي معه يُمْكنه معه أن يبلُغ، مثل القدِّيس بولس، هذه العلاقة الوثيقة الشخصيَّة حتى يقدر أن يقول: «*أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنَّما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحَبَّني وأسلم نفسه لأجلي*» (غل ٢: ٢٠).

صلاة يسوع:

المسيحيُّون الأُرثوذكس يتلون صلاة أُرثوذكسيَّة صميمة تُسمَّى: "صلاة يسوع"، وهي تتركَّز حول تلاوة اسم يسوع: "يا ربِّي يسوع المسيح، ابن الله، ارحمني أنا الخاطِئ". إن هذه الصلاة تَجمَع في طيَّاتها

coptic-books.blogspot.com

الإيمان الأُرثوذكسي بخصوص شخص المسيح. إننا نعترِف فيها أنه هو الرب: "يا ربِّي يسوع المسيح"، وكلمة المسيح تُعبِّر عن إيماننا أنه الخريستوس، الممسوح مِن يَهْوه ليكون المسيَّا. أمَّا عبارة: "ابن الله"، فهي إشارة ضمنيَّة إلى التثليث. وأخيرًا فإن صلاة يسوع تُختَم بالالتماس للغُفران بالإقرار أن يسوع مُخلِّص فتقول: "ارحمني أنا الخاطئ"، إنَّه: *«ليس اسم آخَر تحت السماء قد أُعطِيَ بين الناس به ينبغي أن نخلُص»* (أع ٤: ١٢). وبحسب إيماننا الأُرثوذكسي ليس اسمٌ آخَر ولا مُخلِّصٌ آخَر ولا ربٌّ آخَر سواه.

القدِّيس غريغوريوس النّزينزي

St . Gregory of Nazianzus

يتكلَّم هذا القدِّيس عن الإله المُتجسِّد من طبيعتين في طبيعة واحدة فيقول: "المسيح جاع كإنسان وأشبَع الجموع كإله. جاع كإنسان وهو خُبْز الحياة. عطش كإنسان وهو الذي يقول: *«إن عطش أحد فليُقبِل إليَّ ويشرب»* (يو ٧: ٣٧).

تعب وهو راحتنا.
دَفَع الجزية وهو مَلِك.
دُعِيَ شيطانًا وهو الذي يُخرِج الشياطين.
صلَّى وهو الذي يستجيب الصلاة.
بكى وهو الذي يُجفِّف دموعنا.
بيع بثلاثين من الفضَّة وهو الذي يفدي العالَم.
سِيقَ كخروف للذبح وهو الراعي الصالِح.
كان مِثل نعجة صامِتة وهو الكلمة الأزلي".

coptic-books.blogspot.com

الذي من أجلنا نحن البشر .. تجسَّد

كثيرًا ما نتكلَّم عن اقتحام الفضاء، والاكتشافات الجبَّارَة في العلم، ونأمَل في فتحٍ جديدٍ لمرض السرطان. أمَّا أعظم الاقتحامات الجبَّارة قاطبة التي حدثت في التاريخ فقد كانت يوم ميلاد المسيح: «*الله طأطأ السماوات ونَزَل*» (مز ١٨: ٩)، وأيضًا: «*افتَقَدَ الله شعبه*» (لو ٦: ١٦). هذه هي معجزة المعجزات وأُعجوبة الأعاجيب. إننا لا يمكننا أن نفهمها على الإطلاق، ولكن يمكننا أن نركع في خشية أمام المذود ونُمجِّد الله على محبته اللانهائيَّة.

مَن هذا؟

مَن هذا الذي جاء إلينا يوم الميلاد؟

القدِّيس يوحنا يمدُّنا بالإجابة في الأصحاح الأول من إنجيله: «*والكلمة - اللوغوس - صار جسدًا وحلَّ بيننا*» (يو ١: ١٤). الكلمة: "لوغوس" في اللغة اليونانيَّة تعني أمْرَين: الأول الكلمة والثاني العقل (الإدراك). وبالنسبة لليهود، فإنَّ الكلمة لوجوس تعني كلمة، كلمة الله كُلِّيَّة القدرة التي خَلَقَ بها العالَم: «*وقال الله، ليكن نور فكان نور*» (تك ١: ٣). إنَّ كلمة الله هي القوَّة الخالقة.

أمَّا بالنسبة لليونان في أيام المسيح، فكانت كلمة لوغوس تعني عقل. نظر الفلاسفة الإغريق إلى العالَم ورأوا فيه نظامًا رائعًا فخمًا منضبطًا تمامًا. مَن الذي يُسبِّب هذا الانضباط والنظام؟ ما هذه القدرة التي تجعل العالَم يستمر وأيضًا يُحفظ في نظام مضبوط؟ أجاب الإغريق بلا تردُّد: "إنَّه لوجوس الله، كلمة الله، إن عقل الله هو علَّة النظام العظيم للعالَم".

coptic-books.blogspot.com

لذلك، فبالنسبة لليهود فإن اللوغوس هو القوَّة الخالقة التي قد خَلَق بها العالَم، وبالنسبة لليونانيِّين هو العقل الأسمى الذي يحفظ النظام في الكون. أمَّا بالنسبة لنا اليوم فإن الكلمة اللوغوس تعني الاتِّصال. إنَّ الكلمات تُوصِّل لنا المعنى؛ فإننا نستخدم الكلمات ليتمكَّن الآخرون أن يعرفوا ماذا يجول بخاطرنا. وكما أن الكلمات تُعبِّر عن أفكارنا الداخليَّة، هكذا المسيح كلمة الله، يكشف لنا أفكار الله الداخليَّة، إنه يجعل إرادة الله وغرضه وهدفه معروفة لدينا، هذا الكلمة الأزلي أتى إلى الأرض ليكون: "لُغة" الله للبشريَّة، حاملاً في شخصه رسالة الحياة والخلاص للعالَم، ومن خلال هذا الكلمة قُطِع صمت الله، واتَّصل الله بالإنسان، وتكلَّم شخصيًّا بلُغة يمكننا أن نفهمها.

ظلَّت أُم تشير إلى صورة زوجها الذي كان مُتغيِّبًا عن المنْزِل لمدة سنتين، وكانت تقول لطفلتها إنَّ هذا هو والدها الغالي وكم هو إنسان عجيب! وبعد عدَّة شهور عاد الوالد إلى المنزل، وللتو احتوى ابنته الصغيرة بين ذراعيه واحتضنها وهو يُمطرها بقبلاته، وبين دموع الفرح قالت الطفلة لأمِّها: "انظري، ها قد خرج والدي من برواز الصورة". هذا ما حدث بالضبط، إذ إنَّ يسوع - قوَّة الله وحِكمته - هبط لنا مِن برواز العالَم و: "*حلَّ بيننا*" ليحتضنَّا ويمدّ يديه على الصليب ويرينا محبته اللانهائيَّة.

هذا الكلمة الذي صار الآن جسدًا هو نفسه الإله الذي رآه إشعياء في الرؤيا والسيرافيم يُغطُّون وجوههم بأجنحتهم أمامه ويصيحون في خوف ورعدة: «*قدوس قدوس رب الصباؤوت!*». الخليقة لا تجرؤ أن تنظر إليه. هذه هي عَظَمة الله المُرهِبة، لا يمكن لإنسان أن يرى الله ويعيش.

إن هذا الإله الفائق الذي لا يُقتَرَب منه، غير المُدرَك، الكلمة العجيب

coptic-books.blogspot.com

هو الذي صار جسدًا. إنه قد اقترب إلينا جدًّا إلى درجة أمكنه أن يقول معها: «*هنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشَّى معه وهو معي*» (رؤ ٣: ٢٠). إن الإله العظيم الذي لا يحويه كل الفضاء الخارجي يرغب أن يَكُون له مسكنًا في المكان الداخلي لقلبي وقلبك.

إننا نقرأ في (خر ٣: ٧، ٨): «*فقال الرب إنِّي قد رأيتُ مذلَّة شعبي الذي في مصر وسمعتُ صراخهم مِن أجل مُسخِّريهم، إنِّي علمتُ أوجاعهم، فنزلتُ لأنقذهم من يد المصريين، وأُصعِدهم من تلك الأرض إلى أرض جيِّدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبنًا وعسلاً*». إنه أتي في ذلك الوقت مِن خلال خادمه موسى ليُخلِّص شعبه مِن عبوديَّة المصريين، أمَّا الآن فقد أتى بشخصه لينقذنا من عبوديَّة الخطيَّة والموت، ليقودنا في مملكة الحريَّة والسلام والمحبَّة: «*هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبًا والله نفسه يكون معهم إلهًا لهم، وسيمسح الله كل دمعة مِن عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد ..*» (رؤ ٢١: ٣ و٤).

الله يتطلَّع من السماء:

تطلَّع الله من السماء ورأى الرجال والنساء وحيدين، يبحثون، يتوقون، يجوعون إلى شيء لا يمكنهم أن يجدوه في أي مكان على الأرض، فقال: "أنزِل وأكون لهم خبز الحياة حتى كل مَن يُؤمِن بي لا يجوع"، ولهذا صار الكلمة جسدًا!

تطلَّع الله إلى الأرض ورأى أولاده مقهورين بالحزن والموت فقال: "أنزِل وأعيش بينهم وأقتُل موتهم بقيامتي حتى أُريهم أنَّ بإيمانهم بي لا

coptic-books.blogspot.com

يعودون يخافون الموت بعد"، ولهذا صار الكلمة جسدًا !

تطلَّع الله إلى الأرض ورأى الناس في خطيَّتهم، في إثمهم، في تحزُّبهم، في بغضتهم، ومع ذلك فهكذا أحبَّ الله هذا العالَم الخاطئ حتى قال: "أنزل لا لأُدينهم بل لأُخلِّصهم ، حتى يجد العالَم الحياة بي " ، لهذا: «*صار الكلمة جسدًا وحلَّ بيننا، هذا المملوء من النِّعمة والحق .. ورأينا مجده مجدًا كما لابن وحيد لأبيه . . ومِن ملئه نحن جميعًا أخذنا نعمة فوق نعمة*» (يو ١: ١٤-١٦).

إذا تطلَّعنا إلى المشاكل التي تواجهنا الآن، فمن السهل أن نكتئب ونقول: "انظر إلى ما صار إليه العالَم!". أمَّا نحن كمسيحيين فلنا رجاء خاص، رجاء يرتَكز على حقيقة أن الله أرسل مُخلِّصًا إلى هذا العالَم، هذا هو الاكتشاف المُذهِل في بيت لحم. فكما ننظر إلى العالَم ومشاكله، فنحن ننظر أيضًا إلى يسوع ونقول: "انظر إلى مَن جاء إلى هذا العالَم!" المُخَلِّص الذي أتى ليجعل كل شيء جديدًا!

ليس هناك اكتشاف أو إعجاز في التاريخ يمكن أن يُقارَن بالانذهال من أن الله دخل إلى العالَم يوم الميلاد، ولكن لن نعي هذا الإعجاز إن لم نفتح باب قلبنا وندعه يدخل حياتنا كربٌّ ومُخلِّص، عندئذ نتذوَّق حلاوة غفرانه ورقَّة محبته وسلامه الفائق الصفاء.

تشبيهات لتوضيح مجيئه

(١) غزوٌ مقدَّس:

يمكن مقارنة مجيء الله إلى العالَم بغزوٍ مُقدَّس مثلما حدث سابقًا مِن أجل الاستيلاء على جُزُر الباسفيك المُتعدِّدة من يد اليابانيين إبان الحرب العالميَّة الثانية، فالقوَّات الأمريكيَّة كانت تقوم أولاً بإرسال الطائرات

coptic-books.blogspot.com

لتقصف مواقع العدو، ثم تقوم المراكب الحربيَّة بالاصطفاف لقصف الجزيرة، وبعد أن تضعف المقاومة وتصير الجزيرة هشَّة، فإن فِرَق الجنود المشاة تقتحم عندئذ. الله صنع طريقة مماثلة عند غزوِهِ للعالَم، فإنه أعطانا الناموس عونًا على جبل سيناء، ثم أرسل موسى ليقود شعبه في البريَّة إلى أرض الميعاد، ثم أرسل الأنبياء في العهد القديم ليُمهِّدوا طريق مجيئه، بل وجعل الأنبياء أيضًا يتنبَّأون بغزوه للعالَم قرونًا طويلة قبل مجيئه. وهكذا بعد عمليَّة التجهيز هذه، فإن الله نفسه غَزَا العالَم جاعلاً قنطرة له في بيت لحم. كان هذا هو يوم مجيء الله الأول يوم ميلاده، ومن هذا المركز يتحرَّك الله الآن نحو الكنيسة ليأخذ مقاطعات العدو المُحتلَّة في العالَم. إنَّ النّصرة أكيدة. وفي يوم الانتصار الأخير، يوم مجيئه الثاني إلى العالَم، سوف يغزو العالَم بالقوَّة، وكلّ عين سوف تُبصره، وسوف يؤسِّس سماء جديدة وأرضًا جديدة. نحن الآن في الفترة ما بين يوم الميلاد ويوم مجيئه؛ يوم النّصرة. ومع أن الانتصار النهائي عند نهاية الزمن أكيد، إلاَّ أنه يجب ألاَّ نتقاعَس ونقف مكتوفي الأيادي، يجب أن نشترك الآن في عمليَّات المناوشة والمعارك الضروريَّة قبل أن تُعلَن نصرة الله النهائيَّة. إننا نتحرَّك قُدُمًا في المعركة بجانب المسيح لنكمِّل مشيئته على الأرض إلى أن يأتي ثانية ليستقبلنا في المجد.

(٢) تشبيه الأمير المُتنكِّر:

أراد أمير أن يتزوَّج فتاة مُحِبَّة لتكون الأميرة القادمة، وكان بجوار قصره مدينة كبيرة، وكان كثيرًا ما يركب عربته الفخمة ويمضي إلى المدينة ليؤدِّي أعمالاً يُكلِّفه بها والده. وذات يوم كان عليه أن يمرَّ بقطاعٍ فقيرٍ في المدينة ليصل إلى المكان الذي يريده، وتصادف وهو ينظُر من نافذة عربته أن وقعت عيناه على فتاة جميلة.

coptic-books.blogspot.com

واتت الفُرصة للأمير في الأيَّام التالية للمُضِي إلى هذا القطاع الفقير، فكان ينجذب نحو تلك الفتاة، بل وسمحت الظروف أيضًا أن يلتقي بها مرَّة ومرَّتين وازدادت محبته لها، ولكن قابلته مشكلة كيف يتقدَّم إليها؟

كان من الممكن أن يأمر بإحضارها إلى القصر حيث يطلب يدها، ولكن حتى ولو كان أميرًا، إلاَّ أنَّه يريد أن يشعر أن الفتاة التي يتزوَّجها تحبّه وإلاَّ قد يحدث ما يُؤسَف له بعد الزواج. كما يمكنه أن يذهب إليها في منزلها في بهاء ملبسه ثم ينحني بلطف أمامها ويطلب يدها. ولكن مع أنه أمير إلاَّ أنَّه يريد أن تتزوَّجه عن حُبٍّ.

يمكنه أيضاً أن يتنكَّر في زِي فلاّح ويحاول أن يجذبه اهتمامها نحوه، وبعد أن يطلب يدها يَرفعُ القناع، ولكن قد تبدو هذه اللعبة أنَّها زائفة ومرفوضة.

أخيرًا جاءته فكرة وهي أن يتخلَّى عن نَسَبه المَلَكِي ويذهب إلى المنطقة التي تسكن فيها الفتاة وهناك يشتغل نجَّارًا، هناك سوف يمكنه أن يعمل في النهار وبعد انتهاء العمل يمكنه في المساء أن يتعرَّف على الناس ويلِمّ بأخبارهم ويشاركهم اهتماماتهم ومسرَّاتهم ويتكلّم بلهجتهم، وفي الوقت المناسب الذي تواتيه الظروف يمكنه أن يتعرَّف إلى الفتاة بطريقة طبيعيَّة يمكنها من خلالها أن تتعرَّف به وأن تُحبّه، وعندئذ يمكنه أن يطلب يدها، وهذا ما فعله، وبعد أن أحبَّته بالفعل أخبرها بسرِّه.

كانت هذه هي نفس المشكلة مع الله، إنه أحبَّنا وطلب ودَّنا، ولكن كان يلزم أن يكون الحُب من جهتنا حُرًّا وبرغبتنا الكاملة، كان من الممكن أن يأمرنا بحبه، ولكن لن يكون هذا بمحض إرادتنا. كان يمكنه أن يَظهَر لنا في مجده الملوكي، ولكن مَن كان سوف يطيع هذا الملك إلاَّ بالرعبة والخوف؟ إنه يرغَب أن يحصل على حبنا دون أن يُروِّعنا أو يُبهِرنا

coptic-books.blogspot.com

بعظمة أُلوهيَّته. بسبب هذا كَتَب القدِّيس بولس: «*الـــذي إذ كـــان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخـــذًا صورة عبد صائرًا في شبه الناس، وإذ وُجِد في الهيئة كإنسان وَضَع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب*» (في ٢: ٦-٨). الله نَزَل إلينا وهـــبط إلى مُستوانا حتى يمكننا أن نستجيب إلى محبَّته.

(٣) الاحتواء في شخص:

تشبيه آخَر يبيِّن مجيء الله إلينا في شخص يسوع يأتينا من خلال مجال العلاقات العامَّة. يقول البعض: "إن أفضل طريقة كي أنشُر بها فكرة، هي أن أُدخِلها في شخص". لعلَّ هذا هو سبب أن الحكومات تُقيم سفارات وتُرسِلَ سفرَاء إلى الدُول الأُخرى، وهذا هو الســـبب في أن الشـــركات تطلُبَ مندوبي مبيعات لتمثيلها.

وبمعنى أكثر سُمُوًّا، فهذا هو ما عمله الله في التجسُّد. كانت في عقل الله فكرة وكان يرغب بحرارة أن يُوصِّلها للإنسان وهي رســـالة حبـــه الإلهي، كلمة المسامحة والسلام والفرح. إن إلهًا شخصـــيًّا أراد الاتصـــال بأشخاص يمكنهم أن يفهموا ما هو شخصي. لذلك فإن الله في حكمتـــه التي لا يُسْبَر غورها تبنَّى هذه الفكرة التي كان توَّاقًا أن يُوصِّلها لأولاده، فغلَّفها ودَمَجَها واحتواها في شخص ابنه الحبيب الوحيد، وأرســـله مـــن السماء إلى الأرض حتى يمكن لجميع الناس في كل مكان أن يأتوا ويَعْرفوا إرادته السخيَّة ورحمته الغامرة.

(٤) الهديَّة العُظمى:

اتَّصل شخصٌ ما بزوجته ليلة عيد الميلاد من مكان بعيد كان قد سافَر إليه منذ سنوات وأبلغها أنه قريب من المدينة وأنه سوف يصل للمترل بعد

coptic-books.blogspot.com

ساعات. أرادت الزوجة أن تحتفظ بهذه المفاجأة ولم تُخبِر أولادها. التَفَّ الأولاد عند الصباح حول شجرة الميلاد العالية ليأخذوا من حولها هـدايا العيد، وفجأة ومِن بين رُزَم الهدايا ظهر الأب. كان الأولاد يتوقَّعون هدايا وإذ بهم يرون والدهم بنفسه. إن الله أعطانا أعظـم عطيَّـة في شـخص يسوع. لا يوجد شخص في أي مكان على الأرض لا يحتاج إلى غفرانـه وإلى حُبّه وإلى سلامه وإلى إرشاده. إنه الوحيد الذي يمكنه ملء الفراغ في نفس الإنسان، تمامًا مثلما قال للسامريَّة: "*كل مَن يشرب من هذا المـاء يعطش أيضًا، ولكن مَن يشرب من الماء الذي أُعطيه أنا فلن يعطـش إلى الأبد، بل الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبديَّة*" (يـو ٤: ١٣، ١٤). إن العطايا القليلة التي يمنحها العالَم لنا لا تُقارَن بشـيء إزاء العطيَّة العظيمة التي أعطانا إيَّاها الله في المسيح.

(٥) النَّمل:

يأتينا من القصص الهندوسيَّة تمثيل مشهور بخصوص مجيء الله إلينـا في شخص يسوع المسيح.

حدث أن واحدًا من التابعين للديانة الهندوسـيَّة كـان يتجـوَّل في الحقول، وكان يُفكِّر مليًّا في الاهتداء إلى المسيحيَّة، وكـان مسـتعدًّا أن يتَّخذ هذا القرار الهام في الإيمان، ولكن بقي أمر واحد في المسيحيَّة يُسبِّب إزعاجًا له، إنَّه: التجسُّد. وبينما كان يتجوَّل في الحقول أخذ يتأمَّل ويُفكِّر في نفسه ويقول: "لماذا اتَّخذ الله قرار التجسُّد وأتى إلى العالَم؟ أَمَا كـان يكفي الله أن يُعلِن عن ذاته من خلال الطبيعة والأنبياء أو أشخاص آخرين دون أن يُرسِل ابنه الوحيد إلى العالَم؟".

وفيما هذا الهندوسي واقف يتأمَّل، وقع ظِلّه على واحد من الأكـوام

coptic-books.blogspot.com

الكبيرة التي يتجمَّع فيها النمل، وهذا أمر عادي معروف في سهول الهند. ولما شعر النمل بالظل واقعًا عليهم، جرى النمل بسرعة نحو التلال. كان الهندوسي يُؤمن بحق الحياة ولا يُحب أن يُؤذي أي مخلوق، فلما رأى النمل يعدو بسرعة بعيدًا في خوف شديد منه، قال في نفسه: "كيف يمكنني أن أُحدِّثهم عن مشاعري الطيِّبة تجاههم، وأنني لن أؤذيهم أو أضرَّهم بأي طريقة، بل وفي الحقيقة إنني أتمنَّى أن أُساعدهم بأي وسيلة ممكنة لا أن أُسيء إليهم". وبينما كان يُفكِّر بحماس شديد في هذا الموضوع، إذ بفكر موضوع التجسُّد يخطر على باله. أن يصير الله جسدًا فهذا يُشبه ما أُريد الآن أن أفعله، أن أصير نملة كي أَقْدر أن أتكلَّم مع النمل بلُغتهم، لأجعلهم يعرفون أنني أُحبّهم وأنني أُريد مساعدتهم وأنَّ لديَّ خطَّة عجيبة لحياتهم، وأنني أُعدّ لهم مملكة خالدة من الحُب. عندئذٍ أدرك هذا الهندوسي لماذا صار الله إنسانًا.

إن النملة واقعة تحت رحمة الإنسان، يُمكنه أن يطأها بقدميه ويفنيها في لحظة. التجسُّد كان أيضًا نوعًا من الإخلاء الذي اتَّخذه الله عندما صار إنسانًا.

إن يسوع كابن لله، كان يمكنه أن يدعو اثنتي عشرة ربوة من الملائكة لتُهلك صالبيه، لكنه أيضًا كابن إنسان كامل مثلنا، فإنَّه لم يفعل ذلك، لكنه تنازَل وقبِل أن يُداس هو كالنملة ليُظهِر لنا أعماق محبّته.

(٦) أُريدُ شخصاً له وجه:

وتشبيه آخر عن التجسُّد يَحْكي عن ولد صغير وضعته أُمّه في المساء على الفراش وقبَّلته وقالت له: "تصبح على خير يا جوني، أتمنَّى لكَ نومًا هادئًا"، ثم أطفأت النور واتَّجهت نحو الباب. صرخ الولد فجأة وهو

coptic-books.blogspot.com

مُرتعب من الظلام:

"هل سوف تتركينني بمفردي يا أُمَّاه، وأيضًا في الظلام؟"

أجابته أُمّه: "نعم يا ابني، ولكنك تَعلَم أن الله معك في كل وقت".

قال الولد: "نعم أنا أَعلَم حقيقة أن الله هنا، ولكن أُريد شخصًا له وجه".

كان حقًّا هذا قَبل أن يولَد المسيح، كان الجنس البَشَري يَعلَم أنه يوجد إله، ولكنه كان إلهًا بغير وجه. كان الإنسان يريد أكثر من أي شيء أن يرى الله وأن يكتشفه كشخص حقيقي ذي حياة حقيقيَّة. هذا ما صنعه الله لأجلنا في التجسُّد، إنه صار شخصًا، أخذ وجهًا وشكلاً.

أجملُ وأرقُّ وأحنُّ وجه عَرفه إنسان هو وجه يسوع. في وجه يسوع نرى:

الله مُستعلنًا،

الله مُتباسطًا،

الله في جسد بَشَري،

الله ممكن الاقتراب منه،

الله المحبوب،

الله معنا.

نَزَلَ على الأرض

عندما يُحدِّثنا أحد بأمر يكون مُعقَّدًا أو يصعب علينا فهمه، فإننا نقول له غالبًا: "انزل إلينا على الأرض وقُل لنا ماذا تقصُد!" لابد أن الله قد أحسَّ أن البَشَر يقولون هذا له: "انزل إلينا إلى الأرض وخبِّرنا مَنْ نحن ولماذا نحن هنا. حدِّثنا ماذا تعني الحياة".

إنه أتى إلى الأرض من أعلى السماء ليقول لنا إن الله محبَّة: *أيها*

coptic-books.blogspot.com

الأحباء لنحب بعضنا بعضًا لأن المحبة هي من الله، وكل مَن يُحب فقد وُلِد من الله ويَعرِف الله، ومن لا يُحب لم يعرف الله لأن الله محبة.. في هذه هي المحبة، ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبَّنا وأرسَل ابنه كفَّارة لخطايانا" (١يو ٤: ٧، ٨ و١٠). عندما وُلد طفل في مذود بيت لحم منذ ألفيْ عام فإن الله بعث لنا برسالة بسيطة جدًّا تقول: "إني أُحبّكم".

المسيح أتى عل الأرض ليعلِن لنا غفران الله الكامل: «*لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض قَوِيَت رحمته على خائفيه، كُبعد المَشرِق عن المغرب أبعد عنَّا معاصينا*» (مز ١٠٣: ١١ و١٢). هناك خطَّان متباعدان جدًّا، أحدهما ممتدٌّ من الأرض إلى السماء، والآخر من الشرق إلى الغرب، وحيث يتقابلان يُلقيان ظلاًّ على العالَم، إنَّه ظِلّ الصليب، ومن فوق الصليب يقول ابن الله: «*يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون*» (لو ٢٣: ٣٤)، واللِّص التائب يترجَّى: « *اذكرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك*» (لو٢٣: ٤٢)، والله يقول له: «*اليوم تكون معي في الفردوس*» (لو ٢٣: ٤٣). مَن إذًا يشُك الآن في محبة الله الغافِرة الغامِرة ؟

إنه نَزل إلينا على الأرض ليكشف لنا أن الله يهتم بنا ويسمع صلواتنا: «*وهذه هي الثقة التي لنا عنده، أنه إن طلبنا شيئًا حسب مشيئته يَسمع لنا*» (١يو ٥: ١٤)، «*أم أي إنسان منكم إذا سأله ابنه خُبزًا يعطيه حجرًا! وإن سأله سَمكة يعطيه حَيَّة! وإن كنتم وأنتم أشرار تعطوا أولادكم عطايا جيِّدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه*» (مت ٧: ٩ - ١١).

إنه أتى إلينا على الأرض ليُؤكِّد لنا أنَّ غاية الإنسان ليست الموت بل الحياة الأبديَّة. يقول العهد القديم: «*أُجرة الخطيَّة موت*»، وأتى يسوع

coptic-books.blogspot.com

ليكمل الآية على لسان بولس الرسول: «*وأمَّا هبة الله فهي حياة أبديَّة في المسيح يسوع ربنا*» (رو ٦: ٢٣). إننا نعيش في حوض سَمَك ونظن أن هذا هو كل الحياة. إنه أتى إلينا ليبيِّن لنا أنه توجد لا نهائيَّة للحياة، غير هذه التي توجَد هنا. عندما ننظر يسوع قائمًا من الأموات ثم صاعدًا إلى السماء، عندئذ ندرك أن غاية الإنسان النهائيَّة هي السماء. يقول يسوع: «*أنا أمضي لأُعدّ لكم مكانًا.. حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا*» (يو ١٤: ٢و ٣)، ويقول: «*أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتُك يا هاوية؟ .. شكرًا لله الذي يُعطينا الغلبة بالمسيح يسوع ربنا*» (١كو ١٥: ٥٥ و٥٧).

إنه أتى إلينا على الأرض ليس فقط ليعطينا القاعدة الذهبيَّة، ولكن ليبيِّن لنا كيف يجب أن نحيا له، إنه أتى ليصنع شيئًا جديدًا لنا، لا أن ينصحنا فقط ولكن كي يُساعدنا أيضًا، لم يأت ليُعط نصيحة طيِّبة فالنصيحة رخيصة جدًّا، السِّكِّير لا يحتاج إلى نصيحة ولكنه يحتاج إلى مُخلِّص. هذا تمامًا ما جاء ليعطينا إيَّاه: قوَّة الله للخلاص، القوَّة التي تُخلِّص وتُقوِّي وتُهذِّب وتُغذِّي.

إنه جاء إلينا على الأرض ليقول لنا إن الله لا يُمكن أن يُهزَم من الشيطان، وهو سوف يأتي لنا يومًا ليغزو هذا العالَم مرَّة أُخرى كما فعَل أولاً في بيت لحم، ولكنه سوف يأتي في هذه المرَّة في قوَّة وكديَّان ليبيد الشر ويُقيم مملكة البِرّ الأبديَّة لأجلنا جميعًا.

إنه جاء إلينا على الأرض ليُؤكِّد لنا أننا لسنا أبدًا بمفردنا، لسنا يتامَى متروكين في عالَم بائد، إننا ورثة مملكة الله الأبديَّة: «*رَعيَّة مع القدِّيسين وأهل بيت الله*» (أف ٢: ١٩)، «*ويَدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا*» (مت ١: ٢٣). الله مع الناس! مع كل إنسان! معي ومعك،

coptic-books.blogspot.com

رجاء مَن لا رجاء له، يعفو عن المُذنِب، يُعطِي الغُفران لكل مَـــن يُؤنِّبـــه ضميره، يُعطِي سلامًا للذين لا يعرفون السلام. إنه جاء حامِلاً بشارة طيِّبة لمن ليس له إلاَّ الأخبار الرديئة والمُزعِجة.

إنه أتى على الأرض ليُجيب عن أعمق سُؤال للبشريَّة: "أيـــن أجـــد الله؟" يجيب القدِّيس بولس: «*كان الله في المسيح مُصالحًا العالَم لنفسه*» (٢كو ٥: ١٩). في المسيح فقط يمكن للنفس المُشتاقة إلى الله أن تَشـــبع وأن تستريح. إنه يأتي الآن كما أتى آنئذ إلى النفس التي تُؤمِن وتُصـــدِّق كما يقول فيليب بروك Phillips Brooks في قصيدته الجميلة:

"كَم في هدوء وكَم في هدوء
تُعطَى عطيَّة الله العجيبة!
ويَمنح الله للقلوب البشريَّة
بَرَكات سمائيّة.
قد لا تسمع أُذن صوت مجيئه؛
ولكن في عالَم الخطيئة هذا،
الذي تقبَل فيه المسيح بهدوء،
فإن يسوع الحبيب يدخُل".

إنه أتى إلينا على الأرض ليرفعنا إلى المكان الخاص بنا. إنه تنازل وتعطَّف وأخلى ذاته وأخذ لنفسه شكل العبد وافتقر وهو الغَنِي. مهما كانت الصورة أو الشكل الذي يُقدِّمه عنه العهد الجديد، إنَّما هو مجرَّد محاوَلة لوصـــف محبَّة الله التي انحنت ورفعتنا إليه ليكون له شركة معنـــا، ليعيـــد العلاقـــة المكسورة، ليُحبَّنا خارجًا عن ذواتنا القديمة وداخل ذواتنا الجديدة.

هذه هي العطيَّة العظيمة التي جاء على الأرض ليمنحها لكل واحـــد

coptic-books.blogspot.com

منا. إن جميع العطايا تتضاءل أمامها، ولكن البعض ترك هذه العطيَّة دون أن يطلبها، وآخرون قبلوها وحملوها ولكنهم فشلوا في أن ينزعوا الغطاء عنها لينظروا داخلها ليكتشفوا المجد المُخبَّأ فيها. إن العطيَّة مُرسَلة لك أنتَ شخصيًّا، إنها محبة الله لك، إنها غفرانه، إنها سلامه، إنها قوَّته المُخلِّصة، إنها وجوده معك الآن وإلى الأبد. إن كل هذا مُخبَّأ داخل شخص واحد، المولود في بيت لحم اليهوديَّة، لأن الله نزل إلينا على الأرض لا ليعطينا دستورًا ولا شريعة ولا فلسفة، ولكنه نزل ليعطينا ذاته.

وقتٌ يُعمل فيه

يُقارِن اللاهوتي المرموق إميل برونر Emil Brunner مجيء المسيح إلى العالَم بمجيء جرَّاح ليُجرِي جراحة لإنقاذ مريض. الله نَظَر إلى العالَم كما يجلِس الطبيب على فراش المريض الذي يهذي من الحمَّى لدرجة أنه لا يدرِي بوجود الطبيب، بينما الطبيب ينصت جيِّدًا إلى تنفُّسه ويعدّ النبض بانتظام ويقيس الضغط باستمرار، وفي اللحظة الحرِجة يستدعي الطبيب مُساعديه ويقول: "لا يُمكِن التأجيل، جهِّزوا حجرة العمليات فورًا".

هكذا الرب مِثل طبيب حقيقي جَلَس بجوار البشريَّة المريضة لعدّة قرون ينصِت إلى تنفُّس الإنسان الروحي ويعدّ نبضات روحه، وفجأة وفي يوم الميلاد قرَّر أن وقت عمليَّة التجسُّد قد أتى. يا لها مِن عمليَّة دقيقة جدًا، الطبيب الجرَّاح الأعظم قرَّر أن ينزل من السماء ليجرِي العمليّة بنفسه.

يقول القدِّيس غريغوريوس النيصي St. Gregory of Nyssa:

"هل تتساءل لماذا وُلِد الله بين البَشَر؟

هذا هو سبب وجود الله بين الناس: كانت طبيعتنا مريضة وفي حاجة إلى طبيب، الإنسان سقط واحتاج إلى مَن يُقيمه. الإنسان الذي توقَّف عن عمل

coptic-books.blogspot.com

الصلاح احتاج إلى مَن يعيده إليه. الإنسان الذي أُغلِق عليه في الظلام احتاج إلى الحياة. السَّجين كان يبحث عمَّن يفديه، والمأسور عن مَن يُنقذه، والذي كان تحت نير العبوديَّة كان يبحث عمَّن يُحرِّره. هل هذه الأشياء قليلة أو تافِهة لتضطر الله ليأتي ويفتقد الطبيعة البَشَريَّة ..؟"

ولكن لماذا؟ لماذا كان الإنسان مريضًا؟ لماذا احتاج إلى جراحة؟ لماذا احتاج إلى مَن يُقيمه؟ لماذا احتاج إلى مَن يُعيد إليه الحياة؟ لماذا كان ضروريًا أن ينْزل الله نفسه مِن السماء ليُجرِي بنفسه هذه العمليَّة الجراحيَّة؟

إن إجابة هذه الأسئلة هي أن الإنسان كان ميتًا بالخطيَّة، كان محتاجًا إلى مُخلِّص: «*وُلِد لكم اليوم في مدينة داود مُخلِّص*» (لو ٢: ١١)، بَلَغت حالة الإنسان إلى درجة حرِجَة كان لا ينفع معها سِوَى العلاج الفعَّال، الجراحة، الله نفسه كان الجرَّاح، وكان دمه الخاص الذاتي هو المُستخدَم في عمليَّة نقل الحياة إلينا.

coptic-books.blogspot.com

تجسَّد مِن الروح القُدُس
ومِن مَريَم العذراء

«وظهر ملاك الرب ليوسف في حلم وقال له: لا تخف يا يوسف ابن داود أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذي حُبِل به فيها هو مِن الروح القُدُس» (مت ١: ٢٠).

بهذه الكلمات يُقدِّم لنا القدِّيس متى عقيدة الميلاد البتولي. إنه يحكي لنا أن يسوع حُمِل به من الروح القدس في بطن أمه.

إن عبارة: "الميلاد البتولي" كان يستعملها الآباء في القرون الأُولى، وكانوا يُؤكِّدون على كلمة: "الميلاد" ليُعلِّموا عن حقيقة إنسانيَّة المسيح التي اعترض عليها الغنوسيون الذين كانوا يقولون إن المسيح عَبَر فقط، مُجرَّد عبور من خلال رحم العذراء، وبهذا ظهر كأن له جسمًا بَشَرِيًا.

فعِبَارة: "حُبِل به من الروح القدس" تعني أن الإله أتى إلى العالَم. فميلاده من الروح القدس يعني أنه الله. "ومن العذراء مريم" تُبيِّن حقيقة بشريَّته. إذن هو الإله والإنسان في شخص واحد. إن عبارة: "حُبِل به من الروح القدس" تعني أن الله لم يصِر إنسانًا فقط، بل إن هذا الإنسان هو الله نفسه، فالله يَخلق إنسانًا جديدًا، عند هذه النقطة الإلهية والبشريَّة بدأ الله يخلق الخليقة الجديدة. العالَم كله الدنس والبالي اهتزّ وارتعش عند حَقنه مباشرة بالحياة الأساسيَّة التي لم تتَّسِخ ولا استُترِفت خلال تاريخ الطبيعة المُزدَحم والطويل. كان الله يُدخل في مجرى دم البَشرِيَّة شيئًا جديدًا، شيئًا مُختلفًا، حياة جديدة غير مُلوَّثة بخطايا الماضي، فالوحيد

coptic-books.blogspot.com

الذي يمكنه أن يُخلِّص العالَم لابدّ أن يكون هو ليس مِن هـــذا العـــالَم، وأيضًا لا يكون هو نفسه مُحتاجًا إلى خلاص.

ولكي تُحافظ الكنيسة على عقيدة التجسُّد، فإنها دَعَت العذراء ليس: ''أُم يسوع'' فقط، بل أيضًا: ''والدة الإله - الثيؤوطوكـــوس''، حـــتى يتَّضِح للجميع أنَّ الذي تحمله ليس مُجرَّد إنسان له صلة بـــالله، ولكنـــه شخصٌ واحد، وهو الله والإنسان في آن.

إنَّه: ''حُبِل به من الروح القدس''، ليُبيِّن لنا أيضًا أنـــه لم يـــأت إلى العالَم بمحض الصُدفَة أو بمشيئة إنسان، بل قد دَخَل التاريخ بسلطان إلهي، فهو غير خاضع للطبيعة ولكنه سيِّد الطبيعة. إنَّه ليس من صُنْع إنسان ولكنـــه عطيَّة الله للإنسان، إنَّه لم يولَد كأي بَشَر، إنه فريد، إنَّه وُلد: «*ليس مِـــن دم ولا مِن مشيئة جسد ولا مِن مشيئة رَجُل لكن مِن الله*» (يو ١: ١٣).

يقول أُغسطينوس المغبوط: ''إن المسيح وُلد كإله من الآب وكإنسان مِن الأم. وُلِد مِن عَدَم الموت مِن الآب ومِن بتوليَّة الأُم. وُلِد مِـــن الآب بدون أُم ومِن الأُم بدون أب جسدي. ميلاده مِن الآب غير زمني وميلاده مِن الأُم بدون زرع. مِن الآب هو بداية الحياة ومِن الأُم هو نهاية الموت. مِن الآب هو يُرتِّب كلَ الأيَّام ومِن الأُم هو يُقدِّس هذا اليوم''.

لماذا التجسُّد؟

إن حقيقة أنَّ الله يفتقِد الإنسان في شخص يسوع المســـيح تتضـــمَن معاني ضخمة هائلة:

أوَّلاً: تعني أن الإنسان هامٌّ لدى الله، بدرجة من الأهميَّـــة تجعـــل الله يفتقِد الإنسان بنفسه، هامٌّ لدرجة تكفي أن الله بنفسه يصير هو مُخلِّص الإنسان. ونظراً لأن الإنسان أكثر من مُهِم فهو ثمين لدى الله، ثمين بدرجة

coptic-books.blogspot.com

تجعل الله يُحب الإنسان حُبًّا عظيمًا حتى أنه يبذل ابنه الوحيد لكـــي لا يَهْلك كل مَن يُؤمِن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة.

ثانيًا: يُعلِّمنا التجسُّد أن الله يعتني بالأرض التي خلقها. إنَّ كوكـــب الأرض على درجة من الأهميَّة حتى تنطبِع عليه قَدَما الله، الذي صار بنفسه جسدًا، وصار كائنًا ماديًّا محسوسًا. كانت توجَد أيام المســيح ديانـــات أُخرى تُعلِّم أن كل ما هو مادِّي شرِّير. إذن فالجســـد شـــرِّير. أمَّـــا في المسيحيَّة، فإن الله بذاته أخذ جسدًا ماديًا، وبهذا قدَّس وكرَّس ليس فقط الجسد البشري بل أيضًا العالَم المادِّي بأسرِه. ولهذا الســـبب فالمســـيحيَّة تُدعَى أنها الأكثر ماديَّة materialistic عن جميع الأديان. إن حقيقـــة أن الله قد أتى داخِل حياتنا الطبيعيّة والبشرِيَّة تعني أن الله يهتمّ بنا وبعالَمنـــا. بمعنى آخَر، إنه يهتم بالتلوُّث، وازدياد عدد السكان، والسياسة، والفقر، والحرب، والسلام، والاستخدام الآمِن للقوَّة الذريَّة. فإن كان الله يهـــتم ويكترث بعالمنا هكذا، فيجب أن نهتم نحن أيضًا به.

ثالثًا: التجسُّد ليس هو مجرَّد حَدَثٌ وقع في الماضي، الذي هو مـــيلاد يسوع في بيت لحم. إن كنا نحن المسيحيِّين ننظر إلى الوراء ونُعيِّد لمجـــيء الله إلى عالَمنا كحدث تاريخي، فديانتنا تصبح إذن ديانة أثَريَّة، تكون مِثل مَن يجمع أشياء قديمة، وبذلك تصير كنيستنا متحفًا. التجسُّد هو أكثر من مجرَّد التعييد لحادثة تاريخيَّة. يسوع نفسه الذي أتى إلى بيت لحم يأتي اليوم لأي إنسان يَقبَله بالإيمان، لأي إنسان يقبله على ما هو إيَّاه أي: ابـــن الله ومُخلِّص العالَم. إنَّه يأتينا في القدَّاس ونحن ننتظره هناك. ولكنه يأتي أيضًا حيث لا نتوقَّعه كما كان الشعب قديمًا عند مجيئه في بيت لحم. قد يأتينا في أتوبيس أو في طائرة أو في سفينة، أو في لمسات الحياة وسط ذهابنـــا وإيابنا مِن أعمالنا: «*كنتُ مريضًا فزرتموني، كنتُ جوعانًا فأطعمتموني*».

coptic-books.blogspot.com

لذلك فهو يأتي لنا اليوم، أحيانًا يكون متوقَّعًا، وفي الغالب دون أن نتوقَّعه! وعلى أساس تعامُلنا معه اليوم فإننا نُحدِّد مصيرنا الأبدي.

رابعًا: إنَّ الكلمة الذي صار جسدًا في يسوع هو نفسه يجب أن يصير جسدًا فينا، يجب أن يتكرَّر الاتحاد بين ما هو بشري وما هو إلهي في حياة كل مؤمن بطريقة سرِيَّة: «*وأمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه*» (يو ١: ١٣). أنا وأنتَ كأولاد وبنات الله ننال قوَّة لنصير امتدادًا للتجسُّد الذي يعني أنَّه حيثما نكون، في عملنا، في مكتبنا، في مدرستنا، يمكننا أن نكون تجسيدًا لروح المسيح. يمكننا أن نُجسِّد حُبّه، واهتمامه وإدراكه في كل مواقف الحياة. المُخلِّص ليس في حاجة أن يولَد ثانية، إنه وُلِد مَرَّة واحدة لأجل الجميع. لقد وُلِد ليجعل لنفسه مسكنًا في قلوبنا وفي حياتنا، لنكون في هذا العالَم مسيحاً على الأرض، امتدادًا لتجسُّده. يقول القدِّيس بولس: «*أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ*» (غل ٢: ٢٠). الكلمة الذي صار مُتجسِّدًا في بولس بطريقة سرِيَّة، يستطيع أن يتجسَّد أيضاً فينا بنفس الطريقة.

خامسًا: يُعلِّمنا التجسُّد أن الله معنا. إنه أرسل ابنه إلى العالَم ليُرينا أنَّه معنا، «*إن كان الله معنا فمن علينا؟ الذي لم يُشفِق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء؟*» (رو ٨: ٣١ و٣٢). أشياء كثيرة لا نعرفها، ولكن شيئًا واحدًا يجب أن نَعلمه: الله دائمًا معنا، وبرهان ذلك أنه وهبنا ابنه الوحيد. ماذا يمكن أن يعمل الله أكثر من هذا ليُبيِّن لنا أنه معنا؟

إنه معنا عندما نخطىء، وهو المُخلِّص والراعي الصالِح الذي يجري خلف الخروف الضال الواحِد، وعندما يجده فإنه يحمله بين ذراعيه ويعود

coptic-books.blogspot.com

إلى بيته مسرورًا: «*أقول لكم إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارًّا لا يحتاجون إلى توبة*» (لو ١٥: ٧).

الله معنا عندما نُجرَّب، ولدينا كلمات القدِّيس بولس الرسول بخصوص هذا: «*ولكن الله أمين الذي لا يدَعكُم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا*» (١كو١٠: ١٣). قال الرب لبطرس يومًا: «*سمعان سمعان، هوذا الشيطان طلبكُم ليغربلكُم كالحنطة، ولكنني طلبتُ مِن أجلك لكي لا يفنى إيمانك، وأنتَ متى رجعت ثبِّت إخوتك*» (لو ٢٢: ٣١). فإن كان الله معنا هكذا، فمَن يُمكنه أن يقوم علينا؟

مِن أكبَر مشاكل الناس مع الله أنَّهم يشتكون مِن أنَّه لا يمكن لأحد أن يتَّصِل به، أن يجده، ويبدو غالبًا أن الله بعيد جدًّا، يبدو أنه غير شخصي، غير حقيقي. لقد تغيَّر كل هذا في التجسُّد عندما تنازل الله ليلمس الأرض ويُقيم خطًّا مزدوجًا بين الله والناس. فيمكننا في شخص يسوع أن نتَّصِل بالله مُباشرة ونخاطبه شخصيًّا في الصلاة: «*إلى الآن لم تطلبوا شيئًا باسمي، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكُم كاملًا*» (يو ١٦: ٢٤).

عندما وُلِد يسوع، بَشَّر الملاك أنَّ اسمه سوف يكون: «*عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا*» (مت ١: ٢٣). كَم هو أمرٌ مُفجعٌ حقيقة أن المسيحيِّين غالبًا ما يُفكِّرون في يسوع على أنَّه في الماضي: يسوع الذي كان أو يُفكِّرون في يسوع الذي سوف يأتي، ولكن نادرًا ما يُفكِّرون فيه في الزمن الحاضِر: إنه «*الله معنا*». وفي هذه الأيام التي تميَّزت بالظلام والحيرة والقلق، نُريد ضمانًا لنا برفيق في الطريق، يكون مُرشِدًا لنا في مسارنا الصعب، ومُعزِّيًا لنا في الشدائد والضيقات. يُخبِرنا إنجيل يوحنا أنَّ:

coptic-books.blogspot.com

«*الكلمة صار جسدًا وحَلَّ بيننا*» (يو ١: ١٤).هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكننا أن نُعبِّر بها عن «*عمانوئيل .. الله معنا*». فليس في سماء بعيدة وليس في كوكب بعيد، ولكن هنا بين الناس نجد الله، نجده يشاركنا أسمى أهدافنا، يتحسَّس ضعفاتنا، يسندنا في حَمل أثقل أحمالنا، يُطهِّرنا مِن خطايانا، يُرينا نوعًا من الحياة الذي له القيمة الأبديَّة، الحياة التي تستحق الخلود.

قال جُندي لكاهن: "إنني ذاهب إلى معركة خطيرة، هل يُمكنك أن تُصلِّي لأجلي لأعود سالمًا؟"

أمَّا القس فقد كان ذكيًّا جدًّا عندما أعطى الجُندي هذه الإجابة:

"يوجد كثيرون سوف يُقتَلون في وَطيس هذه المعركة. الحرب رديئة، رديئة جدًّا، وقَد تكون أنتَ واحدًا مِن هؤلاء الذين يَقْضون أَجَلهم في المعركة، إنني لا أستطيع أن أُصلِّي لأَجلك لتنجو، ولكني سأقول لك ماذا سأفعل، إنني سوف أذهب معك".

إن الله يقول لنا كل يوم إن الخطيَّة تُسبِّب كثيرًا من المعاناة والأمراض والموت. "إنني لا يمكنني أن أَعدكُم أنَّكُم لن تتضايقوا وأنتُم في العالَم، وأنكم لن تحملوا أحمالاً ثقيلة أَو أن تُجرَّبوا بشدَّة، كما لا يُمكنني أن أَعدكُم أن الطريق لن يكون صعبًا أو مُرهقًا، ولكني أَعدكُم بشيء واحد: سَوف أكون معكم، سوف أذهب معكمَ، لن أترككمَ أبدًا أو أتخلَّى عنكم، سوف أكون معكم دائمًا كل الأيام وإلى انقضاء الدهر".

وخلاصة القول، فالتجسُّد يعني:

+ أنَّ الإنسان ثمينٌ جدًّا لدرجة تجعل الله يُعطي ابنه الوحيد من خلاص الإنسان.

coptic-books.blogspot.com

+ أنَّ كوكب الأرض هام جدًّا لدرجة أن تنطبِع عليه قَدَمَا الله.
+ أنَّ الله الذي أتى إلى بيت لحم، يستمِر في المجيء إلينا اليوم، كما سوف يأتي ثانية في مجده عند انقضاء الدهور.
+ يلزم أنَّ الكلمة الذي صار جسدًا في يسوع يتجسَّد فينا لنكون نحن امتدادًا لتجسُّده.
+ أنَّ صيرورة اللهِ إنسانًا في يسوع، تكشف لنا أن الله لنا ومعنا:

معنا في الألَم والضيق، وفيه يرانا.

معنا في الرخاء، ليحفظنا مُتواضعين.

معنا في العَمَل، ليحفظنا أُمناء.

معنا في المسرَّات، ليجعلها مُفيدة كنسمات الربيع.

معنا في الأحزان ليمسح دموعنا.

معنا في الحياة ليجعلها هادفة.

معنا في الموت، ليقودنا إلى ما وراء الموت، إلى موضع: "لم تَره عَين" المكان الذي أعدَّه الله للذين يُحبُّونه.

coptic-books.blogspot.com

مِن أجل خلاصنا

عندما يصف العهدُ القديم الله لنا، فإنَّه لا يستخدم كلمات مُجـــرَّدة نظريَّة، بل يُعلِن في عبارات عمليَّة جدًّا أنه الله: «*الذي أخرجك مِن أرض مصر مِن بيت العبوديَّة*» (خر ٢٠: ٢). وبكلمات أُخرى، إنَّه الذي عمل في التاريخ لينقذ ويُخلِّص شعبه، أخرجه من العبوديَّة في مصـــر إلى أرض الموعد. إنَّه الله المُنقِذ. نقرأ في (خر ٣: ٧ و٨): «*فقال الرب إنِّـــي قـــد رأيتُ مذلَّة شعبي الذي في مصر، وسمعتُ صراخهم مِن أجل مُسخِّريهم. إنِّي علمتُ أوجاعهم فنَزَلتُ لأُنقذهم مِن أيدي المصريين وأُصعدهم مـــن تلك الأرض إلى أرض جيِّدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبنًا وعسلاً*».

ومعروف أنه قبل أن يولَد يسوع، ظَهَرَ ملاك الرب ليوسف في حلـــم وقال: «*فستلِد ابنًا وتدعو اسمه يسوع لأنه يُخلِّص شعبه مِن خطايـــاهم*» (مت ١: ٢٠ و٢١).

إنَّ طبيعة رسالة المسيح أُعلِن عنها مِن السماء مِن قبل ميلاده. إنَّه جاء ليُخلِّص شعبه من خطاياهم، لا ذكرْ إطلاقًا لتعاليمه، إنَّ تعاليمه لن تكون أبدًا فعَّالة إن لم يوجَد خلاص أولاً.

إنَّ الاسم: "يسوع" الذي أُعطى ليوسف من الملاك في الحلم، إنَّمـــا أُعطى أيضًا لمريم عندما بشَّرها الملاك: «*ستحبلين في حشاكِ وتلدين ابنًـــا وتدعين اسمه يسوع*» (لو ١: ٣١).

أمَّا مريم ويوسف فقد حفظا هذه الكلمات في قلبيهما، وعنـــدما جـــاء الوقت لتسمية الطفل، فإننا نقرأ في (لو ٢: ٢١): «*ولمَّا تمَّت ثمانية أيَّام ليختنوا الصبي، سُمِّي يسوع كما تسمَّى من الملاك قبل أن حُبِل به في البطن*».

coptic-books.blogspot.com

إنَّ اسم: "يسوع" هو نفسه: "يشوع" الذي استُخدِم في العهد القديم. لعلنا نذكُر أن يشوع كان القائد العظيم الذي اضطلع بقيادة شعب الله بعد موت موسى وإتمام المهمَّة لإدخالهم إلى أرض الموعد. لذلك فإن اسم "يسوع" كان معروفًا لدى اليهود. إنَّه يُعيد لذاكرتهم مَن أخرجهم مِن بيت العبوديَّة، مَن صار لهم مُخلِّصًا.

إنَّ المعنى العبري الفعلي لكلمة: "يسوع" هو: "الرب مُخلِّصي". إذن حتى الاسم الذي اختاره الآب له، يتكلَّم عن أساس رسالته، أنْ يُخلِّص شعبه من خطاياهم.

عندما أَعلَنَت الملائكة للرعاة في البادية ميلاد يسوع، فإنَّهم لم يتكلَّموا عن مُعلِّمٍ عظيم، ولكن عن مُخلِّصٍ عظيم: «*وكان في تلك الكورة رعاة مُتبدِّين يحرسون حراسات الليل على رعيَّتهم، وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفًا عظيمًا، فقال لهم الملاك لا تخافوا، فها أنا أُبشِّركم بفرحٍ عظيم يكون لجميع الشعب، أنَّه وُلِد لكم اليوم في مدينة داود مُخلِّص هو المسيح الرب*» (لو ٢: ٨ - ١١).

إنَّ الخلاص الموعود به في اسم "يسوع" ليس خلاصًا اجتماعيًّا بقدر ما هو خلاصٌ روحيٌّ. لم يأتِ يسوع أولاً لينقذ الناس من فقرهم ولكن من خطاياهم. هذا لا يعني أنَّه لا يكترث بالفقر، على العكس، ولكنه يُعالِج المرض وليس العَرَض. أنْ تُدمَّر الخطيَّة ومحبَّة الذات والجشع، فهذا يعني هدم سبب الفقر الأول وقلعه من جذوره.

كان الناس أيام يسوع يبحثون عن خلاصٍ ليس من النوع الذي قدَّمه يسوع. كانوا يبحثون عن شخص يُنقذهم من قوَّة قيصر الذي كانوا مُستَعبَدين له. أمَّا رسالة يسوع فكانت أن يُخلِّصهم من عبوديَّة أعظم

coptic-books.blogspot.com

جدًّا، وهي بالتحديد: الخطيَّة. لذلك فقد رفض كثيرون منهم أن يَقْبلوا يسوع على أنه المُخلِّص الذي وعد به الله، كانوا يبحثون عن نوع خاص يريدونه مِن الخلاص ومِن المُخلِّص.

إن قانون الإيمان يتكلَّم عن الخلاص شخصيًّا جدًّا. يقول القانون إن يسوع جاء من السماء من أجل خلاصنا. عندما نرى بيتًا يحترِق على شاشة التلفاز، فإننا لا نُستثار كثيرًا، ولكن إن كنا نرى أن هذا المنزل الذي يحترق هو منزلنا الشخصي، فهذه قصَّة مختلفة تمامًا، ونحن نحتاج جدًّا آنئذ ونحاوِل أن نتصرَّف بطريقة سليمة سريعة، فالورطة تخصّنا نحن.

إن كان الخلاص الذي يمنحه إيَّانا يسوع يعني شيئًا، وإن كان حقيقيًّا فعلاً، فإنه يجب أن ندرك أن الذي يحترق هو بيتنا وليس بيتًا آخَر، يلزم أن نُحس أننا نحن المعنيُّون بهذا المأزق الذي يلزم أن نُنقَذ منه، ينبغي أن نشعر مثلَ السكِّيرين والمدمنين عندما يُدركون إنَّهم أصبحوا سُجناء وأنهم في احتياج شديد جدًّا لمن يُنقذهم. إن لم نختَبِر شخصيًّا احتياجنا الشخصي للخلاص، فإنَّ كل هذا الكلام عن يسوع كمُخلِّص يظل لغوًا بلا قيمة وبلا معنى.

لكي نختَبِر الاحتياج الشخصي إلى الخلاص، يجب أن نعرف مِن أي شيء نحتاج أن نخلُص.

الخلاص من ماذا؟

هذا يقودنا إلى السؤال: مِمَّ يُخلِّصنا المُخلِّص؟

الكتاب المقدَّس يُسمِّي هذا الشيء الخطيَّة. الإنسان الحديث يجد أسماء أُخرى له، يُسمِّيه أحيانًا الجريمة، اليأس، الفراغ، الضجر، اللامعنى، الموت. إننا نعيش في زمن الاستنزاف الروحي والقنوط والاكتئاب، مِثل

coptic-books.blogspot.com

مَن يجوع إلى ميلاد المسيح. عندما تفقد الحياة معناها فإنها تصير فارغة. إنَّ روتين الحياة يصير كئيبًا ومنبوذًا حتى يجعل الناس يعملون أعمالاً جنونيَّة في محاولة لكسر الرتابة المُملَّة لإيجاد معنى للحياة.

إن علماء الاجتماع يقولون الآن إنَّ أعظم مُشكلة للشباب اليوم ليست الجنس ولا العقاقير، إنَّما الضَجَر واليأس. إن المَلل والضَجَر هما اللذان يُؤدِّيان إلى العقاقير. عندما يُحدث الشباب شَغَبًا في مكان ما ويُسألون: "ما الخطأ حتى أثرتُم هذا الشغب وتسبَّبتُم في هذه الأضرار الفادحة؟" يُجيبون: "مُجرَّد التمرُّد". عندما لا يصير للحياة معنى أو هدف، فإننا نصبح سجناء الضيق والسأم، ومن ثمَّ فإننا نعمل أي شيء لنتخلص منهما.

الفراغ، اللامعنى، القنوط، كل هذه تتكلَّم عن حاجة الإنسان إلى مُخلِّص، وبعد ذلك يأتي الشعور المتلازِم للجريمة الذي يجعلنا نكره أنفسنا والآخرين، ويُسبِّب المَلل والاشمِئزاز من العالَم وكل ما فيه إلى درجة الغثيان والقيء.

ويبقى في النهاية آخِر وأعظم عدو: الموت. إن أعمق خوف للإنسان يكون من الموت لأنه لا يستطيع أحد أن يهرب منه. كل واحِد منا يموت ببطء كل دقيقة في كل يوم. مَن ذا الذي لا يحتاج إلى مُخلِّص من الموت؟

شَعَرَ القدِّيس بولس باحتياجه العظيم للخلاص في حياته، وهو يعكِس اختبار كل إنسان عندما يكتُب:

«لأنِّي لستُ أعرِف ما أنا أفعله، إذ لستُ أفعل ما أُريده، بل ما أُبغِضه فإيَّاه أفعل. لأن الإرادة حاضرة عندي، وأمَّا أن أفعل الحُسنى فلستُ أجِد، لأنِّي لستُ أفعل الصالِح الذي أُريده بل الشرّ الذي لستُ أُريده فإيَّاه أفعل،

coptic-books.blogspot.com

ويحي أنا الإنسان الشقي، مَن يُنقذني مِن جسد هذا الموت؟» (رو ٧).

تصوَّر نفسك راقدًا في مستشفى مُنتظرًا أن تموت مِن المرض القاتل الذي قيل لك عنه، تجد نفسك راقدًا كئيبًا بلا عزاء خائفًا مِن الموت، ثم يأتي الطبيب فجأة ويقول لك: "نعرف طريقًا لعلاجك مِن مرضك، لن تموت منه". لابد أن هذا هو الفرح الذي اختبره القدِّيس بولس عندما كَتَب: *«شكرًا لله بالمسيح يسوع ربنا»* (رو ٧: ٢٥).

ما هو هدف الخلاص؟

إن الكلمة الأخيرة لله ليست الخطيَّة بل الخلاص. كل كلمة يقولها الله عن الخطيَّة في الإنجيل يقابلها عَشَرَة كلمات عن الخلاص. مع أنَّ الإنسان بعيد عن الله، إلاَّ أنَه يمكن أن يعود إليه وحتى لو كان ميِّتًا في الخطايا فإنه يمكنه أن يحيا. ولو كان مفقودًا فإنه يمكنه أن يوجَد، ولو كان هالكًا يمكنه أن يَخْلُص. هذه هي: "الأخبار السارة التي تُؤدِّي إلى الفَرَح العظيم التي في إنجيل يسوع المسيح".

الخلاص يعني طريقًا إلى الخارِج، مَخرجًا مِن الخطيَّة، مَخرجًا من الذنب، مَخرجًا مِن الجريمة، مَخرجًا من الموت. الخلاص يعني الحريَّة لنبلُغ إلى ملء قامة الإنسانية، لنصِل إلى القوَّة الكامنة فينا. هذه هي الرؤيا الإيجابيَّة للخلاص كما تنظرها الكنيسة الشرقيَّة وتُؤكِّدها. إن الخلاص في الكنيسة الأرثوذكسيّة لا يعني فقط التبرير أو غفران الخطايا بقدر ما يعني إعادة وتجديد وشفاء صورة الله في الإنسان، ورَفْع البشريَّة الساقطة إلى حياة الله الذاتيَّة نفسها بالمسيح. المسيح يُسامِح الإنسان ويعتقه من الخطيَّة ليتقدَّم إلى كمال غايته، ألا وهي أن يصير مثل الله.

coptic-books.blogspot.com

نَزَلَ مِن السماء

إنَّ الجُملَة: ''نَزل من السماء'' والمُتضمَّنة في قانون الإيمان النيقاوي جديرة بالانتباه. إنها لا تعني أنَّ يسوع حطَّ وهبط إلى الأرض من الفضاء الخارجي على نوع من الأطباق الطائرة مثلاً، ولكنها تُذكِّرنا بالاتجاه الذي جاءنا منه الخلاص. إنه لم يبدأ أو ينشأ بالإنسان، إنه أتى من الله. وبكلمات أُخرى، الإنسان لا يمكنه أن يُخلِّص نفسه، وبقَدر ما يحاول أن يعمل الإنسان هذا بنفسه، بقدر ما يصير مرتبكًا وضائعًا كما حدث له عندما بنى بُرج بابل. عندما يطرح الإنسان العصري إيمانه بالمخلِّص جانبًا، فإنه يضطر أن يقضي ٢٤ ساعة يوميًّا مُحاولاً، بدون جدوى، أن يكون هو المُخلِّص لنفسه.

إننا لا نستطيع أن نصعد إلى السماء لنرى ماذا يُشبه الله: «*ليس أحد صعد إلى السماء*» (يو ٣: ١٣)، ومع أنه لا يمكن لأحد من هنا أن يذهب إلى هناك فإنَّ واحدًا مِن هناك يمكنه أن يأتي إلينا، وقد فَعَل ذلك.

عندما يأتي يومًا ما يكون فيه هناك بائعون كثيرون للخلاص المُزيَّف، الذين يقولون لنا إنَّه يمكن أن نخلص ونبلُغ العلو من خلال علم النفس والاقتصاد وعِلم الاجتماع والعقاقير والأقراص والفَلَك والسياسة والعَمَل الاجتماعي والتعليم، فإنَّ قانون الإيمان النيقاوي يظلّ مُرشدًا كمنارة مُشيرًا لنا إلى طريق الخلاص الحقيقي والذي هو ليس حركة من الإنسان إلى الله، بل مِن الله إلى الإنسان. لا يوجد إلاَّ مُخلِّص واحد الذي ''نزل من السماء''.

يوجد أولئك الذين لا يترُك لهم دينهُم مكانًا لمُخلِّص، ويدَّعون أن إيمانهم بسيط للغاية، وهو يتكوَّن من أن يكونوا شفوقين على أُسرِهِم،

coptic-books.blogspot.com

ويعيشون بالقاعدة الذهبيَّة[٣] ، ويسلكون كمواطنين لُطفاء. إنَّ الواحد منَّا يميل دائماً ليسأل مِثل هؤلاء الناس، ماذا يعمل لهم دينهم عندما يتحقَّقون أنهم لم يكونوا شفوقين على أُسرهم، ولم يعيشوا بحسب القاعدة الذهبيَّة، ولم يكونوا أي شيء إلاَّ مواطنين لُطفاء. إنَّ ديانة بلا مُخلِّص ليست ديانة على الإطلاق.

الخلاص في الكنيسة الأُولى:

أبصَرَ القدِّيس بطرس يومًا ما مُقعدًا خارج الهيكل يستعطي وقت الصلاة، فقال له: «*ليس لي ذهب ولا فضَّة، ولكن الذي لي فإيَّاه أُعطيك، باسم يسوع قُم وامشِ، وأمسكه بيده اليُمنى وأقامه، ففي الحال تشدَّدت رجلاه وكعباه، فوثب ووقف وصار يمشي ودخل معهما إلى الهيكل وهو يمشي ويطفر ويُسبِّح الله*» (أع٣: ٦-٨)، بعد ذلك قَبَضَت السُّلطات الدينيَّة على بطرس وسألته: «*بأيَّة قوَّة وبأي اسم صنعتَ هذا؟*» فأجاب بطرس: «*باسم يسوع الناصري*»، ثم أضاف بجرأة: «*وليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطِي بين الناس به ينبغي أن نخلص*». لا يوجد لقب ليُعطَى ليسوع أثمن من لقب "**المُخلِّص**"، وما صنعه **المُخلِّص** لآخرين يمكنه أن يعمله معنا. إنَّه يأتينا في يأسنا، وينقذنا من الخطايا التي تُمسكنا عن أن ننال إمكانياتنا الكاملة كأولاد لله وتَرفعنا إلى السماء. إنَّ الخلاص يبدأ في اليوم الذي فيه نُواجِه المسيح ونُسلِّم حياتنا له كرب، ويستمر هذا الخلاص عندما نعيش جميع أيَّام حياتنا في الإيمان بالمسيح، كأعضاء حيَّة في كنيسَته، وينتهي في اليوم الذي نَصعَد مع المسيح من قَبْر الموت إلى حياة الله غَير المائتة.

---

(٣) "عامِلْ الناس كما تُحب أن يُعامِلوك".

coptic-books.blogspot.com

الخلاص اليوم:

نُشِرَت قصَّة عن سكّير مُدمِن للمخدرات، ومن شدَّة الهلوسة والانفعال نُقِل إلى مصحَّة حيث اضطرُّوا هناك إلى تقييده هناك.

وذات يوم وبينما هو في هياجه، اكتَشَف أنَّه لا يمكن لأحد أن ينقذه إلاَّ الله، فصرخ: "يا الله لا يمكن لأحد أن يساعدني، فهل تُساعدني أنت؟" ثم استدعى المُرافِق له ليحلّه من قيوده لأنه يُريد أن يذهب إلى الكنيسة، فتردَّد المُرافِق.

ولكن المريض استمر في الصراخ: "فُكَّني، لا يمكن لأحد أن يُساعدني، الله سوف يُساعدني، لابد أن أذهب إلى الكنيسة".

حَلَّهُ المُرافِق، وأخذ المريض يسقط عدَّة مرَّات وهو يترنَّح في طريقه إلى الكنيسة، أمَّا الأطباء والممرِّضات فتَركوه ليستمر في السير. وفي النهاية وَصَل إلى الكنيسة ووقع وهو يترنَّح أمام الهيكل.

سأله القس: "ماذا تُريد يا ابني؟"

فأجاب: "أُريد المُخلِّص، لا يمكن لأحد أن يُساعدني إلاَّ المُخلِّص". وعند الهيكل شُفِي هذا الرجل من الخمر ومن المخدَّرات، وقد ثبت أن هذا الشفاء كان نهائيًّا:

«فستلِد ابنًا وتدعو اسمه يسوع لأنه يُخلِّص شعبه من خطاياهم» (مت ١: ٢١).

عندما سُئِل السيِّد جيمس سيمبسون Sir James Simpson الذي اكتشف الكلوروفورم: "ماذا تظن أن يكون أعظم اكتشافاتك؟" وكان السائل يتوقّع أن تكون الإجابة "الكلوروفورم". لكن سيمبسون أجاب:

coptic-books.blogspot.com

"أعظم اكتشاف كان عندما اكتشفت أن يسوع هو إلهي".

إننا نُؤمن بيسوع: «*الذي لنا فيه الفداء بدمه، غفران الخطايا حسب غِنَى نعمته*» (أف ١: ٧). إننا نُؤمن بيسوع: "الذي من أجلنا نحن البَشَر ومن أجل خلاصنا نَزَل من السماء".

coptic-books.blogspot.com

وصُلِب

حَدَثَ مرَّة واحدة في التاريخ عندما سُئِل الإنسان عمَّا يُريد أن يفعله بإلهه، فأجاب: "ليُصلَب".

لم يكن الصَّلب طريقة عاديَّة كعقوبة للموت، إنَّما كان نوعًا محجوزًا فقط لأدنى طبقات الناس: العبيد. أمَّا إذا ارتكب مواطن روماني جريمة تستحق عقوبة الموت، فكان يُقتَل بالسيف أو بأي وسيلة أُخرى، ولكن لم يكن إطلاقًا بالصَّلب. إنها جريمة أن يُربَط المواطن الروماني، والأردأ أن يُضرَب، فكَم يكون القتل ولو كان قد تمَّ بالصَّلب! إنَّه إجراء شنيع لا يُمكن أن يوصَف بالكلمات، فالكلمات لا تَفِي بوصفه. كان الصَّلب أشنع طُرُق الموت في العالَم القديم، واللائق بالعبيد فقط، وكان هذا هو ما لاقاه يسوع.

نَشَأ القتل بالصَّلب أولاً في بلاد فارس، وسبب هذا كان كما يُظَنّ أن الأرض مُكرَّسة للإله أُرموزد Ormuzd، لذلك فقد كان المُذنِب يُرفَع مِن على الأرض حتى لا يُدنِّسها لأنها تخص هذا الإله. ثم انتقل الموت بالصَّلب من فارس إلى قرطاجنة في شمال أفريقيا ومن هناك إلى روما. أمَّا يسوع إذ قد حَمَل كل خطايانا في نفسه، واعتُبر ابن الله أنه قد بَلَغ إلى هذه الدرجة من الجريمة، فإنَّه رُفِع على الصليب لئلاَّ يُدنِّس أرضه الخاصَّة! مِلكيَّته! كان هذا هو الموت الشائن الذي قاساه المسيح لأجلنا.

وُصِف الصَّلب ببساطة جدًّا في الإنجيل: «*ولَّما مضوا به إلى الموقع الذي يُدعى جُمجُمة صلبوه هناك*» (لو ٢٣: ٣٣). لَم تُعمَل مُحاولة لوصف رهبة الصَّلب المُتناهية، لا فائدة من هذا، كل شخص كان يعيش في تلك

coptic-books.blogspot.com

الأيام كان على اطّلاع جيِّد بالتفاصيل المُروِّعة لهذا النوع من الموت بعكس أيامنا الآن، لذلك يجب علينا أن نتذكَّر العذابات الشديدة والنِزاع الذي قاساه المسيح لأجلنا.

يُسمِّي الكاتب اليهودي كلاوزنر Klausner الصَّلب: ''إنه أشنَع وأقسى نوع من الموت أمكن للإنسان أن يختَرعه لينتقِم من أخيه الإنسان''، ويُسمِّيه سيسيرو Cicero: ''أفظع وأرعَب عذاب''. كان المُجرِم يُربَط إلى الصليب وجسده يدمي من الجَلد، وكان يُعلَّق حيث يَقضي أجله بسبب الجوع والعطش وعار العَرض والفضيحة، وهو غير قادر أن يُدافع عن نفسه من عذاب البعوض والذباب الذي يتغذَّى على الجسد العاري والجراحات الدامية، ناهيك عن الكلاب التي كانت تُسرِع وتنهش الأقدام. هذا هو نوع الموت، أقسى نوع عرفه العالَم القديم، النوع الذي لقيه يسوع طوعًا لأجلنا.

وَصَف طبيب ذات مرَّة التأثيرات البدنيَّة للصَّلب: الوضع غير الطبيعي والتوتُّر الذي يوجد فيه الجسد يجعل كل حركة غاية في الألم، ووضع المسامير التي كانت تُدَق لتشُق طريقها بعنف في اليدين والرجلين حيث تُمرّ الأعصاب والأوتار تُسبِّب عذابات وآلام حادَّة. الجراحات التي تُسبِّبها المسامير وأماكن ضرب السياط لا تلبث أن تُصاب بالغرغرينا (التعفُّن)، ووضع الجسم في حالة الصَّلب يعيق سريان الدورة الدمويَّة ويُسبِّب ألمًا يوصَف بأنَّه أردأ وأقسى من الموت ذاته. ثمَّ يلي هذا العطش المُستمِر ليُعذِّب الضحيَّة أكثَر مما مضى. هذا هو نوع الموت، أقسى عذاب عرفه العالَم القديم، هذا الذي قاساه يسوع لأجلنا.

coptic-books.blogspot.com

من يفتَدي خليقتي الضائعة؟

لابد أنه كان يومًا مُروِّعًا، عندما سأل الإلـه السَّرمدي الملائكة والقُوَّات السماويَّة تُحيط به: "مَن يذهب ويفتدي خليقتي الضائعة؟" نستطيع أن نتصوَّر في خيالنا هؤلاء وهم يتقدَّمون إلى الله، رؤساء السماء العِظام ورؤساء الملائكة.

جاء أولاً أوريل Uriel ملاك النور وقال: ''أيُّها الآب، أنزِل أنا وسوف أُرِي الإنسان نور المثال الكامل، كيف يسير وراءه ليجد نعمة لديك، وكذا يقتفي أَثَر النور ويعود إليك''. لكن الآب قال: ''حسنٌ هو ضياؤك يا أُوريل، لكن الإنسان أصبح الآن يُحبُّ الظلمة أكثر من النور ولن يسير وراءه، إن ضياءك عظيم حقًّا يا أُوريل ولكن ليس قويًّا بالدرجة الكافية للإنقاذ''.

وربَّما جاء بعد ذلك رافائيل Raphael ملاك العقل وتكلَّم قائلاً: ''أيها الآب، أَنزِل إليهم وأُعقِّل الإنسان وأتكلَّم معه بالحُجَّة وأقول له: "لا معنى أن تكرَه إلهك وتفقد ذاتك إلى الأبد"، وهكذا يقتنع الإنسان ويعود إلى صوابه ويرجع إليك''. لكن الآب قال: ''باطِلٌ يا رافائيل أن تتحاجج مع الإنسان، لأن عقل الإنسان وإدراكه وفهمه أصبحت كلها مظلمة، وعيناه صارتا معميَّتَين وأذناه بليدتين وقلبه جامدًا. حقًّا يا رافائيل أنتَ جبَّار لتتحاجج، ولكن ليس بالدرجة التي يمكنكَ بها أن تُخلِّص الإنسان''.

ثمَّ تقدَّم بعد ذلك رئيس الملائكة ميخائيل Michael، ملاك السيف والقوَّة ونصلُ سيفه العظيم بحدَّيه الماضيَين يُبرِق ويدور في كل جانب وقال: ''أيُّها الآب، أَنزِل وأُبرِق أمام عَيْنَي الإنسان سيفي المُرعِب السريع

coptic-books.blogspot.com

وأُحرِّك في العالَم رعود شريعتك الإلهيَّة، وعندئذٍ يرتعِد الإنسان جزعًا ويتوب ويرجع إليك". فقال الآب: "لا نفع يا ميخائيل مِن بريق سيفك لأن قلب الإنسان قد تقسَّى، فالخوف لن يُؤدِّي به لا إلى الإيمان بي ولا إلى محبَّتي. حقًّا أنتَ جبَّار يا ميخائيل بسيفك، ولكن ليس بالكفاية لتُنقِذ الإنسان".

ثُمَّ تقدَّم جبرائيل Gabriel ملاك الترنيمة العذبة وقال: "أيُّها الآب، أنزِل وأفيض على الأرض بترانيم السماء العذبة وأناشيدها، وإذ يسمع الإنسان صوت موسيقى العالَم الآخَر، يحِنّ قلبه للعودة إلى هناك ويرجع إليك". ولكن عاد الآب يقول: "حقًّا يا جبرائيل إن موسيقى السماء وترانيمها عذبة، ولكن لا زالَت موسيقى الخطيَّة وأغاني الأرض أحَبَّ للإنسان. حقًّا أنتَ جبَّار وقَوِي في أن تُرنِّم، ولكنك لستَ كُفؤًا بالكفاية لتنقذ الإنسان". وهكذا تَقدَّم أمام الرب الواحد تلو الآخر من رؤساء الملائكة العِظام، ولكن عَلِم كل واحد منهم أنَّ ما يمكن أن يُقدِّمه ليس كافيًا لينقذَ الجنس البَشَرِي الموصوم والمُلوَّث بالخطيَّة(٤)!

وأخيرًا تقدَّم ابن الله نفسه، الذي تعبده جميع الملائكة والقدِّيسين ويكرمونه وقال: "يا أبي، أَنزِلُ أنا، أخلعُ عنِّي المجد الذي لي عندكَ مِن قَبل تأسيس العالَم، وأُخلِي ذاتي وآخذ لنفسي طبيعتهم وجسدهم، وبدلاً منهم أصير طائعًا لكَ حتى الموت، موت الصليب. سوف أُشوَّه وأُحتَقَر وأُهان وأُرذَل وأُرفَض مِن بني البشر، سوف يبصقون في وجهي ويُكلِّلون رأسي بالأشواك، سوف تُثقَب يداي ورِجلاي بالمسامير وأُطعَن بالحربة، سوف أحيا كما يحيا الإنسان، وسوف أموت كمن يستحق الموت،

---

(٤) كما نصلِّي في صلاة الصلح في القداس الغريغوري: "لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا رئيس آباء ولا نبيٌّ ائتَمَنتَهم على خلاصنا".

coptic-books.blogspot.com

وهكذا بحياتي وبموتي أُخلِّص الجنس البشري".

وهكذا، فقد دوَّت جوانب السماء برنين البهجة وهتاف الملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم والسارافيم: "أيُّها الابن الوحيد كلمة الآب الأزلي، انزِلْ، انزِلْ، انزِلْ! أنتَ الوحيد الذي يمكن أن تكون بدلاً عنهم! المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام والمشيئة الصالحة للناس!"(٥).

هذا هو سرّ جَبَل الجلجثة المبارَك: ابن الله الذاتي يصير حاملاً للخطيَّة بدلاً عن الجنس البشري.

(٥) "بل أنتَ بغير استحالة تجسَّدتَ وتأنَّست وأشبهتنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها" (صلاة الصلح القداس الغريغوري).

coptic-books.blogspot.com

عَنَّا

ويمضي قانون الإيمان النيقاوي ليقول إن يسوع صُلب "عنَّا". وهـذا يعني لأجلك ولأجلي شخصيًّا! كَم أنَّ حُبّه عظيمٌ جدًّا وشخصيٌّ جـدًّا! إنَّه: ''حَمَل أحزاني وأخذ آلامي وتبنَّى أوجاعي.. جُرِح لأجل آثـامي، سُحِق لأجل معاصِيَّ، تأديب سلامي عليه، وبجلداته شُـفيت''. لأجـل خلاصي عُلِّق على الصليب بسبب خطاياي لأنال الغفران.

يقول الدكتور بليز باسكال Dr. Blaise Pascal الذي يُقال عنه إنَّـه أعظم مُفكِّر عرفته البشريَّة، في كتابه ''تاريخ موجز لحياة يسوع المسيح''، يقول: ''في منتصف ليلة ٢٣ نوفمبر ١٦٥٤م تكلَّم يسوع معـي وقـال: "بليز، كنتُ أثناء عذابي واحتِضاري أُفكِّر فيك"''. هذا الاختبـار جَعَـل باسكال يتحوَّلَ إلى الإيمان. هذا الاختبار جَعَل الصليب شيئًا شخصيًّا لـه. قال صوتُ المسيح: ''بليز، لأجلك فعلتُ كل هذا''. إنَّ يسـوع تـألَّم ومات وقُبِر وقام ثانية ليس فقط لأجل البشريَّة عمومًا، ولكن أيضاً لأجـل كل واحد شخصِيًّا.

لقد استحوذ هذا الفكر على القدِّيس تيخون زادونسكي St. Tikhon Zadonsky القدِّيس الروسي الشهير فقال: ''أنتَ يا سيِّد باعك تلميذك وقُبِض عليكَ لأجل أن نصير نحن أحرارًا، نحن الذين كُنَّا عبيدًا. أسلمتَ ذاتكَ لمحاكمة ظالمة وأنتَ ديَّان الأرض كلها لنتحرَّر نحن مـن العقوبـة الأبديَّة. لقد صرتَ عريانًا لتكسونا بثياب الخلاص.. وكُلِّلتَ بالأشـواك لننال نحن إكليل الحياة .. ووُضعتَ في مقبرة لنقوم من قبر الخطية .. هذا فعلتَهُ لأجلنا، نحن خُدَّامك غَير المُستحقِّين، أيُّها السيِّد!''

coptic-books.blogspot.com

لا يمكننا أن نحوز المعنى الكامل للصلب والقيامة إن لم نتحقَّق أن يسوع فَعَل كل هذا لأجلنا، لأجل كل واحد منَّا شخصيًّا.

في يوم من أيام الجمعة العظيمة كان ثلاثة ساخرين يمشون في شارع من شوارع باريس بفرنسا، ورأوا صفًّا طويلاً من الناس ينتظرون دورهم في الكنيسة للاعتراف، وإذ كانوا لا يُؤمنون بالمسيح، فقد بدأوا يسخرون من هؤلاء الأشخاص، وكانوا يظنون أن كل هذا إنَّما هو أُضحوكة. ثم إنَّهم تحدّوا كل واحد منهم الآخر لأجل أن يجرؤ ويقف واحد منهم في الصف ويُعرِّف القس برأيهم الساخر. قَبِل أحدهم التحدِّي ودخل في صف المُعترِفين. ولَمَّا جاء دوره قال للقس: ''كُنَّا نسير نحن الأصدقاء الثلاثة ورأينا الصف الطويل في انتظار الاعتراف فقلنا إنَّ هذا مسرحيَّة هازلة ساخرة، وها قد أتيتُ لأقول لكَ هذا وأمضِي''. فقال له القس: ''أوكي OK، ولكن أُريدك أن تفعل شيئًا واحدًا قبل أن تنصرف، اذهب إلى الهيكل الرئيسي وانظر إلى يسوع على الصليب وقُل ثلاث مرَّات: "لقد مُتَّ أيُّها المسيح لأجلي وها أنا ألعنك"، أُريدك أن تقول هذه ثلاث مرَّات ثم انصرِف''. مضى الشخص الساخر إلى الهيكل ونظر إلى يسوع مصلوبًا وبصعوبة قال: ''لقد مُتَّ لأجلي..'' ثم أسرع بالخروج، فدعاه الكاهن وقال له: ''عليكَ أنْ تقول هذا مرَّتين أُخريَيْن كما اتفقنا''. وبتردُّد شديد عاد ونظر إلى يسوع المسيح المصلوب ولم يستطِع أن يُخرِج الكلمات من فمه، وأخيرًا تمكَّن من أن يقول: ''لقد مُتَّ لأجلي ..''، ثم أسرع بالجري في صحن الكنيسة، فأوقفه القس وقال له: ''لقد وعدتَ وعليكَ أن تقول المرَّة الباقية''. فعاد الشخص الساخر بتردُّد أشد نحو الهيكل وهو يحدق في صورة المصلوب مليًا ولمدة طويلة وفي ألم شديد، ثم عاد إلى الكاهن وقال: ''يا أبي أنا الآن جاهز للاعتراف''. مَن ذا الذي يستطيع أن

coptic-books.blogspot.com

ينظر نحو المسيح المصلوب لأجلنا ولا يقول: "اللهم ارحمني أنا الخاطيء؟"

ماذا يقول لنا الصليب عن الله؟

الصليب ليس فقط حقيقة ولكنه أيضًا نافذة تُمكِّننا أن نَرى حقيقة عظيمة. توجد أحداث أُخرى في التاريخ أدَّت خدمة للبشريَّة كنوافذ. إنَّ عالم الفَلَك جاليليو Galileo رأى ثُريَّا تتمايَل في كاتدرائيَّة ومنها أَعلَن حقيقة حركة الأرض. نيوتن Newton نظر إلى تُفَّاحة تسقُط من على شجرة ومنها أعلن حقيقة الجاذبيَّة.

الصليب هو النافذة التي من خلالها رأينا الحقيقة العظمى عن محبَّة الله للإنسان: «*هكذا أحبَّ الله العالَم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يُؤمِن به بل تكون له الحياة الأبديَّة*» (يو ٣: ١٦). لم يعُد الله صامتًا، بل إنه أخلى ذاته من مجد الألوهيَّة وتكلَّم بوضوح وبجلاء. فوق كل شيء هذا حدث على الصليب.

«*الله بيَّن محبَّته (الخصوصيَّة) لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا*» (رو ٥: ٨).

«*في هذا هي المحبَّة، ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنَّه هو أحبَّنا وأرسَل ابنه كفَّارة لخطايانا*» (١يو ٤: ١٠).

«*لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها، ونحن حسبناه مُصابًا مضروبًا مِن الله ومذلولاً، وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا*» (إش ٥٣: ٤ و٥).

«*لأن ابن الإنسان لم يأتِ لِيُخدَم بل ليخدِم وليبذل نفسه فِدية عن كثيرين*» (مت ٢٠: ٢٨).

coptic-books.blogspot.com

«عالمين أنَّكم افتُديتُم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب.. بل بدم كريم كما مِن حَمَل بلا عيب ولا دَنَس» (١بط ١: ١٨ و١٩).

«الذي لنا فيه الفداء بدمه، غفران الخطايا حسب غِنى نعمته» (أف ١: ٧)

زار كاهن رجُلاً يحتضر وهو في لهفة ليسمع أي كلمة تُشجِّعه، فأمسكَ القس بالصليب أمام عينَي الرجُل الذي يحتَضر وقال: "أُنظُر كيف يُحبّكَ الله كثيرًا. عندما مات المسيح على الصليب كان يقول لنا: "لا يُمكن لأي شيء تعملونه أن يوقفني عن أن أُحبّكم، قد لا تُطيعونني، قد تسحقونني وتضربونني وتجلدونني، وقد تقتلونني على الصليب، لكنِّي لن أكُف عن حبّكم، اُنظروا كم هي محبَّتي لكم". كل هذا الذي حدث على الصليب هو نافذة تُمكِّننا أن نَرى قلب الله المُحب، والمُتألِّم، والمُخلِّص، والفادي. لقد قدَّم الإنسان - لقرون مُتواصِلة - ذبائح وتقدُمات لآلهة كثيرة، أمَّا على الصليب فقد رأينا الذبيحة الوحيدة الحقيقيَّة، الله يُقَدِّم نفسه لأجل الإنسان: *«ليس لأحد حُبّ أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبَّائه»* (يو ١٥: ١٣). هذا هو نوع الحُبّ الذي أحَبَّ به الله كل واحد منَّا".

هل الله يُحبّني؟

قال كاهن إنَّ أسعَد إنسان عرفته كان شخصًا سقط مِن علو، فانكسر ظهره، وكان له مِن العُمر ١٥ عامًا. ظلَّ هذا الإنسان مطروحًا على الفِراش لمدة ٤٠ عامًا وهو لا يستطيع أن يتحرَّك إلاَّ بألم شديد، وربَّما لم يَمُر عليه خلال الأربعين سنة هذه، يوم بدون ألم حاد، وسُئِلَ يومًا: "أما جرَّبكَ الشيطان أبدًا أن تشُكَّ في الله وأن تُفكِّر في أنَّه سيِّدٌ قاسٍ؟" فأجاب: "آه، نعم، لقد حاول أن يُجرِّبني. إنني أجلس هنا وأنظر أصدقاء

coptic-books.blogspot.com

الدراسة من عشرات السنين وهم يقودون سيَّاراتهم، ويقول لي الشيطان: إن كان الله صالحًا هكذا، فلماذا تَركك هنا طوال هذه السنين؟ كان يجب أن تكون رَجلاً غنيًّا، تركب عربة "ليموزين"، وعندما أنظُر رجُلاً كان فتى مثلي وأراه الآن يمشي في كامل صحَّته، يهمس الشيطان في أُذنيَّ: إن كان الله يُحبّك، أما كان يقدر أن يحفظك مِن كَسْر رقبتك؟"

- ولكن ماذا تفعل عندما يُجرِّبك الشيطان هكذا؟

- "آه، آخذه إلى الجلجثة وأُريه المسيح وأُشير إلى تلك الجراح التي في يديه ورجليه وجنبه وأقول: كيف لا يُحبّني؟!"

كَم لنا من قيمة لدى الله؟

وبالإضافة إلى ما يُخبرنا به الصليب عن كَم يُحبنا الله، فإنه يُرينا أيضًا كَم نحن ذو قيمة لديه. إن مات شخص لأجلك فهذا يعني أنَّكَ مهم، ولكن إن كان هذا الشخص هو الله فهذا يعني أنكَ مهم جدًّا. وكما نحكُم على صورة أو لوحة فنيَّة ونُقيِّمها بالثمن الذي دُفع فيها، هكذا ينبغي أن نُقيِّم أنفسنا بالثمن الذي دُفع لأجل خلاصنا. كَتَب القدِّيس أوسابيوس القيصَري منذ زمان: "إن لم تصغِ لذاكَ الذي خلقكِ، فاسأل ذاكَ الذي فداكَ كَم تُساوي؟ ما الثمن الذي دفعه المسيح لأجلك؟ تأمَّل في آلامه، كم أُسيئت معاملته وسُخر به، تفكَّر في عذاباته وفي إكليل الشوك وفي الصليب. إنَّه لكي يفديكَ ويُخلِّصك ولكي يشتريك ضَحَّى بحياته، هذا الذي هو ابن الله الأزلي، الإله الحقيقي مثل أبيه. اُنظُر إلى عَظَمَة القمر والنجوم، اُنظُر إلى الأرض وجمالها، ماذا يكون كل ذلك إذا ما قورِن بالله؟ بصعوبة نقول ولا ذَرَّة من تُراب. فأنتَ إذًا ذو قيمة لا نهائيَّة أكثر من السماء والأرض وكل بهائها. إن معيار قيمتك هو الله الأبدي ذاته، لأنَّه اشتراك بدمه الخاص.. أنتَ ذو قيمة تُساوي دم ربنا يسوع".

coptic-books.blogspot.com

نسمع في هذه الأيَّام أن الإنسان يعاني من أزمة ضياع الهويَّة، محنة ذاته، إنه لا يَعلَم مَن هو؟ مَن يكون؟ لن يَعلَم الإنسان مَن هو إلى أن يلتقي بيسوع على الصليب. هنا فقط يأتي الإنسان ليتعرَّف على هويَّته الحقيقيَّة، فيعرف كَم هو محبوب لدى الله وأنَّه يخصّه، إنه ذو قيمة لدى الله، تمامًا مثل دم ابنه الوحيد. «*الآن نحن أولاد الله، ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون.. لأننا سنكون مثله*» (١يو ٣: ٢). قال يسوع لتلاميذه: «*لا أعود أسمِّيكم عبيدًا .. قد سمَّيتكم أحبَّاء*» (يو ١٥: ١٥).

هل الله عادل؟

إننا نتساءَل هذا السُؤال ونحن نتأمَّل في آلام المسيح على الصليب لأجل خطايانا. إننا نحن - لا هو - الذين كان يجب أن نكون على الصليب. إنَّه ذنبنا. إنَّه الحُكم المَقْضِي به علينا. إنَّه عقابنا. إنَّه تُهمتنا، ومع ذلك فقد تحمَّل المسيح كل هذا لأجلنا. لماذا؟ ليُظهِر لنا أن الله يُحبّنا محبَّة عظيمة لدرجة لا يمكن أن نَقوَى على فهمها في كمالها. تقول العدالة: ''يجب دَفع ثمن كل خطيَّة''. ويقول الصليب: ''إنَّ الله نفسه هو الذي يدفع. ودَفَع الله الثمن مَرَّة واحدة لأجل الجميع، وهو أثمن ثمن يُمكِن دفعه، موت ابن الله يسوع المسيح''.

كَتَب القدِّيس تيخون الذي مِن زادونسك St. Tikhon of Zadonsky وقال: ''إنَّ سيِّدنا وخالقنا تألَّم وقاسى العذاب ومات لأجلنا، نحن الذين كَسَرنا ناموس الوصيَّة، نحن الخائنين، نحن الذين تفوَّهنا بالتجاديف والإهانات، نحن الذين أَسلمنا ذواتنا للعدو، نحن الذين نستحق أن يُبصَق علينا، ونستحِق أن يُسخَر منا، وأن نُهان وأن نُجلَد وأن نُضرَب وأن نُعذَّب وأن نموت إلى مُنتَهى الأبد، ولكن ربنا وإلهنا - بسبب حبِّه الشديد - مات بدلاً منَّا.

coptic-books.blogspot.com

العبد أخطأ، والسيِّد قاسى العقاب.
العبد أخطأ، والسيِّد تعذَّب.
العبد سَرَق، والسيِّد دفع التعويض.
العبد كان مديونًا، والسيِّد وفَّى الدَيْن.

وبأيّ طريقة وفَّى الدين، لا بفضَّة ولا بذهب، إنَّما بالخزي والجراحات والدم، بموته على الصليب".

هل هذا عدل؟ هل مِن الصواب أن الله يتألَّم لأجل الإنسان؟ أجاب القدِّيس مار إسحق السرياني على هذا السؤال منذ زمن طويل وقال: "لا تتجَرَّأ وتفترِض أن تدعو الله عادلاً، لأنه أي نوعٍ من العدل هذا، إن كُنَّا نُخطىء ثم يعطينا ابنه الوحيد على الصليب؟" إنه ليس عدل الله وإنَّما حُبّه هو الذي يتكلَّم مِن فوق الصليب.

مَن صَلبَ المسيح؟

عندما نتواجه مع هذا السؤال فإننا نتراجع في رعبة. إننا مُستعدُّون أن نلوم أي شخص آخر إلاَّ أنفسنا. إن كنَّا نغسِل يدينا من دم هذا الإنسان فنحن نرتكب جريمة كبِيرة ضد كل الجنس البشرِي. إننا نلوم اليهود لأنهم قتلوا المسيح، نلومهم بسبب هذه الجريمة التي يتعذَّر التكفير عنها. إنَّنا اضطهدناهم لقرون طويلة كقَتَلَة المسيح، إننا قتلنا ملايين منهم في مذابح مُتعدِّدة، وهذا ليس فقط جريمة كبيرة ولكن أيضًا مُعتقَد خاطئ. ليس كل الشعب اليهودي هو الذي فعل هذا وليس اليهود العاديون، ولكن مجموعة صغيرة من رجال الشرع والقانون المُتعصِّبين للدين، هم الفرِّيسيون والصدُّوقيُّون الذين عارَضوا وقاوموا يسوع، وفي النهاية أدانوه زورًا. إن الاثنى عَشَر رسولاً، وبولس الرسول، ويسوع، كلهم كانوا يهوَدًا!

coptic-books.blogspot.com

إن الكهنة الذين حاكموا يسوع وأدانوه كانوا كهنة حقيقيِّين للإلـــه الحقيقي. لم يقُل يسوع غير هذا، ومع ذلك كانوا هم الـــذين خطَّطـــوا وحرَّكوا جريمة الصَّلب. لم يكن المُجرمون ولا حثالة المُجتمع ولا نفايـــة الأرض هم الذين صلبوا يسوع، بل كان مِن هؤلاء مَن صُلب معه، أمَّـــا الذين أسلموا يسوع ليُصلَب فقد كانوا مِن هؤلاء الذين يُدعَون اليـــوم: "الصالحين أو المُتديِّنين أو شعب الكنيسة أو الذين يُحامون أو يترافعـــون عن القانون والشريعة والنظام"، كانوا القادة لأفضَل الحركات الدينيَّة في هذا الوقت. إنهم المواطِنون المُحتَرمون والمُطيعون للنـــاموس. وبكلمـــات أُخرى، أشخاصٌ مِثلي ومِثلك تمامًا! إنَّ الأشياء التي أودَت بيســـوع إلى الصَّليب في القرن الأول هي نفسها التي لا تزال تُعمَل بي وبـــكَ اليـــوم، وهي تُزعِج وتُقلِق الله الآن في هذه الأيام تمامًا كما فَعَلَـــت في الماضـــي. وطالَما يوجَد الشرّ والشرِّير في العالَم، فالحَمَل لا زال يُـــذبَح. يكتُـــب راهب غير معروف اسمه من الكنيسة الشرقيَّة ويقول:

"سيِّدي، إنَّ آلامك لم تنتهِ بعد، إنَّ جروحك لا زالـــت تُـــدمِي، لا زالوا يصلبونك في نفْس هذا اليوم، أين؟ على الواحد أن يقرأ فقط الجرائد ليَعلَم هذا! سيِّدي، جسدك يتعذَّب، يُصلَب في كل مكان وفي كل وقت، في أعضائك البشريَّة (مت ٢٥)".

coptic-books.blogspot.com

على عهد بيلاطس البُنطِي

لماذا أُدرِج رجُل سياسِي غامِض مِن مقاطعة بعيدة في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة في قانون الإيمان؟ ليس لسبب آخَر غير أن تَطبَع فينا أن حياة يسوع كلها، موته وقيامته ليست أُسطورة أو مسرحِيَّة، ولكن حَدَث تاريخي حقيقي في زمن مُعيَّن، وبالتحديد في عهد بيلاطس البنطي لَمَّا كان واليًا على اليهوديَّة (٢٦م - ٣٦م)، بل ويُحدِّد القدِّيس لوقا هذا الحدث بأكثَر دقَّة: «*وفي السَّنة الخامسة عشرة مِن سَلطَنَة طيباريوس قيصَر إذ كان بيلاطسَ البنطي واليًا على اليهوديَّة وهيرودس رئيس رُبْع على الجليل وفيلُبس أخوه رئيس رُبْع على إيطوريَّة وكورة تراخونيتس وليسانيوس رئيس رُبْع على الأبلَّية، في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا، كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريَّا في البريَّة*» (لو ٣: ١ و٢). لقد ذُكِر اسم بيلاطس (وآخرين) ليُؤكِّد أن يسوع شخص تاريخي حقيقي، سمعه الناس الذين كانوا موجودين في هذا الزمان، ورأوه بعيونهم ولمسوه بأيديهم (١يو ١: ١). إنَّ الأساطير ممتلئة بقصص الآلهة مُثل أُوزوريس في مصر الذي قُتِل ثم عاد بعد ذلك من الموت، أمَّا قصَّة يسوع فليست إطلاقًا أُسطورةَ، إنها واقِع تاريخي، لقد وُلِد يسوع في حُكم أُوغسطس قيصر إبان إحصاء رسمي، وصُلِب بعد حوالي ٣٢ سَنَة من ميلاده أيام ولاية بيلاطس البنطي. لا يوجَد أيَ تلفيق أو اختلاق أو أَثَر للتصوُّر والخيال هنا، لا أُسطورة ولا خرافة، إنَّما حقيقة دامغة.

كإيمان تاريخي، فإنَّ المسيحيَّة تختلف عن كافة الديانات الأُخرى الكُبرَى للبشريَّة، فإذا أخذنا (البوذيَّة) كمِثال، فلا يختلف كثيرًا في البوذيَّة ما إذا كان الجواتاما بوذا قد عاش حقيقةَ أم لا، ولكَن المهم ليس الرَجُل

coptic-books.blogspot.com

أو حياته إنَّما تعاليمه، وأنَّ (الاستِنارة) التي نادى بها يمكن أن يُشارِك فيها الجميع. كذلك فإنَّ وجود كونفوشيوس أَمْر غير مهم بالنسبة للديانة الكونفوشيوسيَّة، إنَّما المهم هو ما قاله كونفوشيوس وليس ما فَعَله. إنَّ كلتا هاتين الديانتين إنَّما هي: "ديانات تاريخيَّة".

أمَّا قانون الإيمان النيقاوي فهو على العكس ينصّ على أن يسوع صُلِب على عهد بيلاطس البنطي ليُؤكِّد أن ما عمله يسوع هو أهم مِمَّا قاله يسوع. لهذا السبب فإنَّ قانون الإيمان يحكِي لنا قليلاً جدًّا عمَّا قاله يسوع، ولكنه يُعلِن تمامًا أحداث حياته: ميلاده وآلامه ومُعجزاته وموته وقيامته.

coptic-books.blogspot.com

تألَّم

إنَّها كلمة واحدة: "تألَّم!" ولكن كَم مِن ألمٍ مُكدَّس فيهـــا! لقـــد ذَكَرنا سابقًا آلام الصَّلب، ولكن تَفكَّر في أنواع الآلام الأُخـــرى الـــتي سَبَقَت الصَّلب. الجَلَدات التي تَعني حرفيًّا تمزيق ظَهر الإنسان إلى قِطَع حتى تجعَل البعض يهتاجون إلى درجة الجنون، ثُمَّ أُسلِم إلى جُند ليستهزئوا به، ثُمَّ ضَفَروا إكليلاً من الشوك، ثُمَّ أعطوه قضيب المُلك وثوبًا أُرجوانيًّا باليًا يرتديه مِثل روب، وسَخَروا منه كَمَلِـــك وكَـــنَبي. ويكتُـــب القـــدِّيس أثناسيوس بخصوص هذه السُّخرِية:

"لقد حَكَموا عليه وأدانوه بالموت كإنسان، وبينما هو مُقبِـــل علـــى الموت فإنَّهم وقَّروه كإله. إنَّهم قَلَّلوا من شأنه إلى العدم، ثم عامَلوه كمَلِك وخلعوا عنه الثياب المُعتادة ليُلبِسوه الأُرجوان. لم يكونوا يَعلَمون مَن هو هذا الذي يكيلون له الشتائم والإيذاء الجَسَدي، ولكن رغمًا عنهم دعوه نبيًّا. وبينما كانوا يَسخَرون منه ويضربونه، ومع ذلك فبالإجماع نصَّـــبوه بالانتصار، بالرداء الأُرجواني، بإكليل الشوك وقَصَبَة المُلك. حقًّـــا إنَّهـــم فعلوا كل هذا مِن قِبل السُّخرِية، ومع ذلك وبدون إدراكهم وبالرغم مِن أنفهم، اقتَبَل منهم حقّه الواجب".

وهكذا فإنَّ القدِّيس أثناسيوس يتهكَّم ويقول إنَّه حتى في سُخرِيَّتهم به، فالمسيح استُعلِن مَلِكًا ونبيًّا وأخذ حقَّه الواجب.

ثُمَّ تبع الاستهزاء به بواسطة الجُند عمليَّة الصَّلب. إنَّهـــم قـــادوه إلى مكان الصَّلب مِن خلال أطول طريق ممكن، ومِن خلال أكثـــر الطـــرق ازدحامًا حتى يراه – إن أمكن – جميع الناس، تحَـــذيرًا لأُولئـــك الـــذين

coptic-books.blogspot.com

يُفكِّرون في ارتكاب جريمة مماثلة. وعلى الأقل فالمسيح حَمَل صليبه في جزء من الطريق، وكُلَّما مضي كانت تنهال عليه السياط إذا ما وقف بسبب الإجهاد.

كما أنه كان هناك ألمٌ أكثر مِن هذا ينبغي أن نُفكِّر فيه، ألا وهو تخلِّي جميع تابعيه عنه وهجرانهم إيَّاه، فيما عدا بعض نسوة قلائل والقدِّيس يوحنا. تفكَّر مِن فضلك في الألم المبرح مِن خلال هذه الكلمات: «*نفسي حزينة جدًّا حتى الموت .. ثُمَّ تقدَّم قليلاً وخرَّ على وجهه وكان يُصلِّي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبُر عنِّي هذه الكأس، ولكن ليس كما أُريد أنا بل كما تُريد أنت*» (مت ٢٦: ٣٨ و٣٩). تفكَّر في الألم الذي قاساه وهو يَعلَم أنَّ واحدًا من تلاميذه سوف يُسلِّمه بثلاثين من الفضَّة، ثمن حقل الفخَّاري. تفكَّر في مدى التخلِّي الذي شَعَر به حتى قال: «*إلهي إلهي لماذا تركتني؟*» (مت ٢٧: ٤٦). إنَّ قانون الإيمان يقول: "تألَّم"، ولكن القدِّيس لوقا يُسهِب ويستطرِد ويوضِّح مقدار الألم فيقول: «*وصار عَرَقه كقطرات دَم نازلة على الأرض*»(٦) (٢٢: ٤٤). كان سهلاً على الله أن يَخلِق العالَم ويقول: «*ليكن نور فكان نور*»، ولكن أنْ يُعيد خِلقَة الإنسان وأن يُخلِّصه، كان يلزمه أن يَعرَق دمًا.

✠✠✠

(٦) حالة طبيَّة نادرة أكَّدَها كتب الطب الحديثة، وتحدث عندما يكون الإنسان تحت توتُّر نفسي شنيع، فتنفجر الشُعيرات الدمويَّة تحت الجلد من شدَّة الضغط، وتمتزِج بحبيبات العرق، الذي يضحَى كقطرات دم. وتُسمَّى هذه الحالة طبيًّا: "Haemohidrosis"، حيث إن: [Haemo = blood] و[Hidrosis = water or sweat] (المترجم).

coptic-books.blogspot.com

وقُبِر

يُؤكِّد قانون الإيمان أنَّ المسيح مات حقيقة وقُبِر، كما أن البشائر تتكلَّم عن دفنه بتفصيل كبير، فهي تُخبِر كيف أنَّه وُضِع في القَبر وكيف لُفَّ بالأكفان وكيف طُيِّب الجَسَد بالعطور وكيف دُحرِج الحَجَر الكبير على باب القَبر. تَظهَر هذه الأُمور على درجة مِن الأهميَّة إذا ما تَذَكَّرنا أن كاتِبي البشائر كانوا يختارون بتدقيق ما يُضمِّنوه في كتاباتهم بسبب طول البُردي الذي كانوا يستخدمونه، ومع ذلك فقد اختاروا أن يضمِّنوا كثيرًا من المعلومات بخصوص الدفن، لماذا؟ بالضرورة ليس هذا مُصادَفَة، إنَّما كان لأنَّ كُتَّاب الأناجيل كانوا يتعاملون مع الغنوسيين الدوستيِّين الذين كانوا يُعلِّمون أن يسوع إنَّما تظاهَر بالآلام والموت، ومِن هنا كان اسمهم "الخياليِّين أو الظهوريِّين". لقد علَّموا أن المسيح الإلهي دَخَل الإنسان يسوع في المعموديَّة ولكن تركه قبل الصَّلب. فبينما تألَّم الإنسان يسوع، فإنَّ المسيح الإله لم يتألم إطلاقًا. طبعًا علَّم بعض الغنوسيِّين الآخرين أن يسوع لم يُصلَب، إنَّما الذي صُلِب هو سمعان القيرواني لأنه كان يُشبِه يسوع، واعتَقدوا أن يسوع الحقيقي كان واقفًا بجوار المَشهَد وهو يضحك. كان مِن واجب البشيرين أن يُحاربوا وأن يدحضوا مِثل هذه الأفكار والتعاليم الكاذبة التي قالت إن المسيح الإلهي لا يمكن أن يتألم ويموت، ولهذا فإن قانون الإيمان والأناجيل تضع أهميَّة وتأكيدًا كبيرًا على أن المسيح حقيقة تألَّم ومات وقُبِر.

الصَّلب في اللاهوت الأُرثوذكسي

عندما ينظُر المسيحيُّون الأُرثوذكس إلى الصليب، فإنَّهم لا يرون بشريَّة المسيح فقط هي التي تتألَّم، ولكن إلهًا متألِّمًا في الجسد. نَرى هذا واضحًا في تَرنيمة الكنيسة:

coptic-books.blogspot.com

"اليوم عُلِّق على خشبة
الذي يُعلِّق الأرض على المياه.
إكليلاً مِن شوك يُتوِّج
مَن هو مَلك الملائكة.
ألبسوا ثوبًا أُرجوانيًّا للاستهزاء
لذاكَ الذي يلفُّ (يُلبسُ) السماءَ بالسُّحُب".

كما تُنشد ترنيمة أُخرى:
"هكَذا يقول السيِّد لليهود،
يا شعبي ماذا فعلتُ بك،
وبماذا ضَررتُكَ؟
لقد وَهبتُ النظر للعميان،
لقد طهَّرتُ البُرْصَ،
لقد شفيتُ المخلَّع،
يا شعبي ماذا فعلتُ بك،
وماذا فعلتَ بي مقابل ذلك؟
بدل المن أعطيتني زوفًا!
وبدل الماء سقيتني خلاًّ!
عِوض محبَّتي سمَّرتني على الصليب،
ولكن رغم ذلك لن أمنع نفسي عن الآخَرين!
سوف أدعو الأُمَم لي،
وهؤلاء سوف يُعظِّمونني،
مع الآب والروح القُدُس،
وسوف أُعطيهم الحياة الأبديَّة".

coptic-books.blogspot.com

ليس المسيح الإنسان فقط هو الذي يتكلَّم في هذه التسابيح، بل أيضًا المسيح الإله.

كذلك نحن ننظر ذلك في أيقونة المسيح المصلوب، فكما كَتَب راسِم الأيقونات الشهير فوتيس كُنتوجلو Fotis Kontoglou: "إنَّ الأشكال والألوان في الأيقونة لا تنقل نَفَس الموت البارِد، إنَّما حلاوة رجاء عدم الموت. فالمسيح يُصَوَّر وهو واقف على الصليب وليس مُعلَّقًا عليه. إنَّ جسده لحمِيّ، حتى إن كان هذا الجسد قد حَدَثَ له تجلِّي بنعمة الروح القدس، ولذلك فإن تعبيرات وجهه تتَّسِم بهدوء السماء، والأحزان التي وَقَعَت عليه ملآنة باللطف والغفران وخالية من انقباضات الاحتضار على وجهه. إنَّه الفادي المُتألِّم الذي فكَّ أوجاع المَوت، الذي منح سلام الحياة الآتية. إنَّ هذا الجسد المصلوب ليس جسداً عاديًّا إذ هو جسد الله الكلمة ذاته، ولذلك فلم يَرَ فساداً ولا يسود عليه الموت بعد، بل هو مصدر الحياة، وهو يُشعُّ برجاء القيامة. إنَّ الرب ليس مُعلَّقًا على الصليب بأسمال بالية رَثَّة، ولكنه يَظهَر في الأيقونة أنَّه هو الذي يَسنِد الصليب. إنَّ يديه على الصليب ليستا مُتشنِّجتين وهما مُسمَّرتان على الخشبة، ولكنه يمُدَّهما في هدوء وسكون في وَضع توسُّل بحسب الأُنشودة التي تقول: "إنَّكَ تمدّ راحتيكَ لكي تُوحِّد ما انقسم، الله والإنسان". كما أُكرِّر أيضًا إنَّ الأشكال والألوان في أيقونة الصَّلب الكنسيَّة لا تُعبِّر عن رعبة الموت الوحشيَّة، ولكن فيها لُطف ونُبل الحياة الأبديَّة. إنَّها تشعُّ بنور الرجاء الحلو الذي في المسيح، إنَّها ممتلئة بنعمة الباراكليت".

كما أنَّ بعض أيقونات الصَّلب الطقسيَّة - لكي تُؤكِّد أنَّ المصلوب ليس مُجرَّد إنسان إنَّما هو الإله المُتألِّم - فإنَّه يوضَع فيها فوق يد المسيح الشمس والقمر كما لو كان رافعهُما.

coptic-books.blogspot.com

بل وحتى الترانيم الـــتي تَرثي موت المسيح، فإنَّها تُرتَّل وفي صـــوتها نبرات القيامة:

"نسجد لآلامك أيُّها المسيح:
أرنا أيضًا مجد قيامتك!
أُعَظِّم آلامك،
وأُسبِّح دفنكَ وقيامتكَ،
وأصيح، يا ربُّ المجدُ لك!".

فالأُرثوذكس لا يفصلون الصَّلب عن القيامة أبدًا. إنَّ الصَّلب يُرَي في نور القبر الفارِغ الذي يَجعل الصليب رمز النّصرة.

عثرَة الصليب

يقول دستويفسكي Dostoievsky في واحدة مِن أعماله وهو يتطلَّـــع إلى أيقونة للصَّلب: "أما تَعلَم أنَّ الإنسان قد يفقد إيمانه وهو ينظُر إلى هذه الأيقونة؟" لا، إنَّه لن يفقد إيمانه بل سوف يتقوَّى فيه إذا ما تأمَّل في المعنى الحقيقي للصَّلب، كما فَعَل نيقولاس برديف Nicholas Berdyaev وهو يكتُب: "إنَّ مُشكلة عدالة الله في مقابل الألم غير المتناهي الذي في العـــالَم كانت مصدَر عذاب غير محدود لي، لا يمكنني أن أعترِف بأنَّ هناك أُلوهـــة قادرة على كل شيء وكليَّة العلم، وهي أيضًا تأديبيَّة عقابيَّة، وهي تُلاحِظ عالَمنا هذا المجروح؛ ولكن يمكنني أن أُوافِق وأن أَفهم فقط صورة إله مُحِبّ مُتألِّم مصلوب، يُمكن أن أَقبَل فقط الله مِن خلال ابنه".

إنَّ إلهنا ليس مِثل الآلهة التي على جَبَل أُولمبيوس التي لا تُبـــالي بـــآلام الإنسان. إن المسيح يُشاركنا آلامنا ليقهَرها! لا نعجَـــب إذن إن سمعنـــا القدِّيس يوحنا ذهبي الفم يقول: "إنني أدعوه ملكًا لأنني أراه مصلوبًا".

coptic-books.blogspot.com

صُلب فاتحًا ذراعيه:

قَال القدِّيس أثناسيوس منذ ستة عشر قَرنًا: ”على الصليب فقط يمكن أن يموت الإنسان ويداه مُنبسطتان“. أيّ دلالة عظيمة تكمن وراء هذه الأيدي المُمتدَّة! فالله نفسه في شخص المسيح على الصليب يمدّ يديه إلينا مناشدًا إيَّانا التوبة والعودة إليه، مادًّا يده إلينا مانحًا البركة وغُفران خطايانا، داعيًا إيَّانا إلى ملكوته.

يتأمَّل راهِب من الكنيسة الشرقيَّة بخصوص يَدَيْ يسوع الممدودتَين على الصليب فيقول: ”قدماكَ مُسمَّرتان على الخشبة.. لا قُدرة لكَ على الهروب. أنتَ تنتظِرني على موعد حدَّدته لي، وإذ ثُبِّتَّ على الصليب، فقد أعددتَ ذاتكَ لهذا الانتظار. يُمكنني أنا عدم المجيء، أمَّا أنتَ فستبقى هناك حيث المكان الذي أعددتَه. يداكَ مُمدَّتان، إنَّهما مفتوحتان تُناشِدان كل أحد. لنْ تُغلَقا ثانية، فالمسامير تُبقِي عليهما في هذا الوضع الذي هو وفي نفس الوقت دعوة وعِناق، وفي صمت يومِئان إلي: "تعال"“.

صُلب وتألُّم وقَبر:

عانى كل الآلام مِن أجلنا. يقول يسوع: ”كل هذا فعلته لأجلكم، وماذا أنتم سوف تعمَلون؟“ كيف نُكافِئ مِثل هذه الآلام ومِثل هذا الحُب؟ يقول الفيلسوف شيستيرتون G. K. Chesterton: ”مَن يعِي قيمة الدَّين الكبير الذي يستحيل على الإنسان وفاؤه، فإنَّه يظل إلى الأبد يدفعه؟“ إنَّ ذبيحة الله على الصَّليب هي مِن هذا النوع مِن الدَّين، صنف لا يمكن أبدًا أن نُوفيه، وسنظل إلى الأبد ندفعه كما فَعَل القدِّيس بولس وكَتَب: «*مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ، فما أحياه الآن في الجسد فإنَّما أحياه في الإيمان بابن الله الذي أحبَّني وأسلم نفسه لأجلي*» (غل ٢: ٢٠).

coptic-books.blogspot.com

هل يلزَم أن يموت المسيح في كل عَصر؟

ذهب ولد صغير إلى الكنيسة لأول مَرَّة في حياته يوم الجمعة العظيمة. أَصغَى الولد جيِّدًا إلى قصَّة يسوع: كَم أحبَّنا وكَم تألَّم لأجلنا، كَم سامَحَنا ووهبنا الحياة الأبديَّة. وفي نهاية الخدمة بدأَ الناس في مُغادَرَة الكنيسة عائدين إلى منازلهم، أمَّا الولد الصغير فلم يفهم لماذا يشعُر الناس المحيطين بهذا الهدوء تجاه هذا الحَدَث الجلل. إنَّهم يُغادرون الكنيسة كما لو أنَّ شيئًا لم يحدُث. وبينما كان الفتى جالسًا في مكانه وهو يتنهَّد، قال له أبوه أخيرًا: "برون Bron، لا تحزن لهذه الدرجة ولا تهتم بهذا الشَّكل لئلاَّ يظن الناس أنَّكَ شخصٌ غريب".

قد تكون هذه تمامًا هي المشكِلة التي نُقابلها في قصَّة يسوع، وهي أننا لا نشعر بهذا الحدث الجلل يكسر قلبنا، ونُغادِر الكنيسة دون أن نتأثَّر مِن جرَّاء ما فَعَله يسوع لأجلنا، الأمر الذي يجعلنا لا نستغرب مما قاله ج. ب. شو G.B.Shaw إذ كان على حق عندما كَتَب: "هل يجب أنَّ المسيح يموت في هذا العذاب في كل عصر لينقِذ أولئك عديمي الحِس؟"

يقول ملاك الرب ليهوشع في سفر زكريَّا: «*وأُزيل إثم تلك الأرض في يومٍ واحِد*» (زك ٣: ٩)، هذه النبوَّة تَمَّت في يومٍ واحِد. إنَّه يوم الجمعة العظيمة، أزال فيها الرب إثم شعبه إلى الأبد.

«*ولكن الآن في المسيح يسوع، أنتُم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتُم قريبين بدم المسيح، لأنَّه هو سلامنا الذي جَعَل الاثنين واحدًا ونَقَض حائط السياج المُتوسِّط*» (أف ٢: ١٣ و١٤).

«*إن كان الله معنا فَمَن علينا، الذي لم يُشفِق على ابنه بل بَذَله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا معه كل شيء*» (رو ٨: ٣١ و٣٢).

coptic-books.blogspot.com

وقام مِن بين الأموات

إنَّ التعليم بقيامة يسوع قد سادَ الفكر المسيحي والمسيحيّين الأوائل، فرِسالة القيامة تُشكِّل قَلب قانون الإيمان لأنَّها هي قَلب الإيمان المسيحي. القدِّيس بولس يقول هذا في تعبيرات مُؤكَّدة:

«وإن لَمْ يكُن المسيح قد قام فباطِل إيمانكُم، أنتُم بعد في خطاياكُم، إذن الذين رَقدوا في المسيح أيضًا هلكوا. إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح، فإننا أشقى جميع الناس».

«ولكن الآن قد قام المسيح مِن الأموات وصار باكُورة الراقدِين، فإنَّه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضًا قيامة الأموات، لأنَّه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع» (١كو ١٥: ١٧-٢٢).

يقول القدِّيس بولس إنْ لم يكُن المسيح قد قام فباطِل إيمانكم. إن لم يكُن المسيح قد قام؛ فأحبَّاؤنا الذين رَقَدوا قد هلكوا. إن لم يكُن المسيح قد قام؛ فليسَ لنا رجاء ونحن أشقَى جميع الناس. إن لم يكُن المسيح قد قام؛ فالحُبّ يتوقَّف مع الموت، حُبّ الله لا يَصِل إلى ما بعد القَبر. إن لم يكن المسيح قد قام؛ فلن تكون هناك عدالة، ولن يُمكِن أن تتوازَن السجلاَّت. لن يكون هناك تسديد للحسابات (أي تسديد ديون الخطيَّة)، وسوف يظلّ الحق والصلاح والفضيلة كلها كلمات جوفاء.

ولكن القدِّيس بولس يقول: *«الآن قد قام المسيح وصار باكورة الراقدِين»*. عندما يُنتِج زَرع الطماطِم أول ثَمَرَة صغيرة خضراء، فهذه باكورة لمَزيد مِن الثمار الوافرة. هكذا يقول القدِّيس بولس الرسول: إنَّ قيامة يسوع هي "باكورة". إنّه الوعد بأن الذين يعيشون معه سوف

coptic-books.blogspot.com

يقومون معه أيضًا. وكما يقول واحد من آباء الكنيسة: "هل يُمكِن أن يقوم الرأس (المسيح) ويترُك باقي الأَعضاء مائتين؟"

ولأنَّ المسيح قام مِن الأموات، فإيماننا ليس باطلاً، وخطايانا قد عُفيَ عنها، وأحبَّاؤنا الراقدون في المسيح لم يهلكوا، ويظَلّ لنا رجاء، ومحبَّة الله وهي مُستَندة على قوَّته غير المحدودة تَبلُغ إلى ما وراء القَبر، وهنا العدالة. وحتى في مواجهة عدم العدالة في العالَم، يمكننا أن نثق في عدالة الله، لأننا نَعلَم أنَّه: «*قام مِن بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكُتُب*».

إذن هل يكون عجيبًا إذا ما كانت قيامة المسيح تُشكِّل التعليم المُهَيمن على الآباء الرسل؟ إنَّ سِفر الأعمال يُسمَّى إنجيل القيامة، لأنه ينـــدُر أن توجَد عِظة فيه لا تُعلِن قيامة يسوع كقَلب وروح الرسالة المسيحيَّة (أع ٢٤: ١٥و ١٧: ١٨).

القيامة ليست خُرافة:

إنَّ قيامة يسوع هي تاريخ حقيقي، هي ليست أُسطورة ولا خرافـــة، ولهذا السبب فإنَّ الكنيسة الأُولى أكَّدت على حقيقـــة وجـــود شـــهود للقيامة. كان يلزم أنْ يَحِل مكان يهوذا تلميذ آخَر: «*شاهدًا معنا بقيامته*» (أع ١: ٣٢)، «*فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعًا شهود لذلك*» (أع ٢: ٣٢). كما يتكلَّم القدِّيس بولس عن الـــ ٥٠٠ أخ الذين شاهدوا المسيح القائم، ويقول إنَّ أغلبهم لا زال حيًّا حتى كتابة رسالته، ويبدو أنَّه يُريـــد أن يقول إنَّ مَن يُعوزه البرهان على حقيقة قيامة يسوع مِـــن الأمـــوات فليذهَب ويستَجوِبهم. الرب ظهر للتلاميذ العَشرة في غياب تومـــا (يـــو ٢٠: ١٩-٢٣)، ثم ظهر للأحَد عشر ومعهم توما ليأتي ليقتنِع بنفســـه بحقيقة الجسد والجروح التي فيه. ويقول القدِّيس متى إنَّ المرأتين العائدتين

coptic-books.blogspot.com

مِن القبر الفارغ تقابلتا مع يسوع القائم: «*وأمسَكَتا بقدميه وسجدتا له*» (مت ٢٨: ١٩). إنهما بالفعل أمسَكَتَا بقدميه، ليس فقط أنَّهما رأتاه، بل أيضًا أمسَكَتَاه. كانتا شاهدتين حقيقيَّتين للمسيح القائم.

إنَّ ظهورات المسيح القائم كان يتبعها الالتزام بالسجود لـــه. فمـــثلاً المرأتان اللتان كانتا عائدتين مِن القبر الفارغ سجدتا له بعد أن أمســـكتا بقدميه. كما كانت صرخة توما الأخيرة: «*ربِّي وإلهي*» (يـــو ٢٠: ٢٨). وعندما تقابل التلاميذ معه في الجليل فإنَّهم: «*سجدوا لـــه*» (مـــت ٢٨: ١٧). إنَّ المسيح القائم كان مُحاطًا بهالة مِن المجد الإلهي الفائق.

أحدَثَت القيامة تغيُّرات عميقة في التلاميذ بعد الصَّلب، كان التلاميذ عبارة عن جماعة فاقدة الرجاء، خائفة، رجالاً خابَت آمالهم، مُرتعبين لئلاَّ يُقبَض عليهم ويُصلَبوا هم أيضًا، وجلّ آمـــالهم كانـــت أن يعـــودوا إلى أعمالهم الأُولى وينسوا كل ما مضَى. وبعد سبعة أسابيع فقط (في يـــوم الخمسين) نَرى تغييرًا عجيبًا في هؤلاء الرجال. كانوا مملـــوئين برجـــاء مُتوهِّج وثقة، وبشجاعة جَعَلَتهم قادرين أن يَتَحَدّوا كـــل اعتـــراض في مَسعاهم ليُعلِّموا ويكرزوا بالمسيح القائم الحي. علينا فقط أن نتذكَّر كيف أنَّ بطرس أنكر سيِّده ثلاث مرَّات لينجو بجلده، وبعد شـــهرين فقـــط، بطرس هذا عينه نراه واقفًا أمام السنهدريم يشهد للمســـيح بـــلا وَجَـــل مُتَحَدِّيًا كل مُقاوَمة. ما سبب هذا التغيير؟ ألا يَلزَمْ لكل تغيير أن يكون له سبب مُناسِب؟ كان سبب تغيير بطرس هو اقتناعه بأنَّ يسوع قـــام مِـــن الموت. لقد رآه بالفعل وتحدَّثَ معه، إنَّه كان شاهدًا، ولأجل هذا كـــان راغِبًا في أن يضَع حياته لأجل سيِّده القائم.

coptic-books.blogspot.com

في اليوم الثالث

يُؤكِّد القدِّيس يوحنا ذهبي الفم أنَّ الله سَمَح ليسوع أن يظلّ في المقبرة ليس يومًا واحِدًا فقط إنَّما ثلاثة أيَّام ليقنع غير المُؤمنين أنَّه مات حقًّا.

يعتقد اليهود أنَّ الإنسان لا يكون قد مات بالفعل إلاَّ بعد مرور ثلاثة أيام، ويَظنُّون أنَّ أرواح المُنتَقِلين تحوم حول الجَسَد لمدَّة ثلاثة أيام وفي خلالها يوجد احتمال أن تعود وتسكُن الجَسَد، ولكن بعد هذه الأيام الثلاثة فإنَّها تُغادِر المكان تمامًا. ولهذا فقد اعتاد اليهود أن يزوروا القبر في كل يوم مِن هذه الأيام الثلاثة بعد الدفن لينظروا ما إذا كانت الروح قد عادَت، وبعد انتهاء هذه الأيام لا يعود لهم رجاء في عودة الحياة. لهذا السبب ذُكِرَت الثلاثة أيام في قانون الإيمان لتُنَبِّر على حقيقة موت السيِّد.

علينا أن نتذكَّر أنَّ اليوم اليهودي يبدأ الساعة السادسة مساءً، ويسوع مات ودُفِن يوم الجمعة قبل الساعة السادسة، وهذا يُحسَب اليوم الأوَّل، أمَّا يوم السبت بأكمله فكان اليوم الثاني، وفي الساعة السادسة مساء السبت يبدأ اليوم الثالث، والمسيح قام باكرًا في صباح اليوم الثالث.

أَخبَرَ يسوع تلاميذه أنَّه سوف يقوم في اليوم الثالث، ومِن الغريب أنَّ التلاميذ لَم يُصدِّقوا هذا القول ولكن أعداء المسيح صدَّقوا، لذلك لم يُنكِروا احتمال وقوع ذلك، فسألوا بيلاطس أن يَسمَح لهم بوضع حُرَّاس على القبر: «*يا سيِّد، قد تَذَكَّرنا أنَّ ذلك المُضلّ قال وهو حي إنِّي بعد ثلاثة أيَّام أقوم، فَمُر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلاَّ يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنَّه قام مِن الأموات، فتكون الضلالة الأخيرة أشرّ من الأولى*» (مت ٢٧: ٦٣-٦٤). وهكذا كان أوَّل شهود للقيامة زَوَّدونا

coptic-books.blogspot.com

بهذا الخَبَر هم الجنود عن غير قصد لمَّا رأوا الحَجَر قد دُحرِج عن القبر.

في أوَّل الفجر في اليوم الثالث حَدَث أن: «*ذهَبت النسوة إلى القبر ورأينَ القبرَ فارغًا*»، وقال لهن الملاكان الواقفان بالثياب البرَّاقة: «*لماذا تطلُبنَ الحيّ بين الأموات؟ ليس هو ههنا لكنه قام، اذكُرنَ كيف كلَّمكُنَّ وهو بعد في الجليل قائلاً إنَّه ينبغي أن يُسلَّم ابن الإنسان في أيدي أُناس خطاة ويُصلَب وفي اليوم الثالث يقوم، فتَذَكَّرنَ كلامه*» (لو ٢٤: ٥-٨). لقد سمِعنَ يسوع يُنبئ بقيامته، ولكنهن ببساطة لم يُصدِّقنَ. الآن يستعدنَ القول. لقد صدَّقن وآمنَّ واندَفعنَ ليُخبِرنَ التلاميذ الحزانى بالأخبار المُذهِلة.

اتُّهِم كاهن ألماني بالخيانة العُظمى أيام النازي وعوقِب بالموت. وقبل تنفيذ حُكم الإعدام، فإنَّ الجلاَّد الكافِر المُلحِد أراد أن يُقدِّم نُكتتهُ الأخيرة على رجُل الله، فأخذ يتباهى بمسدسه، ثم استَهزأ بالكاهن وقال: "خمس دقائق وينتهي كل شيء. أين إلهك القادِر على كل شيء؟" وبصوت مُرتَعِش إنّما ثابت الجأش، أجابه الكاهن: "نعم حقًّا إنَّ لكَ القوَّة عليَّ اليوم، وكل طِفلٍ يُمكِن أن يَرَى ذلك، ويُمكِن أن تكون لكَ القوَّة غدًا أيضًا، ولكن عليكَ ألاَّ تَنسَى أنَّه لا يزال يوجَد يومٌ ثالث، وهذا خاصٌّ بالله"، ثمَّ أُعدِم. نعم، إنَّ اليوم الثالث هو يومٌ خاصٌّ بالله، ولجميع الذين أسلموا نفوسهم له.

coptic-books.blogspot.com

كَما في الكُتُب

يقول الكتاب المُقدَّس إنَّ القيامة حَدَثٌ يُكمِّل النبوات، كلاً من نبوات العهد القديم ونبوات يسوع أيضًا. هذه الحقيقة تُبيِّن لنا أنَّ الكتاب المُقدَّس متينٌ ومُتَماسكٌ جدًّا، راسخٌ تمامًا على مبادئ ويُشير باستمرار مِن خلاله إلى المسيح وقيامته إلى قمَّة عَمَل الله بين الناس.

وَجَدَت الكنيسة الأولى مَرجعًا للقيامة في (مزمور ١٦: ١٠): «*لأنَّك لا تترك نفسي في الجحيم ولا تَدَع قدُّوسك يَرَى فسادًا*»، وهذه الآية استخدمها سفر الأعمال مرَّتين ٢: ٣٠-٣١و ١٣: ٣٥. إنَّها تُشير إلى حقيقة أنَّ الله لن يَسمَح للممَسوح، المسيَّا، أن يبقى في الهاوية. وقد أشار كلٌّ مِن بطرس (أع٢: ٢٤-٣١)، وبولس (أع١٣: ٣٣-٣٧) إلى أنَّ القيامة حَدَثٌ وَعَدَ الله به في العهد القديم. لهذا السبب نجد في القانون النيقاوي أنَّ يسوع قام من الأموات في اليوم الثالث «*كما في الكُتُب*»، أي بحَسَب ما وَعَد به الله في العهد القديم.

إنَّ يسوع نفسه تنبَّأ بخصوص قيامته، فبعدَ أن طهَّر الهيكل مِن الصيارف، طَلَب منه اليهود آية تُريهم بأي سُلطان يَفعَل هذا: «*أيَّة آية تُرينا حتى تَفعَل هذا؟ فأجاب يسوع وقال لهم: انقُضُوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه. فقال اليهود: في ستٍّ وأربعين سَنَة بُنِيَ هذا الهيكل أَفَأَنتَ في ثلاثة أيام تُقيمه؟ أمَّا هو فكان يتكلَّم عن هيكل جسده. لذلك لمَّا قام مِن الأموات تَذَكَّر تلاميذه أنَّه قال هذا، فآمَنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع*» (يو ٢: ١٨-٢٢).

إنَّ قيامة يسوع تُشير إلى حقيقة أنَّه قادِر أن يُقيم الناس اليوم. يكتُب

coptic-books.blogspot.com

القدِّيس غريغوريوس النزينزي St. Gregory of Nazianzus بهذا الصـــدد فيقول:

"يوم أمس صُلبتُ معه،
واليوم أُمَجَّد معه.
يوم أمس مُتُّ معه،
واليوم أحيا معه.
يوم أمس دُفِنتُ معه،
واليوم أقومُ معه".

إننا نُرَنِّم في الكنيسة الشرقيَّة ترنيمة النصرة طوال الخمســين يومًــا المُقَدَّسة، أي فصل القيامةِ، فنقول:

"المسيح قام مِن بين الأموات!
بموتِه داسَ المَوت،
والذين في القُبور.
أَنعَمَ لهم بالحياة الأبديَّة".

وسيِّدنا لا زال إلى اليوم يَفتَح القبور، ويُعيد الناس إلى الحياة. ليســت القُبور الأرضيَّة ولكن القُبور التي نبنيها لأنفسنا، القُبور التي تذبُل منــها الحياة ويصير الكل فيها ميِّتًا.

وعلى سبيل المثال، يوجَد آلاف من السكِّيرين السابقين، يســتطيعون الآن أن يُكرِّروا الكلمات التي نَطَقَ بها واحدٌ منهم:

"كنتُ سكِّيرًا، وكنتُ فَضيحةً لأُسرتي وخزيًا لنفسي، فقدتُ عَمَلي وأُسرتي واحترام كل الناس، والأردأ مِن كل هذا أنَّني كنتُ على شَفا أن أفقِد نفسي. والآن شُكرًا لقوَّة يسوع، الآن أنا إنسانٌ مُقام!". قام هــذا

coptic-books.blogspot.com

الشخص مِن مقبَرَة السُّكْر بقوَّة يسوع المُخلِّص القائم.

إنَّ القُبور التي يَحبِس الناس أنفسهم فيها لا يُحصَى لها عددٌ، والرب يسوع يُحرِّر مِن هذه القُبور ويُعطِي نوعيَّة جديدة للحياة، هُنا وعلى الفور. سَأَل شابٌّ شيخًا: "لماذا تُؤمن بالقيامة؟" فأجابه الشيخ: "لأنَّني تكلَّمتُ مع يسوع هذا الصباح، أنا أَعلَم أنَّه حي". أيُّ إجابة تكون أفضل مِن هذه التي تأتي مِن اختبار شخصي، أنا أَعلَم أنَّه حيّ لأنَّني كنتُ أتكلَّم معه للتوّ! إنَّه حيّ ليمنحني رجاءً جديدًا، معنًى جديدًا، قوَّة جديدة. بدونه لا توجَد إلاَّ خيبة الأمل واليأس والأبواب المُغلَقة مِن حولي. معه الحياة: *«مُباركٌ الله وأبو ربنا يسوع المسيح الذي وَلَدَنا ثانيةً لرجاء حي بقيامة يسوع مِن بين الأموات»* (١بط ١: ٣).

عندما نتأكَّد مِن القيامة:

أثناء معركة حامية الوطيس في الحرب العالميَّة الثانية، وفي صباح الجمعة العظيمة، جُرِح جُندي أمريكي بجروح شديدة، وصَرخ لأجل معونة، ولكن لم يأتِه أحد. لوَّح الجُندي بيديه وبما تَبَقَّت له مِن قوَّة للطائرات التي تحوم فوق رأسه، ولكن بلا جَدوى، فسَقَط في النهاية في غيبوبة. ولكن حَدَث أن ذهب إليه وهو على هذا الحال فريقٌ مِن الأطباء، وفي المُستشفى الميداني ويوم عيد القيامة أفاق الجُندي مِن غيبوبته وعاد إلى وعيه. قابَلَه كاهن الفِرقة في هذا الصباح، فقال له الشاب: "يا أبي، تستطيع أن تحتمل أي شيء يوم الجمعة العظيمة إذا كنتَ مُتأكِّدًا مِن إشراق أحد القيامة".

هذه هي الأخبار السارة التي لإيماننا المسيحي. عندما نكون مُتأكِّدين مِن القيامة فإنَّه يمكننا أن نحتمل أي شيء. عندما نكون مُتأكِّدين مِن

coptic-books.blogspot.com

القيامة، يكون لنا رجاء ويقين الحياة حتى داخِل الموت.

عندما وُضِع يسوع في القبر يوم الجمعة العظيمة، مات الرجاء حتى في قلوب أعز أصدقائه المُخلصين، ولكن في اليوم الثالث تبدّد ظلام اليأس بنور القيامة البهي العجيب. لم يعُد التلاميذ يخافون الموت فيما بعد لأنهم عَلِموا أنَّ سيِّدهم قام مِن القبر حتى نقوم نحن معه. عاد إلى الأرض حتى نُؤمِن في قيامتنا الجسديَّة الخاصَّة بنا. صعد إلى السماء ليُعدَّ مكانًا للمُؤمنين به. لقد تأكَّدوا أنَّه بسبب أنَّ سيِّدهم مات وقام، فإنَّ الجَمعة العظيمة سوف يتبعها دائمًا قيامة. حُزنٌ ثُم فَرَحٌ، موتٌ ثُم حياة.

تمثيلية القيامة في خَدَمات الكنيسة الشرقيَّة

توجَد بعض أفكار تبلُغ مِن العُمق قدرًا تصير الكلمات عاجزة عن أن تُعبِّر عنها. وللتعبير عنها، فإنَّه يُمكِن توضيح ذلك مِن خلال تمثيلها. ومِن مثل هذه الأحداث قيامة ربنا يسوع المسيح. كيف يمكننا التعبير عن هذا الحَدَث العظيم بمجرَّد كلمات؟ كيف يمكننا أن نصفها؟ ماذا يمكن أن تقوله مُجَرَّد كلمات لتساعد الإنسان على اللحاق بالمعنى الكامِل؟ قليلٌ جدًّا.

لهذا السبب تُحاوِل الكنيسة الأُرثوذكسيَّة جادَّة في أن تُعلِّم القيامة مِن خلال الخدمات الطقسيَّة والقُدَّاس ومِن خلال طقس خدمة حَدَث القيامة العظيم. القيامة تُمَثَّل أمامنا، ويُسمَح لنا بالمُشارَكَة فيها، ليُساعدنا هذا على استيعاب المعنى الموجود أمامنا:

أوَّلاً تُطفَأ جميع أنوار الكنيسة لتصبح في ظلام كامل، لترمُز إلى ظلمة القبر وأيضًا إلى ظُلمة حياة الإنسان بدون الله. الجميع أخطَأوا، الجميع ماتوا. هذه حقائق صارت في كياننا لا يمكِن التخلُّص منها. هذا جُزء مِن الظلمة التي نعيشها، ظلام مِن داخلنا ومِن حولنا، كل واحد يعرف هذا

coptic-books.blogspot.com

جيِّدًا مهما سمَّينا الخطيَّة بمُسمَّيات مختلفة وحاولنا أن نُنكِر نهاية المـــوت. نحن مُهدَّدون ومُتوعَّدون بالظلام.

ولكن النور موجود داخل الظُّلمَة: «*فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يُضيء في الظلمة والظلمة لم تُدركه*» (يو ١: ٤ و٥). جاء الله إلى العالَم في يسوع المسيح، وواجَه كل قوَّة الخطيَّة بأكملـــها، والموت، ونال الظفر.

لذلك ففي عُمق نصف الليل وسكوته، تُضاء شمعـــة الفصـــح علـــى المذبَح. هذه الشمعة التي تُمثِّل المسيح نور العالَم. ثمَّ يُدار بـــاب الهيكـــل ليُفتَح ليُمثِّل فتح قبر المسيح، ثمَّ يَظهَر الكاهن مُمسكًا بالنور ليُمثِّل المسيح القائم مِن الأموات، ثمَّ يُرنِّم: "تعالوا خُذوا النور مِـــن النـــور الـــذي لا يبهَت، ومجِّدوا المسيح القائم مِن الأموات". ثمَّ يُشعِل حشـــد المُـــؤمنين شموعهم مِن شمعة الكاهن، وهكذا الواحد مِن الآخَر حتى تتوهَّج الكنيسة كلها بنور القيامة الجديد مُعلِنة للعالَم أنَّ المسيح قام، ومِن خلال قيامتـــه المجيدة تحوَّلَت ظُلمتنا إلى نور، وأصبح موتنا حياة، ومنتصف الليل (يقصُد عُمق الظلام) صار فجرًا؛ فجر النّصرة والغلبة.

ثمّ يقرأ الكاهن قصَّة القيامة مِن الإنجيل، ويُرنِّم الخـــورس والشـــعب بصوت مُبهِج ترنيمة القيامة: "المسيح قام مِن بين الأمـــوات"، وتأخُـــذ النبرة في الارتفاع إلى حالة تجعَل المؤمن يدخل في حالة دَهش وفرح غامر، وبألحان شجيَّة يُعلنون: "بالموت داس الموت". هنا قمَّة رسالة المســـيحيَّة الحقيقيَّة، الفَرَح؛ لأنَّ آخِر وأعظم عدو قد قُهِر وبطُل، الفَرَح بأنَّ المسيح نال لنا بنصرته أعظم غلبة مُمكِنة، نصرًا كونيًّا، نصرًا يشتَرِك فيه الجميع: «*أنا حيّ فأنتم ستحيون*» (يو ١٤: ١٩).

coptic-books.blogspot.com

إنَّ ليلة القيامة في الكنيسة الأُرثوذكسيَّة وطقسَها ليس إلاَّ نصرًا وغلبة. إنَّها تبدأ في ظلام وتنتهي بتهليل باهِر، تبدأ في حزن وتنتهي في هتاف، كل واحد مِن الجماعة يندفع نحو أخيه بالتحيَّة: "المسيح قام"، ويسمع الرد: "بالحقيقة قام". وتستمر هذه التحيَّة طوال الأربعين يومًا بدلاً من أي تحيَّة أُخرى.

كذلك توضَع أيقونة القيامة بعد: "الزفَّة" بجوار الهيكل بصفة مُستمرَّة لتُعرض على الجميع. هذه الأيقونة الشهيرة تُصوِّر لنا المسيح واقفًا يطأ أبواب الجحيم التي قَلَعها مِن مصاريعها وهي مُرتَّبة في الأيقونة على شكل صليب، ويَظهَر مِن داخل الأيقونة أرواح قدِّيسي العهد القديم يتقدَّمهم آدم وحواء، اللذان إذ كانا أوَّل مَن سقطا، صارا الآن أوَّل مَن عُتقا، ومِن بَعدهما الآباء البطاركة والملوك وآباء العهد القديم الأتقياء الذين كانوا في انتظار الفداء طوال هذا الزمن.

وفي ختام احتفال قدَّاس عيد القيامة، صار مِن المعتاد أن يأخذ كل فرد شمعة العيد المُضاءة إلى المنزل، حيث تُرشَم بها عتبة المنزل بعلامة الصليب المُقدَّس باللهب المُتصاعد مِن الشمعة. ولكي يُحتَفَظ بهذا النور المُقدَّس في المنزل طول السنة، فإنَّ الشمعة تُستخدَم لتُضيء القنديل المُكرَّس والموضوع أمام أيقونة الأُسرة. كما اعتادَت الأُسَر المسيحيَّة أن تُضيء شموع عيد القيامة على مائدة العَشاء وهي مجتمِعة بكافة أفرادها لتُرنِّم: "المسيح قام .." قبل تناول العشاء. كذلك فقد اعتادت بعض المناطق في اليونان، بعد تبادل تحيَّة المحبَّة: "المسيح قام" أن يُقبِّل المؤمنون بعضهم بعضًا بقُبلة المحبَّة (أغابي)، لتُعلِن عن محبَّة المسيح للبشر، كما تتِم هذه القُبلَة في الكنيسة في جوٍّ كاملٍ مِن الوقار الشديد.

coptic-books.blogspot.com

اعتاد سكان قرية بيليا Pylea في غابر الزمان أن يَخرجوا من الكنيسة بعد انتهاء الخدمة ليقفوا صفًّا واحدًا حتى يُقبِّل كل واحد منهم أخاه على التوالي. أوَّلاً يُصافحون بعضهم بعضًا بشدَّة، ثُم الواحد يقول لأخيه: "المسيح قام"، ثُم يُقبِّله، هنا القمَّة. الخصومات والعداوات تُغفَر وتُنسى في اسم المسيح القائم، وتُستبدَل بالحُب والعطف والغُفران والشفقة. وهكذا صارت هذه العادة الطيِّبة المُتَّبَعَة في هذه الجزيرة ليست إلاَّ تعبيرًا وتمثيلاً عمليًّا لترنيمة عيد القيامة العظيمة في الكنيسة الأُرثوذكسيَّة: "اليوم عيد القيامة .. لنحتَضِن بعضنا بعضًا، دَعنا نتكلَّم مع مَن يُخاصموننا، ولننسَ في القيامة كل عداوة، وبهذا فلنُرنِّم معًا: المسيح قام ..".

coptic-books.blogspot.com

وصعد إلى السماوات

أربعة أحداث هي مِن أَعظَم العجائب في المسيحيَّة وهي: تجسُّد ابن الله وصيرورته ابنًا للإنسان، القيامة، الصعود إلى السماء، ومجيئه الثاني ليدين المسكونة. كان يومًا عظيمًا لكوكبنا عندما ظَهَر ابن الله عليه في مثل جَسدنا، وكان يومًا هامًّا جدًّا عندما قام من القبر، وكان يومًا مَهيبًا للكنيسة عندما أخَذَته سحابة على مَرأى مِن الرِجال واختفى عن الأرض، ولكن سوف يَظَلّ هناك يومٌ أعظم للعالَم وهو عندما يعود المسيح الذي صَعَد مرَّة أُخرى في المجد.

ليتنا نُركِّز تأمُّلنا في معجزة الصعود، ما هي وماذا تعني؟

وكما أتى الرب يسوع إلى العالَم بطريقة فوق الطبيعة، هكذا ترَكه. إنَّ أفضل ما يمكننا أن نعرفه عن وصف الصعود هو مُستمَدٌّ من سفر الأعمال:

«ولَّما قال هذا ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم، وفيما كانوا يشخَصون إلى السماء وهو مُنطَلِق، إذا رجُلان قد وَقَفا بهم بلِباس أبيض وقالا: أيُّها الرجال الجليليُّون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء، إنَّ يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه مُنطلِقًا إلى السماء» (١: ٩-١١).

ارتَفع:

إنَّ الكلمة: "ارتَفَع" لا تعني مُجرَّد أنَّ يسوع صعد عدَّة أقدام فوق سطح البحر، ولكنها تعني أيضًا أنَّه مِن خلال صعوده فإنَّه دَخَل في وُجُود أعلى، ارتَقَى إلى مجد، إلى عالَم حياة آخَر مُختلِف، السماء.

مِن المُشوِّق أن نلاحِظ أنَّ الشخص عندما يَصعَد في الفضاء الخارِجي،

coptic-books.blogspot.com

فإنَّه يدخُل إلى عالَم مُختلف عن هذا الذي نعرفه هنا على الأرض. وعلى سبيل المثال، فإنَّ العُلماء يُخبروننا أنَّه مع نهاية هذا القرن، سوف نستطيع أن نتخطَّى حاجز الضوء تمامًا مثلَما أمكن تَخَطِّي حاجز الصوت. وبكلمات أُخرى، فإنَّ الإنسان سوف يستطيع السَفَر بسُرعة الضوء، أي بسُرعة ١٨٦ ألف ميل في الثانية، ولكي نَصِل إلى أقرب نجم بهذه السُرعة، فإننا سوف نحتاج إلى عشر سنوات، منها خمس سنوات في الذهاب وخمس سنوات في العودة. سوف نعود وعُمرنا قد زاد ١٠ سنوات عند عودة مركبة الفضاء، ولكن في الواقع، فإنَّ هذا الزمن سوف يكون ١٠ أيام فقط! لماذا؟ لأنَّ المركبة عندما تتخطَّى حاجز الضوء، فإنَّها تبلُغ النقطة التي يتوقَّف عندها الزمن. الزمن في الفضاء يختلف تمامًا عن هذا الموجود على الأرض. إنَّه عالَم مُختلف تمامًا. هذا ما يعنيه بالضبط العهد الجديد عندما يقول إنَّ يسوع: "ارتَفَع"، أي أنَّه دَخَل إلى مجال جديد للحياة مُختلف تمامًا عن هذا الذي على الأرض.

وأخَذته سحابة عن أعينهم:

السحابة في الكتاب المقدَّس هي علامة على الحَضرة الإلهيَّة.. كانت هي التي أحاطَت بجبَل سيناء عندما أعطى الله الوصايا العشر وعند التَجَلِّي: «*سحابة نَيِّرة ظَلَّلتهم*» (مت ١٧: ٥). ومِن المُحتَمَل أنَّ صوت الله الذي سُمِع أثناء عماد المسيح كان مِن داخل السحابة. يقول: «*هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرت*» (مت ٣: ١٧). لذلك عندما نقرأ في سفر الأعمال: «*وأخَذته سحابة عن أعينهم*»، فهذا يعني أن يسوع دَخَلَ الحَضرة الإلهيَّة عينها.

بعد أربعين يوما:

يقول العهد الجديد إنَّ صعود يسوع حدث بعد ٤٠ يومًا مِن القيامة.

coptic-books.blogspot.com

وبحسب لُغة الإنجيل فإنَّ ٤٠ يومًا هو تعبير لا يُؤخَذ بالمعنى الحرفي باستمرار، فقد يكون هناك حَدَثٌ ضخم هام ولكن في زَمَنٍ مُحدَّد. وأيًّا كان هذا، إلاَّ أنَّ الكتاب المُقدَّس يخبِرنا أنَّ يسوع ظهر لتلاميذه على مدى ٤٠ يومًا بعد قيامته. يوجَد سببان لظهورات الرب لهم طوال هذه المدَّة:

أولاً: ليتيقَّنوا فوق كل شك بحقيقة قيامته مِن الأموات. لَوْ كان ظَهَر مرَّة واحدة، قد يقول الناس في الأجيال اللاحقة إنَّ ظهورًا واحدًا للقيامة هو خرافة مِن تخيُّل شخصٍ ما، ولكن ظهوره عدَّة مرَّات وفي ظروف وأوقات وأحوال وأماكن مُختلِفة، فهذا يجعَل حقيقة قيامته فوق كل شك.

ثانيًا: كان لأجل التعليم. ولكن لماذا كان يَلزم للتلاميذ أن يفهموا أكثر كثيرًا عن يسوع بعد قيامته أكثر مِن ذي قبل؟ طبعًا نحن لا نَشُك أنَّ هذا حَدَث مِن خلال الروح القدُس الذي حلَّ عليهم يوم الخمسين، ولكن أيضًا مِن خلال تعليم يسوع فترة الأربعين يومًا: «*الذين أراهم أيضًا نفسه حيًّا ببراهين كثيرة بعدما تألَّم وهو يَظهَر لهم أربعين يومًا ويتكلَّم عن الأمور المُختصَّة بملكوت السموات*» (أع ١: ٣). وفي واحدٍ مِن الأناجيل نقرأ أنَّ يسوع خلال هذه الأربعين يومًا: «*ابتَدَأ مِن موسى ومِن جميع الأنبياء يُفسِّر لهم الأمور المُختصَّة به في جميع الكُتُب*» (لو ٢٤: ٢٧). ثمَّ تبع هذه الظهورات المُتوالية بعد قيامته وتعاليمه لتلاميذه أنَّ يسوع: «*أخرجَهم إلى بيت عنيا ورَفَعَ يديه وبارَكهم .. وانفَرَدَ عنهم وأُصعِد إلى السماء*» (لو ٢٤: ٥٠ و٥١).

لماذا انطَلَق؟

لماذا تركهم يسوع ومَضى في وقت كان يمكنه أن يَعمَل كثيرًا على الأرض؟ الإجابة أعطاها يسوع نفسه: «*خيرٌ لكم أن أنطَلِق، لأنَّه إن لم أنطلِق لا يأتيكم المُعزِّي، وأمَّا إن مضيتُ أُرسِله إليكم*» (يو ١٦: ٧).

coptic-books.blogspot.com

يُخبِرنا يسوع هنا أنَّ هيئته البَشَرِيَّة سوف يحل مكانها حضور المُعـزِّي، المُعين، الروح القُدُس. إنَّه سوف يأتي بنا إلى اتِّصال أكثَر مـع يسـوع بدرجة أكبَر ممَّا هي موجودة لو كان يسوع قد استمر معنا بهيئة بَشَرِيَّة. لو بقى يسوع معنا على الأرض لن يكون لنا لقاء معه أكثر من لمسة اليد أو سماع الأُذن أو هَزَّة فَرَح الاحتضان، الأُمور التي هي أقل جـدًّا مـن درجة المَوَدَّة والصداقة التي يُريدها الله مع أرواحنا، أو التي تُريدها أرواحنا في علاقتها مع الله. ولكن إن صعد إلى السماء، فسوف يستطيع أن يـأتي ويسكن في كل واحد منَّا بملئه، حتى يصير فكرنا فكره وحياتنا حياتـه. وعلى سبيل المثال، أليسَ الروح القُدُس هو الذي يُؤثِّر في الأسرار ويُحوِّل الخُبز والخمر في القدَّاس الإلهي، وهكذا يُحضر إلينـا المسـيح في سِـرّ الشركَة؟ وبنوالنا المسيح في هذا السرّ، فإنَّه يأتي ليملأ حياتنا بحضـوره. وهكذا إذ يصير المسيح فينا كلنا، فإنَّه يُعطينا التزامًا خاصًّا جدًّا أن نُمَجِّده اليوم في العالَم بحياتنا، وأن نكون مُسحاء منظورين نحيا ونعمَل كأدوات في يديه ووكلاء له، سُفَراء عنه، شعبًا خاصًا شاهدًا له.

وعلى ضوء ذلك، فإننا لن نجد أنَّ يَوْمَي الصعود والخمسين هما يومان مُقدَّسَان مُنفصلان، ولكن الصعود يكون مُقدِّمة لحلول الروح القُـدُس. يمضِي يسوع لِيُرسِل لنا الروح القُدُس. يمضِي ليُغَيِّر الشكل الذي سيعمَل به بيننا. والآن سوف يعمَل مِن خلالنا، نحن الممتلئين بالروح، الممتلـئين بالمسيح، نحن أعضاء جسده، الكنيسة.

البَشَرِيَّة تَصعَد مَع المسيح:

نَزَلَ المسيح مِن السماء كابن الله الأزلي، ولكن عندما عاد إلى كُرسي المجد والكرامة عن يمين الآب، فإنَّه أَخَذَ معه طبيعتنا البشريَّة. عاد الإلـه المُتجسِّد إلى أبيه. إنَّها طبيعتنا في كل شيء - ما عدا الخطيَّة - هي الـتي

coptic-books.blogspot.com

جَلَسَت عن يمين الله. ابن الله نَزَل ليكون واحِدًا مِنَّا، وصعد ليُمكِّننا أن نصعد معه. مِن خلال الصعود وتمجيد المسيح وجلوسه على العرش مُجِّدت كل الطبيعة البَشَرِيَّة وجَلَسَت عن يمين الآب. وبما أنَّ بشريَّة المسيح ارتَفَعَت إلى الأماكِن السمائيَّة، فإنَّ بشرِيَّتنا سوف ترتفِع هكذا أيضًا. إنَّ صعودنا هو بُرهان على أنَّ الإنسان جُعِل للسماء وليس للقبر، للمجد وليس للفساد.

في يسوع الصاعِد نبلُغ مقصدنا، النصيب الحقيقي للإنسان. ومع أنَّه بسبب ضعفنا الحاضِر ووهننا وجهلنا وآلامنا قد يبدو أنَّه نصيب بعيد المنال جدًّا عنَّا، إلاَّ أنَّ نفس القوَّة التي رَفَعَت يسوع ومجَّدَته سوف ترفعنا نحن أيضًا.

الآن علمنا أنَّه توحّد طبيعة بشريَّة مثلنا تمامًا، لذلك فهي تُمَثِّلنا تمامًا، اختَرَقت الحاجِز الأخير وعَبَرَت العتبة الأخيرة التي تفصِل البَشَري عن الإلهي. ولأننا واحدٌ معه وفيه، فإنَّ إنجازاته إنَّما هي لنا. لذلك لا يتردَّد أبدًا القدِّيس بولس في أن يصف المسيحيِّين بأنَّ الله قد: «*أجلَسَهُم معه فوق السموات في المسيح يسوع*».

coptic-books.blogspot.com

وجلس عن يمين الآب

يتكلَّم القدِّيس مرقس عن الصعود في عبارة واحدة فيقول: «*إنَّ يسوع أُصعِد إلى السماء وجَلَسَ عن يمين الله*». إنَّ العبارة: "جَلَسَ عن يمين الله" لا يجب فهمها حرفيًّا، فالله ليس له يد "يُمنى" ويد "يُسرى". إنَّما هذه مُجرَّد صفات بَشَرِيَّة. ولكن المقصود هنا هو أُلوهيَّة يسوع، مَنْ يُمكنه أن يَجلس عن يمين الله إلاَّ مَلِك في درجة مُتساوية؟ إنَّ المسيح الصاعد يأخذ مكانه الصحيح في المجد والكرامة في السماء في ملوكيَّة الله على السماء والأرض. إنَّه يَجلس على عرش العالَم. كل ما يحدُث في الكون إنَّما هو مضبوطٌ به.

يملأ كل الأشياء:

يقول القدِّيس بولس عن يسوع: «*صَعَدَ أيضًا فوق جميع السموات لكي يملأ الكل*» (أف ٤: ١٠). والطبعَة الإنجليزيَّة الجديدة تقول: "لكي يملأ العالَم". عندما صعد المسيح إلى السماء، فأنَّه تحرَّر مِن جميع حدود المكان والزمان. تحرَّر ليكون موجودًا بحبِّه وقوَّته مع كل إنسان في كل مكان وفي كل عُمر، إذ هو يملأ العالَم بحضوره. صار يسوع أقرب لنا الآن عمَّا كان مِن قبل. إنَّ هذا مُبدَعٌ بجمالٍ خاص في واحدة مِن أيقونات الصعود، حيث يُصوِّر لنا راسِم الأيقونة المسيح الصاعد أكبر وأكبر حتى تكون الكُرة الأرضيَّة نفسها ليست إلاَّ كُرة صغيرة يُمسكها المسيح في يده. وبكلمات أُخرى، فمن خلال صعوده، فإنَّ المسيح يَظهَر كفائق على المكان والزمان كملِك العالَم: «*إذ أقامه مِن الأموات وأجلَسَه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوَّة وسيادة وكل اسم يُسَمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المُستقبَل أيضًا، وأخضَع كل شيء تحت قدميه، وإيَّاه جَعَل رأسًا فوق كل شيء للكنيسة التي هي جَسَده ملء*

coptic-books.blogspot.com

الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١: ٢٠-٢٣).

صديقٌ ينتظرنا في السماء:

إذ صعد إلى السماء، فقد عَبَر إلى عالَم آخَر روحي غير مرئي، إلاَّ أنَّه حقيقي تمامًا كالعالَم الذي نعيش فيه اليوم. هذا يُخبرنا أنَّ الإنسان سوف يكون في منزل في مكان آخَر في هذا العالَم المُتَّسِع غير الأرض. يقول يسوع: *«أنا أمضي لأُعدّ لكم مكانًا.. حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا»* (يو ١٤: ٢، ٣). إنَّ الصعود يعطينا التأكيد أنَّه يوجَد لنا صَديق ليس على الأرض فقط بل أيضًا في السماء. هو سابق لأجلنا ليعد لنا مكانًا عند وصولنا. الموت ليس معناه الذهاب إلى الظُلمة، لكن الدخول إلى حَضرته.

إنْ وَجَد أحدٌ علاجًا للسرطان، فهذا شيء يدعو إلى الابتهاج، ولكن يوجَد مَن وَجَد علاجًا لمرض أردأ مِن السرطان: الموت. إنَّ قيامة المسيح تُرينا أنَّه، خارجًا، في عالَم الله العظيم، فيما وراء هذا الكوكب المتناهي في الصغَر والمُسمَّى أرضًا، سوف يمضي الإنسان يومًا ما ويَجد مترلاً مع صَديق، كما قال المسيح في صلاته الكهنوتيَّة: *«أيُّها الآب، أُريد أنَّ هؤلاء أيضًا الذين أعطيتني، يكونون معي حيث أكون أنا»* (يو ١٧: ٢٤).

سوف يأتي ثانية:

تُختَم رسالة الصعود بالإعلان عن عودة المسيح: *«إنَّ يسوع هذا الذي ارتَفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه مُنطلقًا إلى السماء»* (أع ١: ١١). إنَّ يسوع الصاعِد هو رب المستقبَل، وهو سوف يعود يومًا ما بنفس الطريقة التي صَعَد بها. وكما ترك شخصيًّا هكذا سيعود شخصيًّا. وكما صعد في جسده المُمَجَّد، هكذا سوف يعود بمَرأى من الناس، كما يقول سِفر الرؤيا: *«وستنظره كل عين»* (رؤ ١: ٧).

coptic-books.blogspot.com

شفيعنا عند الآب:

يَصعَد يسوع إلى السماء لا لينهي عَمَله بالنسبة للبَشَر لكن ليكمله ويكون شفيعنا العظيم أمام عرش الله. بل وأيضًا قَبْلَ صعود المسيح، فإنَّه كان يُصلِّي مِن أجل نفوس الناس. إنَّه صلَّى لأجل تلاميذه وعلى الخصوص لأجل بطرس حتى لا يَفنى إيمانه. وفي صلاته السامية في العشاء الأخير فإنَّه صلَّى لأجل جميع المُؤمنين المسيحيِّين، في الماضي والحاضر والمستَقبَل، والآن هو في السماء يشفع فينا، «*.. الذي هو عن يمين الله، الذي أيضًا يشفع فينا*» (رو ٨: ٣٤)، «*فمِن ثَمَّ يقدر أن يُخلِّص إلى التمام (في كل وقت) الذين يتقدَّمون به إلى الله إذ هو حيّ في كل حين ليشفع فيهم*» (عب ٧: ٢٥)، «*لكي يَظهَر أمام وجه الله لأجلنا*» (عب ٩: ٢٤)، وهو يكون لنا شفيعًا أمام الله (١يو ٢: ١)، شفيعًا تمامًا كالمحامي الذي يُدافِع عنَّا. يسوع صعد إلى السماء بجسده، إنَّه يقف الآن أمام عرش الله نائبًا عن كل الجنس البشري كمحامي يُدافِع، صار لنا أعظم وأقوى مُدافِعٍ في العالَم، ساميًا ورفيع الشأن، مُتبنِّيًا قضيَّتنا! ولكي يُدافِع عن حالتنا بنجاح، فهو يحتاج إلى مُساندتنا، يحتاج إلى أفضَل بُرهان يمكننا أن نعطيه إيَّاه: إيماننا المُخلِص، توبتنا، أعمال الحُب!

إن كان هذا أمرًا يُساعدنا ويُشجِّعنا أن نعرف في بعض الأوقات أنَّ هناك زوجة أو طفلاً صغيرًا أو أُمًّا مُبارَكَة أو أبًا أو صديقًا وَفيًّا مُخلصًا يُصلِّي لأجلنا، وهذا التفكُّر في هذه الصلوات يُقوِّينا ويُعيننا ويُنقِّينا حتى أنَّ قلوبنا تتشجَّع وتتقوَّى، كَم يكون بالأكثَر أن يُساعدنا تذكار أنَّ المسيح الصاعِد هو الآن شفيعنا العظيم في السماء، الذي يُصلِّي على الدوام لأجل كل واحِد مِنَّا!

إنَّه يفهمنا:

إنَّ الصعود يعني أنَّ الذي يشغَل عرش السماء يَفهَم مشاكلنا

coptic-books.blogspot.com

الإنسانيَّة. إنَّ يسوع الذي يجلس هناك الآن هو إنسان كامِل مثلنا في كل شيء ما عدا الخطيَّة. هو يَعْرف مشاعرنا، هو يعرف ضعفنا وتجاربنا وأحزاننا وأثقالنا.. هذا سوف يعطينا ثقة في كمال بشريَّة يسوع. إنَّ يسوع الإله الكامِل بالناسوت صعد إلى العرش الإلهي. إن كان حقًّا أنَّ الناس قد صاروا إلهيِّين (بسبب كونهم على صورة الله)، فحقٌّ أيضًا أنَّ الله قد صار إنسانًا. هذا ما دعا الرسول بولس أن يكتُب إلى العبرانيين: «*لأنَّ ليس لنا رئيس كهنة غير قادرٍ أن يرثي لضعفاتنا، بل مُجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطيَّة، فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عونًا في حينه*» (عب ٤: ٢٥ و١٦).

فيما هو يباركهم:

يُسجِّل لنا القدِّيس لوقا أنَّ يسوع بينما هو صاعد إلى السموات، فإنَّه رَفَع يديه بالبَرَكَة: «*وأخرجهم خارجًا إلى بيت عنيا، ورَفَع يديه وبارَكهم، وفيما هو يُبارِكهم انفرَد عنهم*» (لو ٢٤: ٥٠ و٥١). كان وجود يسوع كله في وسطنا بَرَكَة، حياته كانت بَرَكة، وموته كان بَرَكَة. قيامته كانت بَرَكَة، وتَرَك أتباعه فيما هو يُبارِكهم، وغالبًا في كل أيقونة يُصَوَّر الرب ويده مرفوعة بالبَرَكَة. إنها بَرَكَته التي يمنحها الكاهن للجماعة عندما يقول لهم: "السلام معكم". والآن من خلال كنيسته، فإنَّه يبحث أن يسعى كل واحد منَّا بأعظم بَرَكَة يمكن أن ننالها، ألا وهي الوعد بالغفران والسلام والحياة الأبديَّة.

صُعود مستمر:

وَعَدَ ربنا تلاميذه أنَّهم سوف يرون السماوات مفتوحة وملائكة الله يَصعدون ويترلون على ابن الإنسان. ماذا تعني هذه الكلمات: «*يصعَدون ويترلون على ابن الإنسان؟*» (يو ١: ٥١). إنها تُشير إلى وجود المسيح

coptic-books.blogspot.com

المُستَمِر في العالَم بعد صعوده. إنَّ مجيء المسيح إلى العالَم يُشير إلى فتح السموات، لقد نَزل من السماء على السلّم وعندئذ بقيت السماء مفتوحة. قد نقول إنَّ المسيح نفسه هذا السلم، الطريق الوحيد إلى الآب وإلى السماء، ولكن يوجَد صفوف مُتتالية للصعود على هذا السلم، والملائكة الذين يصعدون وينزلون هي صَلَواتنا، تَصعد إلى أعلى لتنال معونةً وإلهاماً، وتنزل لتأخذ معها قليلاً من السماء، نسمة من هواء الله النقي تنفخها لعالَم البَشَر المُتنازِع. يكتب يوحنا السُلّمي: "الصلاة هي صعود مُستمِر إلى السماء"، ويمكننا أيضًا أن نُضيف: وأيضًا الخدمات الكنسيَّة والقداس وقراءة كلمة الله هي صعود مستمر إلى حضرة الله.

علينا أن نتذكَّر في الختام أن كل ما فَعَله يسوع كان لأجلنا. لأجلنا صَعَد إلى السماء، لأجلنا جَلَس عن يمين الآب وهو يَشفَع فينا. ذَهَب ليُعدَّ لنا مكانًا. ولأجلنا فَتَح السماء حتى يُمكن أن تصعد صلواتنا إليه، ولأجلنا سوف يأتي ثانية ليأخُذنا إليه حتى نكون كل حين مع الرب.

يقول القدِّيس أُغسطينوس:

"صَعَد المسيح إلى السماء يا إخوتي الأحباء. لذلك فعلينا ألاَّ نقلق على الأرض (بسبب هذا). لتكن أفكارنا هناك، وهنا سوف يكون سلام. وفي غضون ذلك نحن نَصعد بقلب مسيحي، حتى إذا ما جاء اليوم الذي وَعَد به، فنحن أيضًا سوف نتبعه في الجسد. ولكن علينا أن نَعرف - أيها الإخوة - إنَّه لا يصعد مع المسيح لا كبرياء ولا نجاسة، ولا جَشَع ولا شيء مِن تعدِّياتنا سوف يصعد إلى شافينا. لذلك إذا أردنا أن نصعد ونكون بصحبته، فيجب أن نكُفَّ عن الخطيَّة وعن الشر. نحن نُعيِّد اليوم لمناسبة صعود الرب، وباحتفالنا بهذا العيد بقداسة وطهارة وإيمان وفضيلة؛ فنحن نصعد معه وتكون قلوبنا فوق، لأن قيامة المسيح هي رجاؤنا وصعوده هو مجدنا".

coptic-books.blogspot.com

وأيضًا يأتي في مجده

وَصَل سائق إلى جسر طويل ضيِّق، ورأى أمامه إشارة مكتوب عليها: "ممنوع المرور على هذا الجسر"، وإذ بسائق آخَر يسير ببطء أمامه ملاحظاً تأنِّيه، فأدار السائق الأول عربته إلى الممر الآخَر وهو يُحَملق بغضب إلى السائق الثاني بعد أن تخطَّاه، وعند نهاية الجسر إذ بضابط المرور يُشير إليه للتو ويأمره بالوقوف ويقول له: "أما رأيتَ الإشارة المكتوب عليها: "ممنوع المرور"؟"

أجابه السائق: "بَلَى".

"حسنًا، فلِم إذن تجاوزتَ السيَّارة الأُخرى؟" فأجابه السائق بخضوعٍ وخجل:

"سيِّدي الضابِط، لأكون صريحًا، لَم أكُن أتوقَّع وجودك عند نهاية الجِسر".

إنَّ الرب يسوع لَم يُخبِرنا كثيرًا عمّا سوف يحدث لنا في المستقبَل، ولكنه أخبرنا عن حَدَث هام جدًّا سوف يحدُث في هذا المستقبَل، إنَّه أبلغنا أن نتوقَّع تواجده الفجائي عند نهاية جِسر الحياة. يقول قانون الإيمان النيقاوي: "وأيضًا سوف يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات". المستقبَل هو شيء كل واحد مِنَّا يتَّجه نحوه ويطلبه بمعدَّل ستين دقيقة في الساعة. مهما فَعَل الإنسان، ومهما كان الإنسان، فإنَّ أهم حَدَث في المُستقبَل هو مجيء الرب يسوع وظهور كل واحد مِنَّا أمامه للدينونة.

توجَد في إحدى القاعات الكبيرة صورة مُعلَّقة تُبيِّن مباراة في الشطرنج بين شخص يُدعى فوست Faust والشيطان، وعنوان الصورة: "موت المَلِك

coptic-books.blogspot.com

Checkmate"، وفيها يُنهي الشيطان المباراة لصالحه وهو يَزنق فوست في موضِع حَرِج، كما تُبيِّن الصورة الشيطان وهو ينظر بازدراء إلى فوست. تُكمِّل القصَّة أنَّ شيخًا كان يقف في أحد الممرات وهو يُحملق في الصورة لمدَّة طويلة، ثمَّ يصرخ فجأة: "هذا ليس صوابًا، يُمكن أن ينتقِل فوست إلى حَركة أخرى! الملِك لم يمُت، يمكنه أن يتحرَّك".

لا يهمنا كثيرًا أن يَظهَر الشيطان كما لو كان قد وَضَع ملكنا في موضِع حَرِج في مباراة هذا العالَم، إنَّه لا زالت أمام المَلك حَرَكة كبيرة وأخيرة، سوف يأتي ثانية في مجده ليدين الأحياء والأموات.

الكُتب المُقدَّسة تشهد على مجيئه:

يتكلَّم الكتاب المقدَّس بكل وضوح عن المجيء الثاني للرب يسوع فيقول:

«ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القدِّيسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيُميِّز بعضهم مِن بعض كما يُميِّز الراعي الخراف مِن الجِداء» (مت ٢٥: ٣١ و٣٢).

«.. آتي أيضًا (مرَّة ثانية) ..» (يو ١٤: ٣٠).

«إنَّ يسوع هذا الذي ارتَفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلِقًا إلى السماء» (أع ١: ١١).

«لأنَّه لابد أننا جميعًا نُظهَر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صَنَع خيرًا كان أم شرًّا» (كو ٥: ١٠).

«متى أُظهِر المسيح حياتنا، فحينئذ تُظهَرون أنتم أيضًا معه في المجد» (كو ٣: ٤).

coptic-books.blogspot.com

الباروسيَّا (المجيء الثاني):

يستخدِم العهد الجديد باللغة اليونانيَّة ثلاث كلمات ليصف بها المجيء الثاني للمسيح. **الأولى** كلمة: "باروسيَّا parousia" والتي تعني حتى في اللغة اليونانيَّة الحديثة: "وجود إنسان بشخصه presence of someone in person". وبهذا فإنَّ كلمة الباروسيا عندما تُستخدَم إلى عودة المسيح، فإنَّها تُوصِّل لنا فكرة مجيء المسيح بشخصه في نهاية الزمن.

والكلمة اليونانيَّة **الثانية** المُستخدَمة لمجيء المسيح هي كلمة: "إبيفانيا epiphania" والتي تعني حرفيًّا ظهور شيء أو شخص، مِثل ظهور نجم في السماء. إنَّه موجود باستمرار طول اليوم لكنه مَخْفِيٌّ عن النظر وفجأة يَظهر في الليل.

أمَّا الكلمة **الثالثة** اليونانيّة التي استُخدِمَت فهي: "أبوكاليبسيس apokalypsis" وهذه تعني حتى في اللغة اليونانيَّة الحديثة: "أن تُظهر، أن تُعلِن، أن تُجلي، أن تكتشِف شيئًا كان مخفيًّا". نحن نَعلَم أن المسيح معنا باستمرار، ولكن الآن نراه بالإيمان، أمَّا في آخِر الزمان، عندما يُرفَع البُرقُع ويَظهَر بشخصه، فإننا سوف نراه ليس بَعد بالإيمان بل بالعيان.

بين المدرسة والجامعة:

يمكننا أن نُقارِن مجيء المسيح بالفرق بين الحياة في المدرسة والحياة في الجامعة.

يعيش الطلبة في المدرسة تحت نظام صارِم، غير مسموح لهم بالتغيُّب عن الحصص، كذلك يلزمهم التواجد في المواعيد المُحدَّدة، كما يلزمهم قضاء ساعات مُعيَّنة مُحدَّدة يوميًّا في الدراسة، ولا يمكنهم التغيُّب عن المدرسة إلاَّ بتصريح خاص وإلى أوقات مُحدَّدة. أمَّا بالنسبة للحياة في

coptic-books.blogspot.com

الجامعة فالوضع على الخِلاف تمامًا: لا أحَد يُراجِع حضـــور الطلبـــة أو غيابهم، لا توجَد ساعات محدَّدة للدراسة، الطالِب يحضُر أو يتغيَّب كيفما يشاء، لا حدّ لعدد الساعات التي يقضيها بالجامعة، ولكن يأتي طبعًا ميعاد الامتحان الذي يُبيِّن كيف استفاد الطالِب مِن وقته. ولكن أثناء الدراسة، فالطالِب لحدٍّ ما يتصرَّف بحسب ما يروق له.

عندما خَلَق الله الإنسان، ومَنَحَه قوَّة حُريَّة الاختيار، فإنَّه قد نظَّم أن تكون الحياة بحسب نظام الدراسة الجامعيّة. إننا أُعطينا حُريَّة عظيمة جدًّا، يمكننا أن نؤجِّل بل وأيَضًا أن نرفُض ما كُلِّفنا به في الحياة، يمكننا أن نختار أن نعيش بالغريزة أو بالدافِع، أمَّا الله فقد عيَّن وقتًـــا للدينونـــة، وقتًـــا للمُراجعة والمُحاسَبة. أحَد أهداف الدينونة هو مُحاسبتنا: كيف استخدمنا الحُريَّة، الوقت، الوَزَنات، والبَرَكات الأُخرى الـــتي منحنـــا إيَّاهـــا الله. ومصيرنا الأبدي يتوقَّف على نتائج هذا الفحص والامتحان.

التبايُن بين المجيء الأوَّل والمجيء الثاني

تنبَّأ العهد القديم عن مجيء يسوع الأوَّل بالتفصيل. وقَبْلَ ميلاد يسوع بمئات السنين كَشف الأنبياء وأعلنوا أنَّه:

سوف يولَد في بيت لحم،
سوف يهرب إلى أرض مصر،
سوف يشفي المرضى،
أنَّ شعبه الخاص سوف يرفضه،
أنَّ صَديقًا سوف يُسلِّمه ويبيعه بثلاثين مِن الفضَّة،
أنَّه سوف يُصلَب مع الخُطاة،
وسوف يُطعَن في جنبه، وسوف يقوم مِن بين الأموات،
وسوف يَصعَد إلى السموات.

coptic-books.blogspot.com

مِن قَبْلَ أن يولَد يسوع بمئات من السنين، تنبَّأ الأنبياء عن كل هـذه الأشياء، أمَّا العهد الجديد وبما في ذلك يسوع نفسه، فيُخبِرنا بأنَّه سوف يأتي مَرَّة ثانية! ولكن ما أوسع الاختلاف بين المجيء الأول والمجيء الثاني! عند مجيئه الأول، فإنَّ شعبًا قليلاً جدًّا تعرَّف عليه، أمَّا في مجيئه الثاني فسوف تراه كل عين، وكل شخص سوف يتعرَّف عليه. عند مجيئه الأول رُذِل ورُفِض مِن الناس، أمَّا في مجيئه الثاني، فإنَّ كل ركبة سوف تجثو له. عند مجيئه الأوَّل سَبَّه الناس وشتموه بألسنتهم، أمَّا في مجيئه الثاني فسوف يعترف كل لسان أنَّه ربّ. عند مجيئه الأوَّل، فإنَّ اثني عشر فقط متواضعين تبعوه، وأمَّا في مجيئه الثاني فإنَّ أجناد الملائكة سوف يُحيطون به. عندما أتى أوَّلاً وُلد كطفلٍ لا قُدرة له، أمَّ في مجيئه الثاني فسوف يأتي مِثل مَلِك الملوك وربّ الأرباب.

أخبار سارَّة:

لمْ يتكلَّم يسوع عن مجيئه الثاني ليخيفنا أو يُرَوِّعنا: «*سوف آتي أيضًا (ثانية) وآخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا*» (يو ١٤: ٣). هذه الكلمات لا تُخيف، إنَّها كلمات شخص يُحبّنا، سوف يأتي ليأخذنا في حضرته. فإن كنَّا نُحب أن نكون في حضرته الآن، فإننا سوف نبتهج عند رؤياه في مجيئه الثاني. إن كنا قد قبلناه كسيِّد وربّ على حياتنا الآن، فسوف نتمنَّى مجيئه مُتوقِّعين البَرَكات الأعظم التي سوف يأتينا بها: «*تعالوا إليَّ يا مباركي أبي، رثوا المُلك المُعَدّ لكم مُنذ تأسيس العالم*» (مت ٢٥: ٣٤). يقول القدِّيس بولس الرسول: «*لا شيء مِن الدينونة الآن على الذين في المسيح يسوع*» (رو ٨: ١). إنَّهم قد خلصُوا وتطهَّروا وافتُدُوا بدم الحَمَل، إنَّما الذين اختاروا أن يعيشوا لأنفسهم ورفضُوا يسوع، فسوف يُتركون ليعيشوا لذواتهم إلى أبد الدهر.

coptic-books.blogspot.com

كان مجيء المسيح يُشكِّل أخبارًا سارّة للمسيحيِّين الأوَّلين، ولا زالت هي أخبار سارَّة للتابعين المُخلصين ليسوع إلى كل الأجيال. سوف يعود المسيح، سوف يعود ظافِرًا ليُخلِّص شعبه، وفي سماء جديدة وأرض جديدة سوف يمسح الله كل دمعة من العيون. لن يكون فيما بعد موت ولا حزن ولا صراخ ولا ألم، لأن الأُمور الأُولى قد مَضَت.

إن بَدَت الأُمور صعبة الآن أو مُؤلِمة، فإنَّ رسالة المجيء الثاني هي: لا تستسلِم، لا تقطَع الأمل، لا تيأس، ثِق في الرب، ضَع حياتك بين يديه، اقبَل صفحه وغُفرانه، تمسَّك بإيمانك، وسوف تكتشف يومًا ما أنَّ آخَرين قد سبقوا واكتشفوا قبلاً منك أنَّ آلام الزمان الحاضِر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستَعلَن لك عندما يأتي الرب ثانية.

استَخدَم المسيحيُّون الأوائل كلمة واحدة في تحيَّتهم بعضهم لبعض: "*ماراناثا*". إننا نجدها في ١كو ١٦: ٢٢ وتعني: «*تعالَ أيُّها الربّ!*». لابد أنَّها كانت شعارًا، إنذارًا، وربَّما كلمة سِرّ كان يستخدمها المؤمنون المسيحيُّون المُضطهَدون ويتهامسون بها بعضهم مع بعض، وكانوا عن طريقها يتعارفون بعضهم على بعض، كذلك كانوا يُحيُّون بعضهم بعضًا: «*تعالَ أيُّها الرب*» مع كل صباح يوم جديد، كما كانوا يُعزُّون بها بعضهم بعضًا عندما كانوا يتقدَّمون بشجاعة لمواجهة الاستشهاد. توجَد هنا كلمة مِن واجبنا نحن أيضًا أن نحيا ونموت بها وكذلك نطرُد بها كل المستقبَل المشئوم، يقول الرب: "إنِّي آتي ثانية"، ويجيبه المسيحي: «*ماراناثا تعالَ أيُّها الرب*».

متى سوف يأتي؟

إنَّ يسوع نفسه أجاب عن هذا السؤال عندما قال: «*وأمَّا ذلك اليوم*

coptic-books.blogspot.com

وتلك الساعة فلا يَعلَم بهما أحَد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلَّا الآب» (مر ١٣: ٣٢). لا يَعلَم أحد متى سوف يكون المجيء الثاني ولا حتى الابن، إنَّ هذا يَعلَمه الآب فقط.

ولكن شيئًا واحدًا قيل لنا: إنَّه سوف يأتي فجأة كلصّ في نصف الليل، أي دون أن يكون الناس مُستعدِّين له، ولهذا السبب وَجَبَ علينا بالضرورة كمسيحيِّين أن نحيا كما لو كان يسوع سوف يأتي اليوم.

زار سائح حديقة في إيطاليا غاية في الإبداع والجمال والرونق والرِّفعة في التهذيب، وكَتَب لنا هذه المحادثة بينه وبين البُستاني:

- كَم لكَ في رعاية هذه الحديقة؟
خمسة وعشرون عامًا.
- وكَم مَرَّة أتى صاحب البستان لرؤيته خلالها؟
أربع مَرَّات.
- متى جاء آخِر مَرَّة؟
منذ اثني عشَر عامًا.
- أعتقد أنَّه يُراسلك.
كلاَّ على الإطلاق.
- ومِن أين تحصُل على التعليمات الخاصَّة بالعَمَل؟
مِن وكيل صاحِب البُستان في مدينة ميلانو.
- هَل يأتي كثيرًا هَنا؟
لَم يأتِ على الإطلاق.
- مَن يأتي إذن ليعتني بالأُمور هنا؟
لحدٍّ ما فإنَّني أُترَك بِمُفرَدي.
- آه! ومع ذلك تعتني بالبستان وتحفظه بهذا الرونق حتى

coptic-books.blogspot.com

يكاد الإنسان يظن أنَّكَ تتوقَّع مجيء صاحبه غدًا..
كلاَّ، ليس الغد ولكن اليوم يا سيِّدي!

لماذا لَمْ يأت يسوع منذ زمان؟

يُعطينا القدِّيس بطرس الإجابة عندما يكتُب: «*ولكن لا يخفَ عليكم هذا الأمر أيُّها الأحباء أن يومًا واحدًا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيومٍ واحد. لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قومٌ التباطؤ، لكنه يتأنَّى علينا، وهو لا يشاء أن يَهْلك أُناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة*» (٢بط ٣: ٨ و٩). وبكلماتٍ أُخرى، إنَّه يُبطئ لأنَّه يُحِب، لأنَّه يُريد أن يُعطينا فُرصة ووقتًا للتوبة.

أَمسَكَ مُلحدٌ بساعته ذات مَرَّة وقال: "إن كان الله موجودًا فليُمِتني خلال خَمس دقائق"، ولَمَّا لَمْ يحدث شيء ابتَسَم. سمع أحد أصدقائه المؤمنين بهذا فقال: "هل يَظن هذا المُلحِد أنَّه يستطيع أن يستَنفِد صَبر الله خلال خَمس دقائق؟"

الله لا يتعامَل معنا بحسب ساعتنا وتقويمنا، إنَّه خالد، خارِج الزمن، فوقه وبَعده. وإن كان الزمن لا يعني شيئًا بالنسبة لله، لكنه يعنينا جدًّا طالما المسيح لم يأتِ بعد. إذًا لا زال يوجَد وقتٌ لنا لنتوب ونؤمِن، وقتٌ لنَخْلص. وهذا هو سبب إبطائه، إنَّه يُريد أنَّ: «*الجميع يَخلصون وإلى معرفة الحَق يُقبِلون*» (١تي ٢: ٤).

يكتُب الفيلسوف س. إس. لويس C. S. Lewis ويقول: ".. إنَّه يُبطئ، يُريد أن يعطينا فُرصة الوجود بجواره بحريَّتنا.. إنِّي أتعجَّب ما إذا كان الناس الذين يسألون أن يتدخَّل الله جهرًا وبطريق مباشِر في عالَمنا يدركون جيِّدًا ماذا سوف يحدث لو فَعَل هذا؟ لو حَدَث هذا، لكانت

coptic-books.blogspot.com

نهاية العالَم. عندما يتمشَّى المُؤلِف إلـــى خشبة المســـرح حيـــث تُـــدار المسرحيَّة، فإنَّ هذا يعني أنَّ التمثيليَّة قد انتهت. الله سوف يغزو العـــالَم، سوف يجتاح العالَم، حسنًا، ولكن أيّ نفع سيصِير لنا عندما يجيء الوقت ولا تعود توجَد فُرصة اختيار بعد؟!"

نعم، توجَد لنا فُرصة الآن، والتي بسببها فإنَّ الله يُبطئ الآن ليهبنا أن نختاره وأن نعيش معه.

لماذا لَم يُخبِرنا عَن موعد مجيئه؟

لم يُعلِن لنا يسوع عن موعد مجيئه الآتي لسبب مُناسِب جدًّا، إنَّه يُريدنا أن نكون باستمرار مُستعدِّين. عندما يأتيكَ ضيوف في منزلك، فإنَّكَ تَودّ أن تَعرف اليوم بالضبط - إن أمكَن - وكذلك ساعة وصولهم، ولكن إن حَدَث هذا، فإنَّكَ سوف تُنظِّف المنزل وتُعِدُّه ليكون على أتمّ تجهيز لدى وصولهم، ولكن إن كنتَ لا تَعرف موعد حضورهم، فهذا سوف يستلزم أن تَجعَل المنزل نظيفًا في كل وقت.

الله يُريدنا أن نكون متأهِّبين لمجيئه باستمرار، أن نحتَفِظ بنقاوة سريرتنا باستمرار. وهذا الكلام يصيغه القدِّيس أُغسطينوس هكذَا: "هذا اليوم هو اليوم الوحيد الذي أخفاه الله عنَّا حتى نحتَفِظ بجميع الأيَّام ونحن في يقظـــة وانتباه".

في الواقِع فإنَّ الأمر لا يختلِف كثيرًا عند مجيء الرب، إنَّ مجيئه قريـــب تمامًا مثلما نتوقَّع انتهاء حياتنا في أي لحظة: «*وُضع للناس أن يموتوا مَرَّة ثُمَّ بعد ذلك الدينونة*» (عب ٩: ٢٧). وفي كلمات أُخرَى، في اللحظة التالية لموتنا تكون الدينونة. هذا هو السبب المناسِب الذي يـــدعونا أن نكـــون باستمرار مُستعِدِّين لمجيء السيِّد.

coptic-books.blogspot.com

لماذا يُخبرنا يسوع بحقيقة مجيئه الثاني؟

بما أنَّ الله محبَّة، فإنَّ كل شيء يفعله تُحرِّكه المحبَّة، ومن ضمن هذه الأشياء: الدينونة. إنَّ الله عندما يدين فهو يَفعَل هذا ليس مِن أجل أن يُحقِّر فاعِل الشر، ولكن لأجل أن يُغيِّره.

وإن كان الناس لا يستجيبون أحياناً للحث والإقناع، فربَّما يستجيبون للشدَّة وللصرامة. فالدينونة إذاً هي نوع مِن: "العِلاج مِن خلال الصَّدمَة"، والتي يستخدمها الله ليَستَفيق الناس ويرجعوا إلى رشدهم. لقد أفهمنا الكتاب المقدَّس أنَّ الدينونة هي وسيلة لتَجعَل محبَّة الله تَصل إلى أولاده غير الطائعين، فنقرأ مثَلاً في مزمور٧٦: «*عند قيام الله للقضاء لتخليص كل وُدعاء الأرض*». إنَّ مُفتاح الكلام هنا هو: "للقضاء لتخليص". هنا السبب الذي لأجله يُعلِن الله قَضَاءه. إنَّه يُريد أن يستعِدّ الجميع ليَخلصوا، فدينونة الله هي مُخلِّصة.

ماذا سوف يحدُث في ذلك اليوم؟

(١) يُخبِرنا الكتاب المُقدَّس أنَّ الربّ سوف يأتي ثانية: "*جميع قبائل الأرض سوف يُبصِرون ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء بقوَّة ومجد كثير، فيُرسِل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مُختاريه مِن الأربع الرياح مِن أقصى السموات إلى أقصائها ..*» (مت ٢٤: ٣٠ و٣١).

(٢) عند مجيء الرب سوف يقوم الأموات: «*لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أوَّلاً، ثمَّ نحن الأحياء الباقين .. لملاقاة الرب ..*» (اتس ٤: ١٦و ١٧).

(٣) ثمَّ يُؤسِّس الرب سماءً جديدة وأرضًا جديدة يسود فيها ملكوت

coptic-books.blogspot.com

الله. لن يكون هناك حرب ولا شهوة ولا كراهية ولا حُزن ولا ألَـم ولا نزاع ولا موت: «*هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعبًا والله نفسه يكون معهم إلهًا، وسيَمسَح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حُزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد، لأن الأمور الأولى قد مَضَت*» (رؤ ٢١: ٣ و٤).

(٤) وعند مجيء الرب سوف تكون الدينونة. يكتُب القدِّيس بولس ويقول: «*عند استعلان الرب من السماء مَع ملائكة قوَّته، في نار لهيب مُعطيًا نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يُطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيُعاقَبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوَّته، متى جاء ليتمجَّد في قدِّيسيه، ويُتَعَجَّب منه في جميع المؤمنين، لأن شهادتنا عندكم قد صُدِّقَت في ذلك اليوم*» (٢تس ١: ٧-١٠).

يكتُب الأسقف تيموثي وير Timothy Ware في كتابه: "الكنيسة الأُرثوذكسيَّة The Orthodox Church" فيقول: "إنَّ موقف الأُرثوذكسيَّة تجاه الدينونة الأخيرة والجحيم تُعَبِّر عنه الكنيسة جيِّدًا في اختيارها للأناجيل التي تُقرأ في الخدمة في الثلاثة آحاد المُتتالية التي تسبق الصوم الكبير (هذا بحسب النظام الكَنَسي في الكنيسة البيزنطيَّة). ففي الأحد الأوَّل يُقرأ مَثَل الفرِّيسي والعشَّار، وفي الأحد الثاني يُقرأ مَثَل الابن الضال. هذان المَثَلان يُبيِّنان الغُفران الهائل ورحمة الله نحو الخطاة التائبين. أمَّا في إنجيل الأحد الثالث فيُقرَأ مُثَل الخراف والجداء. هنا تُذَكِّرنا الكنيسة بالحقيقة الأُخرى، إنَّه مِن المُمكِن أن نَرفُض الله وأن نتحوَّل عنه، ولكن إلى الجحيم".

الدينونة تعني أننا سوف نكون أمام الله يومًا كما نحن عليه بالضبط،

coptic-books.blogspot.com

وقد نُزِعت عنا كل الأقنعة والأشكال الخارِجيَّة والمظاهر. هذا تمامًا ما حَدَث مع بطرس بعد أنَ أنكَر المسيح، رأى يسوع. نَظَر إليه يسوع. ولم يستطع بطرس أن يُواجه الرب ولا أن يُقابِل النظرة. إنَّه أُدين، كُشف على ما هو عليه، كانت هذه النظرة هي التي ساعَدَت بطرس أن يتحقَّق مِن عِظَم خطيئته التي ارتكبها، وهي التي قادته إلى التوبة ومِن ثمَّ إلى الغُفران.

لنا حَقٌّ أن نتمتَّع برحمة إلهنا، لا توجَد خطيَّة مُستحيلة الغفران ما دام الإنسان يتوب عنها، أمَّا الخطيَّة التي لا نتوب عنها فلا يُوجَد لها غُفران. ليس لأن الله يَرفُض أن يغفر، ولكن لأن الإنسان يُظهِر بعدم توبته أنَّه لا يُريد غفرانًا. سوف نتمنَّى أن نُعطَى فُرصة أُخرى بعد الموت، ولكن الله يُعطِي فُرصة أُخرى بل آلافًا مِن الفُرص في هذه الحياة فقط. الله صار إنسانًا في شخص يسوع، مات على الصليب ليغفر لنا، قام مِن الأموات ليلاشي الموت عنَّا ولأجلنا، غَفَر للِّص التائب للتوّ ليُبيِّن لنا كَم يُعطينا مِن فُرَص ثانية وثالثة ومُتوالية للتوبة. إنَّها رغبته: "**خلاصنا**". إنَّه يستمر يشفع في كل واحد مِنَّا شخصيًّا بالروح القُدُس مِن خلال صوت الضمير. إنَّه يمنحنا حبّه ورحمته باستمرار مِن خلال الكنيسة والكتاب المقدَّس، ولكن الله لا يستطيع أن: "يدفعنا بعُنف" لحبِّه، وإلاَّ لَمَا صارت محبَّتنا له محبَّة حقيقيَّة. جزء مِن معنى حريَّة الإنسان أن تُعطينا الامتياز المُرعِب أن نقول للرب: "لا" وأن نرفُض محبَّته.

الخراف والجداء:

يقول يسوع إنَّ الله سوف يفصِل في اليوم الأخير "الخراف" عن "الجداء". يجب ألاَّ تفوتنا الحقيقة المُخبَّأة في هذا المَثَل. نحن نَعلَم أنَّ الخراف تتبع الراعي برغبة واشتياق، بينما الجداء تتبعه بدَفع شديد مِن جهة الراعي. إنَّها تُريد أن تمضي بعيدًا بحسب هواها الخاص، وتجول في

coptic-books.blogspot.com

كل اتجاه. الراعي عندما يدعو الخراف فإنَّها تعرف صوته وتستجيب لـه للتوّ، أمَّا الجداء فليست هكذا، إنَّ أساس الدينونة الأخيرة سوف يكـون مبنيًّا على رغبتنا أن نكون مِثل الخراف في طاعة دعوة الراعي الصالِح.

عَزُّوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام

بعد أن تكلَّم القدِّيس بولس عن المجيء الثاني للرب يسوع في (١تـس ٤: ١٦و ١٧)، فإنَّه يُضيف: «*لذلك عزُّوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام*». ماذا يقصُد القدِّيس بولس بالكلمة: ''عزُّوا''، أيّ عزاء يكون لنا عنـدما نعرف عن المجيء الثاني؟:

(١) مجيء المسيح الثاني: ''يُعَزِّينا'' لأنَّه يعيننا لنَرَى أن تاريخ البشـريَّة ليس فوضى لا معنى لها لنشاط بلا جدوى. إنَّه موكِب مُنضَـبط مُحكَـم هادِف مِن الله وإلى الله. إنَّ قصَّة الخليقة تقول: «*في البدء كان الكلمة*» (يو ١: ١)، والمقولات عن المجيء الثاني هي: ''المسيح في النهايـة''. التـاريخ مشمول قَبْل وبعد بالمسيح. التاريخ هو رحلة سَفَر نحو الله. إنَّه: ''قصَّته''. التاريخ لا يمضي في دوائر، إنَّه يتَّجه إلى مكان ما، له غَرض وهدفَ نهائي. التاريخ يشق طريقه نحو لقاء بالحُب مع سيِّده. التاريخ يخطو نحـو مجـيء يسوع الثاني ويبلُغ ذُروته في نصرة المسيح النهائيَّة على الخطيَّـة والمـوت والشر. نصرته سوف تكون نصرتنا. الخليقة تتحرَّك في اتجـاه قـانون الله الأبدي والشامِل. مجيء المسيح سوف لا يُدَمِّر تاريخ البشريَّة ولكن سوف يُكمِّله. إنَّه سوف يشرح كل ما لم يكن واضحًا، وسوف يُبيِّن كِيـف أنَّ جميع الأشياء تعمَل معًا لصالِح المسيح وتُكَمِّل أغراض الآب، وتُبَرِّر كـل الحق. المجيء الثاني سوف يُميِّز جميع الحقائق أينما وُجِدَت.

(٢) المجيء الثاني: ''يُعَزِّينا'' لأنَّه يُرينا أن الله: «*لا يُشمَخ عليه*» (غل ٦: ٧). الأحداث لها عواقبها، الحياة تتحرَّك إلى القرار المحتوم في محضَـر

coptic-books.blogspot.com

الله. توجَد دينونة. أنتَ تحصُد ما تزرعه. يكتب الفيلسوف صموئيل جونسون Samuel Johnson: "المُستَقبَل يُشتَرَى بالحاضر". الذي سيكون له الكلمة الأخيرة هو العدالة وليس الظلم، المحبَّة وليس الكراهيَّة، الحق وليس الخداع.

توجَد سجلاَّت مُتعدِّدة لنا في مناحي الحياة المُختلفة: سجلاَّت المدرسة، سجلاَّت الجيش، سجلاَّت الأشغال، سجلاَّت البنوك، سجلاَّت البوليس. ولكن يوجَد سجلٌّ أيضًا لحياتنا محفوظ في أذهاننا لا يمكن أن يفوته شيء، إنَّه يخزِّن ويُسجِّل كل شيء في اللاشعور. يُخبِرنا يسوع أنَّ الله يحتفِظ بسجلاَّته الخاصَّة، ويومًا ما سوف يَفتَح هذه السجلاَّت، وعندئذ حتى كوب ماء بارد واحد يُعطَى لأجل اسمه سوف لا يُنسَى. الله يحتفِظ بالسجلاَّت لأنَّه يهتم بما نعمله نحن. نحن نُمَثِّل شيئًا هامًّا جدًّا بالنسبة له. لو لم يكن الله يهتم ما كان يدين.

(٣) قال لنا يسوع مَرَّة إنَّ إنسانًا زرع حنطة في حقله، وفيما هو نائم جاء عدوّ وزرع زوانًا في نفس الحقل، ونما الاثنان معًا، الحنطة مع الزوان، ولكن صاحب الحقل قال للذين استأجرهم: «*دعوهما ينميان كلاهما معًا إلى الحصاد، وفي وقت الحصاد أقول للحصَّادين اجمعوا أوَّلاً الزوان واحزموه حزمًا ليُحرَق، وأمَّا الحنطة فاجمعوها إلى مخزني*» (مت ١٣: ٢٤-٣٠).

قال يسوع: «*الحقل هو العالَم*». الله خَلَق العالَم ورأى أنَّه جيِّد، ولكن عدوّ الله؛ الشرِّير، جاء وزرع زوانًا. إنَّه جَرَّب الإنسان ليتمرَّد على الله، ومنذئذ تلوَّث كل شيء بزوان الخطيَّة، وسوف يستمر هذا إلى اليوم الأخير عندما يفصِل يسوع الحنطة مِن الزوان، وعندئذ سوف يدين الله

coptic-books.blogspot.com

الشرّ ويهدمه مَرَّة واحدة وإلى النهاية: «*عَزُّوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام*».

(٤) مجيء المسيح الثاني: ""يُعزِّينا"" لأنَّه يساعدنا لنَرى وضعنا في الحياة في منظارها الصحيح. يقول شكسبير Shakespeare: ""العالَم كله مَسرَح، وجميع الناس رجالاً ونساءً هم مجرَّد مُمثِّلين"". فلماذا إذًا الذي يقوم بدور المَلِك يتمخطَر في فخامة تاجه وسيفه المُعَلَّب ويظن أنَّه أفضل من الذي يقوم بدور الفلاَّح؟ بينما عندما تنتهي المسرحيَّة ويُرفَع الستار، أَمَا يكون الاثنان متساويَيْن؟ فلماذا إذن لأي إنسان في العالَم عندما يكون مُتمتِّعًا بالكرامة والثروة يَظن أنَّه أفضل مِمَّن لا يحوز هذه الأشياء؟ عندما يُسدَل الستار في اليوم الأخير ونستجيب لدعوة الله لنا للدينونة، لن نُسأل عن نوع الدور الذي أُنيطَ بنا أداؤه، ولكن كيف أكملناه وأتقنَّاه؟

(٥) المجيء الثاني ""يُعزِّينا"" لأنه يؤكِّد لنا ويطمئننا أنَّه في النهاية سوف تكون النصرة للمسيح ولنا إن كُنَّا مُخلصين له. سأل مُراسِل صحفي الممثلة دبورة كِر Deborah Kerr عن مشاعِرها وهي تُؤدِّي دورها في الفيلم: ""كو فاديس Quo vadis"" في الوقت الذي اندَفَعَت فيه الأُسود نحوها، فأجابت: ""إنني مِن الممثِّلات اللواتي يقرأن المسرحيَّة بأكملها وليس مُجرَّد دورها فقط، وقد قرأتُها إلى النهاية، وعرفتُ جيِّدًا أن روبرت تايلور Robert Taylor سوف يأتي وينقذني"".

يَسمَح الله لنا أن نقرأ مسرحيَّة الحياة كلها إلى النهاية في الكتاب المقدَّس، ويَسمَح لنا أن نَرى أنَّ النهاية سوف تكون مجيئه إلى الأرض لينقذنا مِن الخطيَّة والموت والشر ويُرحِّب بنا في ملكوته.

الخطيَّة والموت قَهَرهما المسيح. هذا ليس رجاءً بل حقيقة في التاريخ. ومع ذلك فهي الآن تظلّ نصرة مخفيَّة عن أنظار العالَم، تُرَى فقط بأعين

coptic-books.blogspot.com

الإيمان. إنَّ مجيء المسيح الثاني سوف يُمَثِّل تلك النقطة التي في التاريخ، حيثُ سوف تُستَعلَن نصرة المسيح أمام الجميع.

يوجَد أكثر مِن ٥٠ شاهدًا في سِفر الرؤيا يُعلِن: "عرش الله". إنَّ الرسالة واضحة مهما حَدَث، فالله جالسٌ على عرشه: "الرب كُلِّي القُدرَة يملك". قد يملك الشر إلى لحظة، أمَّا الصلاح والخلاص فله يومه. النصرة تُنسَب إلى الله. إنَّه جالس على العرش مِن قَبْل أن تُدان الأُمم والشعوب. لذلك: «*عَزُّوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام*».

قد يتساءل البعض: "أيُّ عزاء هذا إن عرفنا أنَّ الرب يسوع سوف يأتي ثانية ليديننا؟ كيف يُمكِن أن يكون عزاءً في هذه الدينونة؟" العزاء في أنَّه عند مجيئه في النهاية كديَّان، إلاَّ أنَّه لن يتوقَّف عن أن يكون أبًا. إنَّه سوف يدين كما يدين الأب. وهذا يعني أنَّه لن يدين ولن يحكُم على أولئك الذين أخطأوا، فجميعنا أخطأنا، ولكنه سوف يدين أولئك الذين أخطأوا دون أن يتوبوا: «*لأنَّ الله لم يجعلنا لرعبة غضب الدينونة، بل لاقتناء الخلاص الكامل بربنا يسوع المسيح*» (١تس ٥: ٩ الترجمة الإنجليزيَّة الحديثة). وبكلمات أُخرى، الله لم يقصد لنا الجحيم ولكن السماء. هذه هي خطَّة الله الكاملة مِن نحو الإنسان، ولهذا أرسَل لنا يسوع، ولهذا السبب أيضًا سامَحَ يسوع خطاةً كثيرين ليُريهم رحمة الله العظيمة. «*عَزُّوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام*».

ماذا يُعلِّمنا المجيء الثاني؟

(١) إنَّ عقيدة المجيء الثاني ليسوع تُعَلِّمنا أنَّ المسيح هو الحقيقة العُظمى التي نواجهها في الحياة، وأنَّ موقفنا وعلاقتنا معه الآن تُحدِّد ما إذا كنَّا في النهاية سوف نواجِه الدينونة واليأس أم أننا سوف ندخُل

coptic-books.blogspot.com

السماء معه. كل واحد منَّا سوف يقفُ أمامه للمحاكمة، فهل هناك أمر في الحياة يُعتَبَر أكثر أهمِّيَّة من ذلك؟ كل قرار نتَّخذه، وكل فكر نُفكِّر فيه، وكل عَمَل نعمله، وكل كلمة نقولها سوف توزَن في ضوء مجيء الرب للدينونة.

(٢) إنَّ تعليم المجيء الثاني يُخبرنا أننا مسؤولون أمام الله. يقول دانييل ويبستر Daniel Webster: "إنَّ الفكر الأكثر أهمِّيَّة والذي شَغَلَني على الإطلاق هو مسؤوليتي الشخصيَّة أمام الله".

إنَّ فريق كُرة القدم يتكوَّن من أحد عشر لاعبًا، وكل لاعب له مكانه الخاص في الفريق، وطوال فترة المباراة على كل واحد مسؤوليَّة الالتزام بمكانه بكل قدرته، كل حَركة يتحرَّكها محسوبة عليه، ونجاح الفريق ككُل يعتمد عليه. هكذا مسؤوليتنا تجاه الله. الله عَيَّن لكل واحد منَّا مكانه في الحياة، وفي النهاية سوف يُعطي كل واحد منَّا جوابًا له عن كيفية الطريقة التي أنجز بها دوره المنوط به تنفيذه.

قال يسوع مَثَل السيِّد المُسافر ليؤكِّد مسؤوليَّة الإنسان أمام الله. نقرأ في مرقص ١٣: ٣٤ «*كأنَّما إنسان مُسافر تَرَكَ بيته وأعطى عبيده السلطان ولكل واحد عمله وأوصى البواب أن يسهَر*». إنَّ السيِّد الغائب لا يتوقَّع من خدامه أن يكونوا ساهرين فقط، مُنتَظرين عودته، بل أيضًا أن يعملوا بنشاط وجدّ في استثمار أعماله. الله هو السيِّد الغائب في المَثَل. إنَّه أعطانا وَزَنات وتَرَكَ لنا مسؤوليَّة رعاية حياتنا والاهتمام بالأرض التي خلقها لنعيش عليها، وفي يوم ما لا نَعلَم متى يكون سوف يعود لنعطي حسابًا له عن كيف أدرنا ملكيَّاته. من الأشياء التي تدل على عظمة الإنسان هي أنَّه لا ينتسب لآخَر سوى الله، إله الكون.

coptic-books.blogspot.com

(٣) كما يُعلّمنا المجيء الثاني ألاَّ نتسرَّع في حُكم إدانة الآخَرين. أنصِت إلى ما يقوله القدِّيس بولس: «*إذًا لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سيُنير خفايا الظلام ويُظهِر آراء القلوب، وحينئذ يكون المدح لكل واحدٍ مِن الله*» (١كو ٤: ٥).

إنَّ قانون الإيمان يدعونا أن نتذكَّر أنَّه لا يوجَد سوى قاضٍ واحِد، وهو فقط الذي يعرف كل شيء عن كل أحد. هو وحده الذي يمكنه القضاء. يجب ألاَّ نتَّخِذ لأنفسنا اختصاصات الله. والدينونة شيء لا يمكن أن يتم إلاَّ في النهاية. قد يَرتكِب شخص ما خطأ كبيرًا في الحياة، وكثير منَّا سوف يكونون مُسرِعين جدًّا في الحُكم عليه بسبب ذلك، ولكن كيف نعرف نهاية هذا الإنسان؟ قد يتوب مُتأخِّرًا وبنعمة الله تَخلُص نفسه وتكون بقيَّة أيام حياته بَرَكَة للجنس البشري. لا يمكن لأحد يَرى جُزءًا صغيرًا فقط مِن حياة إنسان أن يحكُم عليه بكلِّيته.

إنَّ المجيء الثاني ليسوع يُعَلِّمنا مسؤوليتنا ومُحاسبتنا أمام الله.

كيف نُعِدّ أنفسنا للمجيء الثاني؟

عادَت فتاة صغيرة إلى مترِلها بعد انتهاء مدارس الأحد وسألَت والدتها: "إنَّ المُدرِّس قال لنا اليوم إنَّ الله وَضَع الناس في العالَم حتى يستعدوا للسماء"، فأجابتها الأُم: "هذا حَق يا عزيزتي". تجعَّدت جبهة الفتاة الصغيرة ثمَّ سألَت: "إن كان الأمر هكذا حقًّا يا أُمَّاه، فلماذا إذًا لا نجد أحدًا مُستعدًّا؟" إن عاد المسيح اليوم، أو إن ذهَبتَ فجأة لتقابِل إلهك، هل تكون مُستعِدًّا؟

إنَّ موضوع الاستعداد لمُقابَلَة السيِّد هو مِن الأفكار الثابتة الهامَّة في العهد الجديد: «*وأمَّا الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكُم أيها الإخوة أن*

coptic-books.blogspot.com

أكتُب إليكم عنها، لأنكم أنتم تَعلمون بالتحقيق أنَّ يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء، لأنَّه حينما يقولون سلام وأمان، حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحُبلى فلا ينجون. وأمَّا أنتم أيُّها الإخوة فلستم في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص. جميعكم أبناء نور وأبناء نهار، لسنا مِن ليل ولا ظلمة. فلا نَنم إذًا كالباقين بل لنسهر ونصحُ، لأنَّ الذين ينامون فبالليل ينامون، والذين يَسكرون فبالليل يَسكَرون. وأمَّا نحن الذين من نهار فلنصحُ لابسين درع الإيمان والمحبَّة وخوذة هي رجاء الخلاص، لأنَّ الله لَم يجعلنا للغَضَب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح، الذي مات لأجلنا، حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعًا معه. لذلك عزُّوا بعضكم بعضًا وابنوا أحَدكم الآخَر كما تَفعَلون أيضًا» (١تس ٥: ١-١١).

« لتكُن أحقاؤكُم مُمَنطَقَة وسُرجُكُم موقَدة، وأنتُم مثل أناس ينتظرون سيِّدهم متى يرجع مِن العُرس حتى إذا جاء وقَرَع يفتحون له للوقت. طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيِّدهم يجدهم ساهرين، الحقَّ أقول لكم إنَّه يَتمَنطَق ويُتكئهُم ويَتقدَّم ويخدمهم. وإن أتى في الهَزيع الثاني أو أتى في الهَزيع الثالث ووجدهم هكذا فطوبى لأولئك العبيد. وإنَّما اعلموا هذا أنَّه لَوْ عرف ربُّ البيت في أيَّة ساعة يأتي السارق لسهر ولم يَدَع بيته يُنقَب. فكونوا أنتم إذًا مُستعدِّين لأنَّه في ساعة لا تظُنُّون يأتي ابن الإنسان» (لو ١٢: ٣٥-٤٠).

كيف يمكننا على وجه التحديد أن نستعدّ لمجيء الرب؟

(١) إنَّ أهل فيلبي سألوا بولس الرسول نفس السؤال: "ماذا نفعَل قَبل أن يأتي الرب؟" والقدِّيس بولس في رسالته إليهم يعطيهم الإجابة المُلهَمَة: "إلى أن يأتي، عيشوا في سيرة مُقدَّسَة، عيشوا للمسيح حتى يمكنكم أن

coptic-books.blogspot.com

تقولوا: «*لي الحياة هي المسيح*». أن تحيا حياتك مع المسيح ولأجل المسيح كل يوم، فهذا يَعني أنَّكَ تستعد لمجيئه.

إنَّ حقيقة أن يحيا الإنسان للمسيح باستعداد تام لمجيئه تحكيها لنا الحياة العاديَّة. بعد انتهاء مباراة كُرة القَدَم يُحدِّد المُدَرِّب ميعادًا مُناسبًا ليُعيد فيه مع الفريق رُؤيَة المُباراة المُسجَّلة على شريط فيديو. سوف تُدرك من ذلك أنَّ جَمّ اهتمام اللاعبين في المباراة هو تنفيذ تعليمات وخطَّة المُدَرِّب. قد لا يَعلَم المُشاهدون إطلاقًا إن كان كل لاعب قد أدَّى دوره المُحدَّد له، ولكن المُدَرِّب يَعلَم جيِّدًا، وهذا سوف يُستَعلَن على الشاشة عند رؤيَة الفيديو. نحن أيضًا المُؤمنين لنا مُدَرِّب، وقد أنذرنا مُسبقًا أنَّه سوف يأتي يومٌ تُعاد فيه قصَّة الحياة، سوف تَظهَر الأعمال الجيِّدة والأعمال الرديئة كاللعبات الجيِّدة واللعبات الرديئة. المُدَرِّب نفسه سيكون في اليوم الأخير هو القاضي. فلماذا إذًا لا نبدأ الآن أن نُؤدِّي دورنا في الحياة، لا لإشباع رغبة المُشاهدين، ولكن لِمُشاهِد آخَر: المسيح الحي، المُدَرِّب الأعظم، والديَّان الوحيد؟

(٢) لا يوجَد بالطبع أحد كامل، وبالتأكيد توجَد أدوار رديئة في حياتنا كما توجَد كذلك أدوار جيِّدة، ولكن يجب ألاَّ يعوقنا هذا أو يُثبط من همَّتنا. قد يلعَب الفرد لعبة رديئة في كُرة السلَّة ويُخطئ الهَدف، ولكن برمية أُخرى يُمكن إعادة الكُرة إلى السلَّة. يُقال إنَّ أغلَب المباريات الفائزة إنَّما هي ناتجة عن عودة رميات مُرتدَّة. لا يختلفِ هذا الأمر أبدًا عن حياتنا اليوميَّة، ولكن بتغيير واحِد، وهو أنَّ الكُرة المُرتدَّة وإعادتها للسلَّة تعني في حياتنا المسيحيَّة: "التوبة والتعويض".

(٣) وبالإضافة إلى واجِب أن نعيش حياتنا للمسيح ونقضِي أيَّامنا

coptic-books.blogspot.com

بالتوبة، فإنَّه يلزم أن نُعدّ أنفسنا أيضًا للمجيء الثاني بممارسة المحبَّة. وهذه بلا شك أعظم وصيَّة أعطانا إيَّاها الله. نحن نتعامَل في حياتنا اليوميَّة مع آخَرين، وآخَرون يتعاملون معنا، ولكن بجوار كل واحد منهم - كما يقول يسوع - يقف الله. **كل ما نعمله مع واحد منهم إنَّما هو مع الله.** إنَّ الله صار أخانا، ليس فقط بأنَّه أَخَذ على نفسه خطايانا، بل أيضًا بمُماثَلته لكل واحد منا، فهو يلاحظ احتياجاتنا وخيرنا ومصالحنا كما لو كانت تخصّه هو ذاته. أيُّ استعداد لمجيئه يكون أفضَل من هذا؟ بأن نتعامَل معه بالحُب عندما يأتينا كل يوم في شخص رفقاء بَشَريَّتنا. يقول يسوع: إنَّ مقياس دينونتنا الحقيقي سوف يكون بمقياس محبَّتنا لرفقائنا: «*كنتُ جوعانًا فأطعمتموني*» (مت ٢٥: ٣٥).

سأل شخصٌ ما رجلاً مسيحيًّا وقال له: "متى تظُن أنَّ المسيح يأتي ثانية؟" أمَّا الإجابة فكانت: "لا أظُن أنَّه الآن هو بعيد". الحقيقة هي أنَّ المسيح هو هنا الآن، فمن خلال الصلاة نحن نتحدَّث معه، من خلال كلمته المُقدَّسة في الإنجيل هو يتكلَّم معنا، ومن خلال سرّ الشركة المُقَدَّس هو يأتي إلينا ويُقيم مسكنه في قلوبنا. يمكننا أن نختار أن نعيش بقُرب شديد منه، وعندئذ سوف يكون مجيئه الثاني امتدادًا واكتمالاً لحضوره. إنَّ واجب كل مسيحي الشخصي تجاه المجيء الثاني هو أن يُتمِّم فعل التسليم والطاعة الكلِّيَّة للمسيح، وهذا بدوره سوف يُؤكِّد حضور المسيح الشخصي في حياتنا الآن.

الخاتمة:

يوجَد على سطح كنيسة في مدينة نيويورك تمثالاً لرئيس الملائكة جبرائيل وبوقٌ مرفوعٌ في فمه وهو مُستَعد بنفخَة مُدوِّية أن يُعلن مجيء الرب الثاني في مجده. كان البوق يُستَخدَم في أيَّام كتابة الإنجيل ليُعلن

coptic-books.blogspot.com

وصول ملكٍ عظيم أو ليُعلِن انتصارًا هائلاً. يومًا ما فإنَّ هذا البوق وبصحبة أبواق أُخرى لا حصر لها، سوف تُعلِن، بأعلى صوت وأقوى دَوِي سَمعته أذُن، المجيء المجيد لربنا، ونصرته على الخطيَّة والموت والشر، ولتأسيس ملكوته الأبدي.

يدعونا القانون النيقاوي لنحيا هذا الإيمان. ينبغي أن: «*ننتَظِر الرجاء المُبارَك والظهور المجيد للإله العظيم ومُخلِّصنا يسوع المسيح*» (تيطس ٢: ١٣).

خَتَمَ مجلس الكنائس العالَمي اجتماعه الثاني بهذه الرسالة الرنَّانة: "لسنا نَعلَم ماذا سوف يأتي، ولكننا نَعلَم مَن الذي سوف يأتي، إنَّه ذاك الذي يُقابِلنا كل يوم، والذي سوف يُقابِلنا عند نهاية الأيَّام، ربنا يسوع المسيح. لذلك نقول لكم اليوم: افرحوا في الرجاء!".

ونختم حديثنا بخصوص المجيء الثاني بهذه الكلمات المُلهَمة للقدِّيس مار افرآم السرياني:

"أيُّ بهجة هذه التي لا توصَف التي سوف نَعرفها عندما يقول لنا الملك بفرحٍ شديد: "تعالوا يا مُباركي أبي رِثوا الملكوت المُعدّ لكم منذ تأسيس العالم.

عندئذ يا إخوتي سوف تنالون السلطان الرائع وإكليل كل مُشتهياتكم مِن يد الرب. ثمَّ تملكون عندئذ مع المسيح إلى الأبد وإلى أبد الآبدين، وتنالون العطايا التي وَعَد الله بها أولئك الذين يحبُّونه ويخدمونه، وتكونون في مأمَنٍ مِن كل ضَرر، وتنتهي الهموم. لن تكون لكم شمسٌ في النهار لتُضيء لكم، ولا القَمَر في الليل، لكن سوف يكون المسيح نوركم الذي لا يخفت ويكون الله مجدكم".

coptic-books.blogspot.com

الذي ليس لمُلكِه انقضاء

كان اليهود في أيَّام يسوع يُريدون مسيًّا ماديًّا محسوسًا عالميًّا ليُقيم قوَّة حربيّة بدرجة من العظمة قادرة أن تقضي على أعدائهم وتُنشئ إمبراطوريَّة يهوديَّة تُغَطِّي كل العالَم. إنّهم أرادوا أن يَقهر يسوع العالَم ويعيده إلى اليهود. كَم يكون مثل هذا الشخص الذي يُشبِع خمسة آلاف بخمسة أرغفة وسمكتين، والذي يشفي المرضى ويقيم الموتى، كَم يكون قائدًا سياسيًّا فذًّا مُحَنَّكًا. وعندما رَفَض يسوع هذه الفكرة والخطَّة ليقيم مملَكَة محسوسة عالَميَّة، فإنَّ اليهود انقلبوا عليه وصَلَبوه.

تهكَّم اليهود على يسوع حتى إنَّ شعبه صَلَبه لأنَّه رَفَض أن يُقيم مملكة أرضيَّة، بينما تهكَّم الرومان عليه وسَخَروا منه ووافقوا على صَلبه خوفًا مِن أن يُقيم هذه المملكة!

بل وحتى التلاميذ وجدوا صعوبة شديدة في أن يتخلوا عن فكرة المملكة الأرضيَّة، ويتَّضِح كيف تعمَّقَت جدًّا فكرة المملكة الماديَّة من خلال طَلَب يعقوب ويوحنا أن يكون لهما أفخَر الأماكن في هذه المملكة (مت ٢٠: ٢٠و ٢١)، وكذلك من خلال سؤال التلاميذ للرب بعد قيامته: «*هل في هذا الزمان تردّ المُلك إلى إسرائيل؟*» (أع ١: ٦) وعندما قال يسوع: «*مملَكَتي ليست من هذا العالَم*» (يو ١٨: ٣٦) فإنَّه أشار إلى أنَّ موته كان مُؤكَّدًا. إنَّهم لا يُريدون مَلِكًا لا يملك.

وطيلة القُرون والإنسان لا يتوقَّف عن مُحاولة إقامة ملكوت الله على الأرض. وطيلة التاريخ وهو يُحاول إنشاء المُدُن الفاضلة المثاليَّة. حاول الإنسان أن يَعمَل هذا مِن خلال العلوم، والشيوعيَّة، والإصلاحات

coptic-books.blogspot.com

الاجتماعيَّة، ودُوَل تتمتَّع بالرفاهيَّة، وقوانين أفضَل، وإسكان أفضَل.. إلخ، ولكن الإنسان كان يُواكبه الفَشَل باستمرار. إنَّه فَشَل لأنَّه تجاهَل حقيقة خطيئة الإنسان.

فَشَلَ الإنسان لأنَّه تَرَك الله جانبًا، إنَّ ملكوت الله لا يُمكِن أن يُقام بدون الله. قالَ مُصلِح اجتماعي: "حاولنا بكل الجهد في كل شيء ولم يحدُث شيء"، فأجابه مسيحي حقيقي: "إنَّكم جرَّبتُم كل شيء إلاَّ المسيح، ولا يُمكِن لأي شيء أن يَجري حسنًا بدون المسيح. إنَّنا جَرَّبنا المسيح فعَمل بنا، بقوانين المسيح وبقوَّته يأتي ملكوته".

ليأت ملكوتك:

مِن مُميِّزات الأدب العبري ما يُسمَّى بالتوازي، حيث التعبيرات تتكرَّر، تُقال الفقرة بطريقة ثمَّ تُقال بعد ذلك بطريقة أُخرى تُكبِّر المعنى وتَشرَح الأوَّل. ومثال لذلك هما التوسُّلان اللذان نُقدِّمهما إلى الله في الصلاة الربَّانيَّة عندما نقول:

"ليأت ملكوتك،

لتكُن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض".

في هذا المثال وفي هذه الحالة، فإنَّ الالتماس الثاني يُحَدِّد ويُعرِّف الأوَّل. ويعطينا التعريف الكامِل التام لملكوت الله أنَّه: "مجتَمَع على الأرض تتمّ فيه مشيئة الله تمامًا كما هو حادث في السماء". إن أطاع إنسان على الأرض مشيئة الله تمامًا كما تَفعَل المَلائكة في السماء، يُمكِن آنئذ أن يكون ملكوت الله حقيقة هنا (على الأرض) والآن (في هذا الزمان).

أين يوجَد المَلكوت؟

أينما يوجَد شخص مُعَمَّد باسم الثالوث القدُّوس، ونال الروح القُدُس

coptic-books.blogspot.com

مِن خلال سِرّ الميرون (التثبيت)، فهناك تكون قد بُذِرَت بذرة الملكوت. أينما يوجَد مسيحي مُعَمَّد وممسوح بالميرون ويُكوِّن عضوًا حيًّا ومُصَلِّيًا في الكنيسة، ومُشارِكًا بإخلاص في القدَّاس الإلهي وينال الأسرار مُتواتِرًا، هناك يكون ملكوت الله. أينما يُقتفَى مثال يسوع، وأينما تُقبَل تعاليمه، وأينما تُصنَع مشيئة الله، هناك يكون ملكوت الله. أينما تُقام الذبيحة الإلهيَّة ويوجَد المسيح كَكَلِمة وخُبز الحياة، هناك يوجَد الملكوت. إنَّ ملكوت الله يبدأ في قلب الإنسان ثمَّ يمتد إلى منزله ثمّ إلى الجماعة ويستمر ينمو إلى أن يأتي يومٌ، عندما يعود يسوع، تصير مملكة العالَم ملكوت الله. إنَّ الملكوت ينتشِر مِثل خميرة أو ينمو مِثل حبَّة خَردَل.

إنَّ المسيح لم يأتِ ليملك على عرش أرضي لأنَّه قال: «*مملكتي ليست مِن هذا العالَم*»، وإنَّما جاء ليملك على قلوب وعلى عقول الناس. وعندما يَفعَل هذا، فإنَّ ملكوته يكون قد أتى إلينا. إنَّ الملكوت قائم داخلنا، والسماء تبدأ هنا والآن، عندما نعيش في الكنيسة ونطيع أوامر الله ونصنَع مشيئته.

مملَكَة الشيطان دُحِرَت:

قال يسوع مرَّة: «*ولكن إن كنتُ أنا بِروح الله أُخرِج الشياطين، فقد أَقبَل عليكم ملكوت الله. أم كيف يستطيع أحد أن يدخُل بيت القوي وينهَب أمتعته إنْ لم يربط القوي أوَّلاً، وحينئذ يَنهَب بيته*» (مت ١٢: ٢٨و ٢٩). إنَّ القَوي في هذه الحالة هو الشيطان. يقول يسوع إنَّه عندما تُمسَح خطيَّة الأرض، وتُشفَى القلوب المكسورة، وتَخرُج الأرواح الشرِّيرة، ويقوم الموتى؛ فهذه علامة أنَّه قد رَبَط "القَوِي" وأنَّ مملكة الشيطان قد خَرِبت، وأنَّ ملكوت الله قد استُعلِن وأُسِّس.

coptic-books.blogspot.com

يُصوَّر الملكوت في الكتاب المُقدَّس على أنَّه عَمَل الله. إنَّه ليس نظامًا جديدًا يبنيه الإنسان على الأرض بإرادته أو بمشاركته. إنَّ ملكوت الله إنَّما هو شيء نَقبَله. الحديث عن ملكوت الله هو الحديث عن شيء أتى، شيء قد اقتَحَم الزمن والأبد، شيء ليس بأي حال مِن إنجاز الإنسان، إنَّما هو بكامله مِن عَمَل الله. وعلى سبيل المثال فإننا نجد يسوع يقول:

«هكذا ملكوت الله كأنَّ إنسانًا يُلقي البذار على الأرض وينام ويقوم ليلاً ونهارًا والبذار يطلع وينمو وهو لا يَعلَم كيف، لأنَّ الأرض مِن ذاتها تأتي بثمر ..» (مر ٤: ٢٦-٢٨).

«لا تخف أيُّها القطيع الصغير، فإنَّ أباكم قد سُرَّ أن يُعطيكم الملكوت» (لو ١٢: ٣٢).

يقول يسوع إنَّها هي مَسَرَّة الله أن يُعطينا الملكوت. إنَّه أعظم العطايا التي يسبغها الله على المُؤمن.

كيف يصبح الملكوت واقعًا حقيقيًّا؟

مع أنَّ الملكوت هو عَمَل وعطيَّة الله، فإنَّ يسوع يضع لنا تحديدات مُعيَّنة وصفات مُحدَّدة لدخوله. لا يُمكِن لأحد أن يدخُل الملكوت إن لم يَغفر لأخيه (مت ١٨: ٢٣-٣٥). لا يُمكن لأحد أن يدخُل الملكوت إن لم يُحِب ويهتم ويعتني بأخيه (مت ٢٥: ٣١-٤٦). لا يُمكِن لأحد أن يدخُل الملكوت إن لم يكُن مسكينًا بالروح (مت ٥: ٣)، أي إن لَم يُخضِع ضعفه لقوَّة الله، وخطيئته لرحمة الله، لا يُمكِن لأحد أن يدخُل الملكوت إن لَم يولَد مِن الماء والروح (يو ٣: ٥). لا يُمكِن لأحد أن يدخُل الملكوت بدون توبة أو إيمان: *«توبوا وآمنوا بالإنجيل»* (مر١: ١٥). لا يُمكِن لأحد أن يدخُل الملكوت إن لَم يُفتِّش عنه باجتهاد: *«مِن أيَّام يوحنا المعمدان ملكوت*

coptic-books.blogspot.com

السموات يُغصَب والغاصبون يَختطفونه» (مت ١١: ١٢). لا يُمكن لأحد أن يدخُل الملكوت إن لَم يَجعَله هدف حياته الأوَّل: *«اطلبوا أوَّلاً ملكوت الله وبرَّه وهذه كلها تُزاد لكم»* (مت ٦: ٣٣). لا يُمكِن أحد أن يدخُل الملكوت إن لَم يكُن مُستعدًّا أن يبذل لأجله كل تضحية (مت ٥: ٢٩، ٣٠). لا يُمكِن لأحد أن يَدخُل الملكوت وهو مُستَمر في التطلُّع إلى الوراء: *«ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يَصلُح لملكوت الله»* (لو ٩: ٦٢). لا يُمكِن لأحد أن يدخُل الملكوت إن لَم يكُن قد قَبل الدعوَة. يقول يسوع إنَّه يُمكِن أن يُدعَى شخص إلى وليمة، ولكنه يكون على دَرَجَة مِن الانشغال بالأُمور الأُخرى لدرجة أن يُهمِل الحضور إليها. لذلك فمع أنَّ ملكوت الله قد مَنَحَه الله للجميع مِثل عطيَّة، ولكن الكثير قد تُرِك للإنسان أن يَقبَله بحُرِّيته. إنَّ الإنسان يُمكنه أن يَقبَل أو يَرفُض الدخول، يُمكنه أن يَقبَل أو يَرفُض الدعوة.

الملكوت قيمته فائقة المقدار:

ليس على الأرض أو في الحياة ما هو جَدير بالاهتمام أكثَر مِن الملكوت. إنَّ هذا الأمر يصير واضحًا عندما يُقارَن الملكوت بشخص وَجَد كَنزًا مخبأً في حقل، فمضى وباع كل ما يمتلكه ليَشتَري تلك الجوهرة فائقة المقدار:

«أيضًا يشبه ملكوت السموات إنسانًا تاجرًا يطلب لآلئ حسنة، فلمَّا وَجَد لُؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مَضَى وباع كل ما كان له واشتراها» (مت ١٣: ٤٥ و٤٦).

ماذا يعني هذا إلاَّ أنَّ الملكوت جَدير بأن نُقدِّم لأجله كل تضحية مهما كانت مِن أي نوع لنَقبَله، وأن نصنَع مشيئة الله التي بها نربَح أعظم الكنوز، أي ملكوت الله.

coptic-books.blogspot.com

أصغِ إلى شهادة القديس بولس الذي اكتشف هذا الكنز العظيم:

«لكن كل ما كان لي ربحًا فهذا قد حسبته مِن أجل المسيح خسارة، بل إنّي أحسب كل شيء أيضًا خسارة مِن أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربِّي الذي مِن أجله خسرتُ كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح ..» (في ٣: ٧ و٨).

كيف نصبح لائقين لملكوت السماوات؟

حدث في حياة القدِّيس فرنسيس الأسيزي أنَّه كان يوجَد لصَّان يُسبِّبان خرابًا ودمارًا في القُرى. وعندما كان القدِّيس بعيدًا عن جماعته يومًا ما حَدَث أن ظَهَر هذان اللصَّان، فتمكَّن تلاميذه منهما وضرباهما وطرداهما بعيدًا. وعندما عاد القدِّيس فرنسيس قصَّ عليه تلاميذه بفَخر انتصارهم، أمَّا هو فبدلاً مِن أن يبتهِج فإنَّه حزن للغاية، وبدموع تملأ عينيه فإنَّه اقتَرب مِن كلٍّ مِن تلاميذه وهو يرجو منهم الصفح، وقال لهم إنَّه أخطأ وأذنب في أنَّه فَشَل في أن يُعلِّمهم محبَّة الله الحقيقيَّة، لأنَّه لو كان قد بَلَغ بهم هذا حقيقة، لَمَا تصرَّفوا مع اللصَّين بهذه الطريقة، فكان يجب بدلاً مِن الضرب واللكمات أن يُظهِروا لأعدائهم المحبة والعطف الإلهي.

عندئذ جَدَّ القدِّيس فرنسيس في البحث عن اللِّصَّيْن المضروبَيْن والمُحطَّمَيْن، فما أن رآهما حتى رَكَع على قدميه مُتوسِّلاً صفحهما، واعتَرَف لهما بفشله الذريع إذ لم يُعَلِّم أولاده محبَّة الله الحقيقيَّة. ثمَّ تقدَّم وضمَّد جراحاتهما وأطعمهما. تأثَّر اللصان جدًّا بهذا القدِّيس الذي بَلَغ به المَسكَنة بالروح دَرَجَة هكذا، حتى إنَّهما التحقا بجماعته وصارا اثنين من أعظم تلاميذه المُخلصين. وهكذا صار القدِّيس فرنسيس لائقًا بملكوت السموات بتتميمه إرادة الله، وصار هذا الملكوت جَذَّابًا إلى الدَرَجَة التي جَعَلَت اللصَّين يطلبانه: *«ليأت*

coptic-books.blogspot.com

ملكوتك، لتكن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض». عندما أتى الملكوت، فإنَّه صار حقيقة حيَّة في حياة القدِّيس فرنسيس، كما يمكنه أن يأتي في حياة كل مسيحي عندما يعيشه في طاعة كاملة لمشيئة الله.

ملكوتٌ لا يتزعزع:

نَقرأ في رسالة العبرانيِّين عن هذا الملكوت: *«لذلك ونحن قابلون مَلكوتًا لا يتزعزع، ليكُن لنا شُكر»* (عب ١٢: ٢٨). قارِن بين ملكوت الله بأنواع الملكوت التي في العالَم والتي يصنعها الإنسان وهي جميعًا مُتَزعزِعة. ملكوت الذات مُتَزعزِع! ملكوت الصِحَّة مُتزعزِع! ملكوت الشيوعيَّة مُتَزعزِع! ملكوت الرأسماليَّة مُتَزعزِع!

جميع أنواع الممالِك على الأرض مُتَزعزِعة، إلاَّ ملكوت الله.

مَلكوتٌ ليس له انقضاء:

جميع ممالِك العالَم لها نهاية. إنَّ ممالِك اليونان، الرومان، البابليين، الأشوريين توجَد فقط في كُتُب التاريخ، أمَّا مملكة المسيح فهي تَبقى إلى الأبد. الذين شهدوا لمعجزات المسيح سألوا: *«أي نوع مِن البَشَر هذا، فإنَّ الرياح والبحر جميعًا تُطيعه؟»* (مت ٨: ٢٧). الإجابة: طبعًا إنَّه ربّ، ومملكته ليست لها نهاية. يقول العهد الجديد عنه:

«رَفَّعَه الله وأعطاه اسمًا فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل رُكبة ممَّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعتَرف كل لسان أنَّ يسوع المسيح هو ربّ لمجد الله الآب» (في ٢: ٩-١١).

هنا نجد الملكوت الحقيقي الذي يُقَارَن بممالِك هذا العالَم، فتبدو هذه الأخيرة أمامه كَدُمًى. ملكوت الله هو ملكوت القوَّة والمجد وليس له انقضاء.

coptic-books.blogspot.com

غاية التاريخ:

إنَّ الغاية من التاريخ هي ملكوت الله. يومًا ما، لا نَعلَم متى سيكون، سوف يعود الله، وسينتهي الصراع بين الخير والشر، وسوف يُختَم بانتصار الله. سوف يُقضَى تمامًا ونهائيًّا على الشر. في ذلك اليوم، العدُو الأخير سوف يموت تحت قَدمَي المسيح إلى الأبد. سوف تسود العَدالَة، وسوف تُصحَّح أخطاء العالَم. نظام الله سوف يحل مكان عشوائيَّة الإنسان. سوف يكون الله الكل في الكل. سوف يَكتمِل ملكوته ويدوم إلى الأبد. سوف تكون مشيئته هي الملكوت والقوَّة ومجد الآب والابن والروح القُدُس الآن وإلى الأبد وإلى أبد الدهور! تلكَ ليست مجرَّد كلمات فارِغة التي تُتلى في القُدَّاس الإلهي، بل إنَّما تُشير إلى أعظم حقيقة وإلى أعظم صلاح يُمكِن أن يَطمَح ويتوق إليه الإنسان. إنَّ هذا الرجاء وهذا الإيمان هما اللذان ألهما كاتب سفر الرؤيا أن يقول: «*قد صارَت ممالِك العالَم لربّنا ومسيحه، فسيملك إلى أبد الآبدين*» (رؤ ١١: ١٥).

حالما تمَّ غزو واحتلال برلين بالقوات الأمريكيَّة والروسيَّة، فإنَّ جنديًّا أمريكيًّا استُدعي رسميًّا بحسب أمر استدعاء روسي. وتحدَّى الروسيُّ الجنديَ الأمريكي وقال له: "هل قَرأتَ كارل ماركس Karl Marx؟"، أجابه الأمريكي: "نعم". فنَطَق الروسي بكلمات لاذعة وبسخرية وقال: "وهل تَعلَم ماذا سوف يحدُث؟" فأجابه الأمريكي مُتسائلاً: "وهل قَرَأتَ أنتَ العهد الجديد؟" إن كُنَّا قد قَرَأنا الكتاب المقدَّس فإنَّنا نَعلَم ماذا سوف يحدُث: "سوف يملك الرب إلى أبد الأبد".

كَتَبَ القدِّيس سمعان اللاهوتي: "إنَّ العصر الذهبي أمامنا وليس خلفنا، إنَّه ملكوت الله".

coptic-books.blogspot.com

نُؤمِن بالروح القُدُس

"نَعَم نُؤمِن بالروح القُدُس، الربّ المُحيي، المُنبَثِق مِن الآب، نسجُد له ونُمجِّده مع الآب والابن، الناطِق في الأنبياء".

عندما ذَهَب القدِّيس بولس إلى أثينا ليُبشِّر بالمسيح المصلوب والمُقام، فبينما هو مُجتاز وهو ينظُر إلى المدينة المملوءة أصنامًا، فإنَّه وَجَد مذبَحًا بكتاباتٍ مُميَّزة: "لإله مجهول".

وفي أثناء بشارته لليونانيِّين، فإنَّ القدِّيس بولس استَخدَم بمهارة الاسم: "لإله مجهول" على يسوع وقال: «*فالذي تَتَّقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا أُنادي لكم به*» (أع ١٧: ٢٣). ربَّما نُطلِق على الروح القُدُس في هذه الأيام: "الإله المجهول". عندما نتكلَّم عن الله الآب، فنحن نعمل هذا بكل سهولة ونقول: "أبانا الذي في السموات". وعندما نتكلَّم عن الله الابن، فبطريقة حميمة وشخصيَّة أليفة نقول: "يا ربِّي يسوع المسيح سامحني.. ارحمني.. أعنِّي..". ولكن إنْ سَأَلنا أحد عمَّا نعرفه بخصوص الروح القُدُس، ربَّما تكون الإجابة مِن أشخاصٍ كثيرين هي نفس الإجابة التي تلقَّاها بولس مِن مسيحيِّي أفسس عندما سأَلَهم: «*هل قبلتم الروح القُدُس لَمَّا آمنتُم*» فأجابوه: «*ولا سمعنا أنَّه يوجَد الروح القُدُس*» (أع ١٩: ٢).

حَدَث منذ عدَّة سنوات أن أَدَّى رجُل امتحانًا لتوظيفه كَ "مُوزِّع بريد"، وكان مِن ضمن الأسئلة التي وُجِّهَت إليه: "كَم تبعُد الشمس عن الأرض؟" فأجاب الرجُل بذكاء شديد: "إنَّها على مسافة بعيدة جدًّا بدرجة لا تُؤثِّر على توصيلي للبوستة إلى الشارِع الرئيسي".

للأسف يوجد أشخاصٌ كثيرون يشعرون بنفس الطريقة بخصوص

coptic-books.blogspot.com

الروح القُدُس، فيشعرون أنَّه بعيد جدًّا بدرَجة تَجعَل أمـــره لا يعنـــيهم بخصوص احتياجاتهم واهتماماتهم، فحضوره أو غيابه لا يَفرِق في شيء.

هؤلاء مُخطئون، ومُخطئون خطأً مُميتًا، تمامًا مُثل الإجابة بخصـــوص بُعد الشمس عن الأرض. إنَّ المسافة بين الشمس والأرض ليســـت غيْـــر مُتعلِّقة بتوصيل البَريد إلى الشارع الرئيسي، لأنَّه إنْ قَرُبَت الشمس مـــن الأرض أكثر ممَّا هي عليه الآن، فإنَّ حرارتها سوف تكون مُحرِقة ولَـــن يقدر أحد أن يعيش على الأرض، ولنْ يصِل البريد إلى الشارع الرئيسي! وإنْ بَعُدَت الشمس عن الأرض عمَّا هي عليه الآن، فإنَّ كل شيء، حتَّى سكان الشارع الرئيسي، سوف يبلغون إلى درجـــة الـــبرودة، ســـوف يتجمَّدون، لن يتمكَّن أحد مِن الحياة!

هكذا الروح القُدُس مثل الشمس، ليس هو غير مُتعلِّق بالحياة، ولكن كما سوف نَرَى، إنَّه: "نَفَس" حياة أرواحنا.

مَن هو الروح القُدُس؟

الروح القُدُس هو الله، هو الأقنوم الثالث في أقانيم الأُلوهـــة، ولكـــي نُعطَى الروح القُدُس، فإنَّ يسوع المسيح، الأقنوم الثاني في الأُلوهة جـــاء على الأرض وتأنَّس، وبعد أربعين يومًا لقيامته صعد المسيح إلى الســـماء وعادَ إلى الآب، ولكنَّه إنَّما عادَ إلى الآب لكي يُرسِل لنا الروح القُدُس في ملئه: «*لكن لأنِّي قُلتُ لكم هذا قد ملأ الحُزن قلوبكم، لكنِّي أقول لكم الحَق إنَّه خيرٌ لكم أن أنطلِق، لأنَّه إنْ لم أنطلِق لا يأتيكم المُعـــزِّي*» (يـــو ١٦: ٦ و٧).

يقول يسوع لتلاميذه إنَّه خيرٌ لهم أن ينطلِق، لأنَّه عندئذ فقط ســـوف يأتيهم الروح المُعزِّي. إن مجيء الروح القُدُس هو الهدف الأساسي الـــذي

coptic-books.blogspot.com

بسببه جاء المسيح على الأرض. يقول القدِّيس أثناسيوس: "المسيح أخذ جسدًا لنأخذ نحن الروح القُدُس". وفي معنى واحد، إنَّ هدف التجسُّد كله هو إرسال الروح القُدُس يوم الخمسين، لأنَّه بالفداء والاغتسال والتطهير بدم المسيح نَصير مُؤهَّلين لننال الروح القُدُس. انظر! ها هو يوم الخمسين يترل ويملأ الكنيسة بحضوره، وها قد أُنجز القصد الذي جاء المسيح لأجله. إنَّ الله الروح القُدُس يُقيم الآن فينا إلى نهاية الزمن، وإن كان المسيح هو رأس الكنيسة التي هي جسده، فإنَّ الروح القُدُس هو الذي يُحيِي الجسد ويملأه بحضوره.

الله فينا:

عيد ميلاد المسيح يعني الله معنا، ويوم الجمعة العظيمة يعني الله لأجلنا، وعيد حلول الروح القُدُس يعني الله فينا. يقول الكتاب: «*هكذا أحبَّ الله العالَم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يَهلَك كل مَن يُؤمن به بل تكون له الحياة الأبديَّة*» (يو ٣: ١٦). الله هكذا أحبَّنا حتى بذل ابنه الوحيد لننال الغفران والحياة الأبديَّة، لكن عطاء الله لم يتوقَّف عند حدّ ابنه، ولكنه امتدّ إلى حدٍّ أبعد يوم الخمسين، فإنَّ الله أعطانا الروح القُدُس الذي سوف يمكُث داخلنا ليجعل أجسادنا هياكل لله: «*أَمْ لستُم تَعلَمون أنَّ جسدكم هو هيكل للروح القُدُس..؟*» (اكو ٦: ١٩).

الوَعد بالروح القُدُس:

إنَّ الوعد بالروح القُدُس قد أُعطي لإسرائيل منذ القديم. ركض غُلام إلى موسى ليُبلغه أنَّ رجُلين قد أقاما نفسيهما نبيَّين مُستقلَّين خارجًا عن سُلطَته، أمَّا موسى فكان رجُلاً نبيلاً جدًّا، فقال له بعكس ذلك: «*هل تغار أنتَ لي؟ يا ليت كل الشعب كانوا أنبياء، إذ جَعَل الرب روحه عليهم*» (عد ١١: ٢٦-٢٩).

coptic-books.blogspot.com

أمَّا المشهد الثاني فهو لا يزال أكثر وضوحًا، فمنذ ألف سنة خَلَت مِن قبل مجيء المسيح وَقَف نبي آخَر وقال إنَّ ما تنبَّأ عنه موسى سوف يصير يومًا حقيقة. هذا الشخص هو يوئيل. لقد كان مُتأكِّدًا تمامًا أنَّه سوف يأتي الزمان الذي فيه سوف يعرف الله جميع أنواع الناس العاديِّين وسوف يحيون بروحه. كان مُقتنعًا أنَّ الله هو الذي قال هذا، لذلك فإنَّه وَضَع هذه الكلمات في صيغة الله المتكلِّم:

"ويكون بعد ذلك،
إنِّي أسكُب روحي على كل بَشَر:
فيتنبَّأ بنوكُم وبناتكُم،
ويحلم شيوخكُم أحلامًا،
ويَرَى شبابكُم رُؤًى.
وأيضًا على العبيد والإماء،
أسكُب روحي في تلك الأيام"

(يوئيل ٢: ٢٨ و٢٩)

إنَّ حزقيال النبي يتنبَّأ عن مجيء الروح القُدُس عندما يكتُب: «*وأجعَل روحِي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي .. وأُعطيكم قلبًا جديدًا وأجعَل روحًا جديدة في داخلكم*» (حز ٣٦: ٢٧ و٢٦). كذلك أيضًا يكتب إرميا النبي: «*وأقطَع .. عهدًا جديدًا .. أجعَل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم ..*» (إر ٣١: ٣١ و٣٣). إنَّ كلمات إرميا وحزقيال ويوئيل هي الذروة الروحيَّة في العهد القديم. إنَّهم يصِفون عطيَّة الروح التي سوف يُعطيها يسوع على أنَّها اكتمال عَمَل الخلاص، وعلى أنَّها العَمَل الأخير في تأسيس ملكوت السموات.

coptic-books.blogspot.com

مَنْح الروح القُدُس

حَدَث في عشيَّة أحد القيامة أنَّ الرب يسوع أعطى الـــروح القُـــدُس بوضوح شديد لتلاميذه بأن نَفَخ فيهم: «*ولَّما قال هذا نَفَخ وقال لهم اقبَلوا الروح القُدُس*» (يو ٢٠: ٢٢). توجَد أمثلة أُخرى لسَكب الروح القُدُس في بُكُور نشأة الكنيسة، ولكن التأكيد الأَعظَم كان على ما حدث بعـــد خمسين يومًا مِن القيامة، في يوم البنطيقُستي العظيم. وَقَفَ الرسول بطرس في هذا اليوم وأعلَن أنَّ ما سَبَق وتنبّأ عنه يوئيل قد تَمّ، وحـــلَّ الـــروح القُدُس على عامة الرجال والنساء تمامًا مثلما حلَّ على الصـــيَّاد سمعـــان بطرس، فصارت لهم معرفة بالله، وحماسٌ شديدٌ وقوَّةٌ جديدة، ودَخَل الله في حياتهم. لقد كانوا مُتأكِّدين مِن هذا إلى درجة اليقين ممَّا جَعَلَ بطرس يقوم ويقول: «*ليكن هذا معلومًا عندكُم وأصغوا إلى كلامي، لقد تحقَّـــق أخيرًا ما قيل بيوئيل النبي، يقول الله ويكون في الأَيَّام الأخيرة أنِّي أسكُب مِن روحي على كل بَشَر، فيتنبَّأ بنوكُم وبناتكم ويَـــرى شـــبابكم رُؤى ويَحلَم شيوخكُم أحلامًا ..*» (أع ٢: ١٦ و١٧). لقد تَمَّ هذا الوعـــد الرائع. عند حَفر بئر جديد للزيت من المُتوَقَّع أن يوجَد فيه بترول، فإنَّـــه يحدُث عند اصطِدام أجهزة الحفر بمناطِق الزيت أن يَخرُج الزيت باندفاعٍ هائل وأحيانًا بانفِجارات ولهب شديد يظَلّ مُشتعلاً إلى عدَّة أيَّام حتى يتم ضبطه وتنظيمه والتحكُّم فيه، وبعد ذلك لن يوجَد مجالٌ لمِثل ما حَـــدَث، فالزيت سوف يُدفَع مِن خلال أنابيب لتَكريره وتنظيفه.

لقد وُجِد في يوم الخمسين ما يمكن أن يُشبَّه الآن بالألعاب الناريَّـــة، صوتٌ مِن السماء، هبوب ريحٍ عاصِفة، ألسِنة مِن نار، كَما بَشَّر رجال غير مُتعلِّمين بإنجيل المسيح وهم يتكلَّمون بألسِنة مُختلفة. كان لكل ذلك تأثِير مُرعِب ومُذهِل على الواقِفين المُشاهِدين، إنَّهم كَانوا شُهودًا لظهور

coptic-books.blogspot.com

واستعلان قوَّة إلهيَّة، وأيضًا عرفوها واختبروها. وماذا كانت نتيجة هـذا الاختبار؟ يقول العهد الجديد إنَّهم: "انضمُّوا إلى الكنيسة"، لقد صـاروا جُزءًا من جسد المسيح الذي من خلاله سوف يستمر الروح القُـدُس في الإتيان ليُلهمهم ويُقوِّيهم، وهذا ما نقرأه في آخر عدد في قصَّـة حلـول الروح القُدُس يوم البنضيقستي: «*وانضمَّ في ذلك اليوم نحو ثلاثـة آلاف نفس، وكانوا يُواظبون (وكرَّسوا أنفسهم) على تعليم الرُّسل والشَّـركة وكَسْر الخُبز والصلَوات*» (أع ٢: ٤١ و٤٢).

الروح القُدُس لم يكُن قد أُعطِيَ بعد:

يكتُب القدِّيس يوحنا: «*قال هذا عن الروح القُـدُس الـذي كـان المُؤمنون به مُزمعين أن يقبَلوه، لأن الروح القُدُس لم يكن قد أُعطِيَ بعد، لأنَّ يسوع لم يكُن قد مُجِّد بعد*» (يو ٧: ٣٩). لكي نَصل إلى المعـنى الحقيقي لهذه الآية، يجب علينا أن نتذكَّر أنَّه من الممكن أن توجَـد قـوَّة هائلة دون أن يُدرِك الإنسان وجودها، فالقوَّة الذريَّة مثلاً كانت موجودة باستمرار، ولكن أمكَن للإنسان في الزمان القريب أن يُدرِك طاقتـها وأن يستَخدِمها. على نفس المثال، فإنَّ الروح القُدُس دائم الوجـود، ولكـن أمكن للإنسان أن يختبِر قوَّة الروح الكاملة بعد يوم الخمسين فقط، ولكن قبل هذا اليوم كانت توجَد ومَضَات فقط له، سَبْق تذوُّق له (تك ١: ٢). ولكن ليصبَح الروح القُدُس حقيقة مُدرَكَة، لزم هذا حياة يسوع وموته، ليَفتَح بوَّابات فيض الروح القُدُس ليأتي إلينا في ملئه.

هِبَة الله العَظيمة:

يقول الرب: «*فإن كنتُم وأنتُم أشرار تعرِفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيِّدة، فكم بالحري الآب الذي في السماء يُعطي الروح القُدُس للـذين يسألونه*» (لو ١١: ١٣). يقول يسوع إننا نحن البشر نعرف كيف نعطي

coptic-books.blogspot.com

عطايا جيِّدة لأولادنا، أمَّا أعظَم مُعطٍ فهو الله، وأعظَم عطيَّة يمكنه أن يُعطينا إيَّاها ليست هي الصِحَّة ولا المال، بل الروح القُدُس، لأننا إذا امتلأنا بروح الله القُدُّوس، فإننا نكون قد امتلأنا بذاك الذي هو الصلاح الكُلِّي الفائق.

يقول القدِّيس إيرينيئوس إنَّ الإنسان جسد ونفس وروح قُدُس، فالإنسان لا يكون إنسانًا إن لم يكُن الروح القُدُس فيه. إن لم يكُن الروح القُدُس في الإنسان، فسوف يوجَد فيه روح آخَر شِرِّير، ليُصَيِّره أقل مِن إنسان.

coptic-books.blogspot.com

نَسجد لهُ ونُمَجِّده، مع الآب والابن

إننا نُعطي الروح القُدُس نفس السجود والمجد الذي نعطيه للآب، لذلك فإنَّ الروح القُدُس إله حَق مِن إله حَق، وعندما كَذب حنانيا على الروح القُدُس في سِفر الأعمال ٥: ٣، فإنه قيل إنَّه كذب على: "الله". وفي الإرساليَّة العُظمى، فإنَّ اسم الروح القُدُس يُضَمُّ بالتساوي مع اسم الآب والابن: «*فاذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القُدُس*» (مت ٢٨: ١٩). كما نَقرَأ في (يو ١٦: ١٣): «*متى جاء روح الحق، فإنَّه يُرشِدكُم إلى جميع الحَق*». مَنْ سِوى الله الذي يمكنه أن يقود إلى: "جميع الحَق"؟ إننا نَقرَأ في: (١كو ٢: ١٠): «*لأن الروح القُدُس يَفحَص كل شيء حتى أعماق الله*». مَنْ سوى الله يمكنه أن يفحَص وأن يَعرِف أعماق الله؟ لذلك فنحن عندما نتكلَّم عن الروح القُدُس، فنحن لا نتكلَّم عن قوَّة أو طاقة أو تأثير مُنبَثق فقط من الله، بل نحن نتكلَّم عن الله نفسه: "الرب .. المسجود له والمُمجَّد مع الآب والابن".

coptic-books.blogspot.com

الربُّ المُحيي

رَبَطَ اليهود بين روح الله وعَمَل الخلقَة، إنَّه مِن خلال روحه أجـــرَى الله عَمَله في الخَلْق. كان روح الله يَرِفُّ علَى وجه المَياه وخَلَقَ العالَم مِن الفوضى (تك ١: ٢). يقول المُرنِّم: «*بكلمة الرب صُنِعَت السموات، وبنسمة فيه كل جنودها*» (مز ٣٣: ٦). ويقول أيضًا: «*تُرسِل روحك فتُخلَق*» (مز ١٠٤: ٣٠). ويقول أيوب: «*روح الله صَنَعَني، ونسمة القدير أحيـــتني*» (أي ٣٣: ٤). وحزقيال النبي يَرسِم صورته المُرَوِّعَة والرائعة مِن وادي العظام اليابســـة، ويَحكي كيف أتَت العظام اليابِسَة إلى الحياة، ويَسمَع الله يقـــول: «*هأنـــذا أُدخِل فيكُم روحًا فتَحيون*» (حز ٣٧: ١-١٤). وها الرب ينفخ روحه في تلك العظام اليابِسة فتحيا. إنَّ نفس الروح الذي أتى بالنظام مِن التشـــويش الذي كان عند بدء الخَلق، والذي نَفَخ فيما هو عادِم الحياة، يأتي لينفخ الحياة في أُولئكَ الموتى في الفِكر والروح والقلب، ليُجدِّد ويُعيد خلقة الحياة عنـــدما يفقِد الناس كل معنى وطَعم للحياة. كان وسوف يظل الـــروح القُـــدُس إلى الأبَد: "الرب المُحيِي".

الروح:

يوجَد كثير من المعاني تدلّنا عليه كلمة: "الروح" بخصوص الشـــخص الثالث في الألوهة. تعني كلمة: "روح" أيضًا في لغات مُتعدِّدة: "نَفَس". وفي الحقيقة فإنَّ المسيح عندما أعطى الروح القُدُس أولاً لرسله عشيَّة أحـــد القيامة، فإنَّه: «*نَفَخ وقال لهم اقبلوا الروح القُدُس*» (يو ٢٠: ٢٢)، وهـــذا يدلّنا على أنَّ الله الروح القُدُس هو كالهواء الـــذي نتنفَّسه، إنَّـــه موجـــود دائمًا حتى وإن كُنَّا لا نلحظه باستمرار، إنَّه موجود داخلنا وخارجنـــا وفي كل ما يُحيط بنا. إنَّه نَفَس الله الذي يملأنا بالحياة والقوَّة، وكما أنَّه عـــن

coptic-books.blogspot.com

طريق التنفُّس الصِّناعي نُعيد الحياة إلى شخص وقَّف تنفُّسه، هكذا فإنَّ الله ينفُخ حياته فينا مِن خلال الروح القُدُس. إنَّ روح الله موجودٌ دائمًا لروح الإنسان، مُحيطٌ بنا ومُغَلِّفنا بحضور الله. هذا هو فحوى الروح القُدُس للإنسان.

اذهب في ليلة ما خارج الأبواب وقِف والحظ في المساء السماء الصافية. دَع عيناكَ تبلُغ إلى أبعد نجم يمكنك أن تَراه، وحلِّق في بلايين وبلايين النجوم في الفضاء المُتَّسِع المُترامي الأطراف، فَكِّر في الله الموجود هناك، أوَليسَ هذا هو الأُفُق الذي يَحِدُّ به كثير منَّا حضور الله؟ فنقول: "إنَّه موجود هناك في مكانٍ ما"، وإذا استمررتَ في النظر إلى تلك النجوم التي تبعد بلايين السنين الضوئيَّة هناك، فَدَع نسيم هذه الأُمسية يُلاطِف وجنتيكَ ويُداعِب شَعر رأسك. إنَّ الروح القُدُس هو الله قريبٌ منكَ كالهواء الذي يُلاطِف وجنتيك. أنتَ تتنهَّد وهو يَسمَع!

"انفُخ فِيَّ نسمةَ الله
املأني بحياة جديدة
حتى أحِبَّ ما تُحب
وأعمَل ما تعمله".

حمامة وألسنة من نار:

أظهَرَ الروح القُدُس ذاته للأعين البشريَّة مرَّتين، فعند عماد يسوع ظَهَرَ الروح في شكل حمامة، وفي يوم البنطيقُسطي ظَهَرَ بشكل ألسنة من نار على رأس التلاميذ. دعنا نتأمَّل باختصار في المعنى المخفي وراء هاتين الطريقتين اللتين ظَهَرَ بهما:

أوَّلاً: الحمامة .. بحسب ما لدينا من معلومات وسجلاَّت بشريَّة، فإنَّه مِن المعلوم أنَّ الحمامة تُتَّخَذ كمُرشِد للملاَّحين. عندما يُريد البحَّارة أن

coptic-books.blogspot.com

يعرِفوا الاتجاه أو المسافة من الشاطئ، فإنَّهم يطلقون حمامة أو حمامتين من الأقفاص، فيتَّجه الطائر بخفَّة فوق سُحُب الزوابع، ويتعلَّق في الهواء للحظة ثمَّ يطير كالسهم إلى أقرَبَ أرض، وعندئذ فإنَّ الملاَّحين يُوجِّهون دفَّة سفينتهم في هذا الاتجاه وهم مُتأكِّدون إنَّ هذا هو الاتجاه إلى اليابس. لا تَزال هذه مُتَّبَعة إلى يومنا هذا لدى الملاَّحين والصيَّادين في الهند. إنَّ عادة استخدام الحمامة كرمز للروح القُدُس يُبيِّن لنا أنَّ الروح القُدُس يقود الكنيسة إلى حَق المسيح، وفي أوقات الحيرة والتردُّد، فإنَّ الروح القُدُس يُحَلِّق كالحمامة فوق سُحُب الشكوك ويقودنا في الطريق إلى الأمان والاطمئنان.

ثانيًا: وبخصوص الألسنة الناريَّة التي ظَهَرَت على رأس التلاميذ يوم الخمسين، فهذا يُبيِّن لنا أنَّ الروح القُدُس هو كالنار، أينما وُجد يكون الناس مُلتهبين حماسًا، وفي الحقيقة فإنَّ كلمة "حماس" هي مُشتقَّة في أصلها اليوناني من كلمتين تعنيان: "الله في الداخل". حقًّا عندما يكون الله الروح القُدُس في الداخل، فنحن نكون على نار، مُمتلئين حيويَّة ونشاطًا وسحرًا ولذَّة، وكما تَفعَل النار، فإنَّ الروح القُدُس يصقلنا ويُطهِّرنا من الشَّر ويُنقِّينا من الخطيَّة.

روح الحق

يُعرِّف الإنجيل الرابع الروح القُدُس أنَّه: «*روح الحق*» (يو ١٤: ١٧، ١٦: ١٣)، وللروح القُدُس رسالة خاصَّة بخصوص الحق:

(١) فهو يُعلِّم الحَق الإلهي: «*يُعلِّمكم كل شيء*» (يو ١٤: ٢٦).

(٢) ويُذكِّر بالحق: «*يُذكِّركم بكل ما قلته لكم*» (يو ١٤: ٢٦). إننا نحتاج أكثر من أي شيء آخَر أن نتذكَّر مرَّة ومرَّات ما عرفناه بخصوص الله. هذا من ضِمن وظائف الروح القُدُس، أن يُعيد إلى الذاكرة حَق

coptic-books.blogspot.com

يسوع فيما يخص الخلاص هذا الذي يمكننا أن ننساه بسهولة.

(٣) كما أنَّ الروح أيضًا يُعلن حقًّا جديدًا: «*إنَّ لي أمورًا كثيرة أيضًا أقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأمَّا متى جاء ذاك روح الحق فهو يُرشِدكُم إلى جميع الحق*» (يو ١٦: ١٢ و١٣). وكما تكلَّم الله قديمًا بالأنبياء، وبالأهم مِن خلال يسوع، فإنَّه سوف يستمر في الكلام والتعليم إلى نهاية الزمان مِن خلال الروح القُدُس، ولكل جيلٍ سوف يُعلِن الروح القُدُس بوضوح الحق الذي يحتاجه هذا الجيل وبالشَّكل الذي يحتاجه.

ولكن كيف ينقِل لنا الروح القُدُس حقّه اليوم؟

إنَّ الكنيسة الأُرثوذكسيَّة تُؤمِن أنَّ الكنيسة التي هي جسد المسيح هي أيضًا هيكل ومسكن الروح القُدُس.

الله يُعَيِّن الأُسقُف في الكنيسة ليقود ويُعَلِّم القطيع الذي يُخَوَّل له رعايته، والأُسقُف عند تكريسه ينال هبة خاصَّة، مِن الروح القُدُس ليقوم بوظيفة مُعلِّم الإيمان. ولكن الكنيسة أيضًا كشعب الله لا تتكوَّن فقط مِن أساقفة وكهنة وشمامسة، ولكن أيضًا مِن عامَّة الشَّعب، وعامَّة الشَّعب أيضًا مُكرَّسون، إنَّهم أيضًا يَقبَلون الروح القُدُس مِن خلال سِر المسحة المُقدَّس، الميرون، الذي هو سر مسحة يوم الخمسين. ولذلك فمِن خلال هذا السِر وهذه المسحة، فإنَّ كل مُؤمِن، بعد المعموديَّة مباشرة، يَختَبِر "يوم خمسين" شخصِي. إنَّه ينال هبة خاصَّة مِن الروح القُدُس تُمكِّنه مِن أن يُشارِك في بقيَّة الأسرار، وفي قبول أو رفض قرارات المجامع المسكونية. وكما يكتُب القدِّيس يوحنا: «*وأمَّا أنتُم فلكُم مسحة مِن القُدُّوس وتَعلَمون كل شيء .. وأمَّا أنتُم فالمسحة التي أخذتُموها مِنه ثابتة فيكُم، ولا حاجة بكُم إلى أن يُعَلِّمكُم أحد، بل كما تُعَلِّمكُم هذه المسحة عن*

coptic-books.blogspot.com

كل شيء» (١يو ٢: ٢٠ و٢٧). وفكرة معرفة الله التي تُعطَى لجميع المُؤمنين من خلال الروح القُدُس سَبَق أن تنبَّأَ عنها إرميا النبي (٣١: ٣٣ و٣٤): «*أَجعَل شريعتي في داخلهم، وأكتُبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا، ولا يُعَلِّمون كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرَفوا الرب، لأنهم كلهم سيعرفوني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب*».

لذلك فإنَّ قرارات أي مجمع مسكوني (يضُم جميع أساقفة الكنيسة)، يَقبَلها الأُرثوذكس كإعلان للحَق الإلهي الذي لا يُخطئ، ولكن ليس بسبب حضور الأساقفة فقط، ولكن أيضًا لأن اعتراف الإيمان الذي يضعونه يُقرّد أيضًا الروح القُدُس من خلال قبول عامَّة شَعب الكنيسة النهائي له. إذًا هو الروح القُدُس الساكن في الكنيسة كلها، والمُكوَّنة من رجال الكهنوت وعامَّة الشَّعب هو الذي يقود الكنيسة إلى الحَق الإلهي.

يكتُب نيقولاس زرنوف Nicolas Zernov:

"إنَّه الروح القُدُس الناطق والعامل في جسد المُؤمنين كلّهم، هو المُعَلِّم والمُرشِد للحق. كل مسيحي إذًا يَسمَع صوت الروح، ولكن لأنَّ نفس الصوت يتكلَّم لباقي أعضاء نفس الجسد، لذلك فإن القرارات التي تُتَّخَذ بالإجماع والتي يُمكِن التوصُّل إليها من خلال الطاعة المُتَّضِعة والسلام والاتِّفاق والتفاهُم، هذه هي التي تُعَدُّ أنَّها تُعبِّر عن الإرادة والمَشيئة الإلهيَّة".

الباراكليت:

يُسمِّي القدِّيس يوحنا الرسول الروح القُدُس الباراكليت، والتي تُرجِمَت في العَرَبيَّة: "المُعَزِّي". ولكن مع ذلك، فإنَّ هذه التَرجَمَة تُحِدُّ بشِدَّة مِن المعنى الحقيقي لكلمة الباراكليت، والتي لا تزيد في الترجمة عن

coptic-books.blogspot.com

معنى شخصٌ يُعطِي الراحة والعزاء وقت الحزن. إنَّ كلمة باراكليت اليونانيَّة تعني شخصًا يُدعَى للمُساعدة بطريقة ما، مَثَلاً كشاهد يُعطِي بُرهانًا للدفاع عن شخص؛ أو مُحامٍ يُستَدعَى للدفاع عن حالة شخص مُتَّهَم؛ أو صَديق يُستَدعى ليُعطِي مشورة ونصيحة؛ أو طبيب يُستَدعَى لمنح الشفاء؛ أو شخص يُستَدعَى ليَغرس رجاء لليائسين. فلذلك يصبح من الأفضل ترجمة اسم الباراكليت إلى مُساعد helper بدلاً من مُعَزٍّ comforter؛ أيْ شخص مُساعِد يُستدعَى لمنح قوَّة لأي شخص آخَر ليتواءم مع أي ظَرف في الحياة عَسِر جدًّا عليه. هذا بوضوح هو تَعبير قَوِي لوظيفة هامَّة للروح القُدُس في حياة الإنسان.

coptic-books.blogspot.com

المُنبَثِق مِن الآب

عندما صاغ الآباء قانون الإيمان النيقاوي، فإنَّهم كَتَبوا عن الروح القُدُس أنَّه: "مُنبَثِق من الآب"، ومُؤخَّرًا أضافَت الكنيسة الغربيَّة، وبنوع مِن التَحَكُّم، كلمة الابن، فصار النَصّ: "مُنبثِق مِن الآب والابن". هذه الكلمة اللاتينيَّة الشهيرة filioque التي تسبَّبَت في كثير من الاحتكاك بين الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة. إنَّ الكنيسة الأُرثوذكسيَّة احتَفَظَت بنَصّ قانون الإيمان الأصيل كما هو دون إضافة كلمة الابن للأسباب التالية:

أوَّل كل شيء، فإنَّ المجامع المسكونيَّة حرَّمَت أي تغييرات أو إضافات في القانون إلاَّ عن طريق مجمع مسكوني آخَر. وبما أنَّ قانون الإيمان النيقاوي يخصّ الكنيسة كلها، فلا يحق لجُزء فقط منها أن يُغيِّره.

وثانيًا لأن الأُرثوذكس يعتقدون أن إضافة كلمة: "الابن filioque" ليست صحيحة لاهوتيًّا، كما يُؤمِن الأُرثوذكس أنَّ الله يعرف ذاته جيِّدًا، إنَّ يسوع نفسه هو الذي قال: «*متى جاء المُعزِّي الذي سأُرسله أنا إليكُم مِن الآب، روح الحَق الذي مِن عند الآب ينبثِق، فهو يَشهَد لي*» (يو ١٥: ٢٦). إنَّ الأُرثوذكسيَّة تُعلِّم باستمرار أن الإنجيل يُعلِّم أنَّ: "المسيح يُرسِل الروح القُدُس، لكن الروح ينبَثِق مِن الآب". هذا يَحفَظ وِحدة جَوهَر الأُلوهة، إذ أنَّ الآب هو المَصدَر الوَحيد وأصل الثالوث.

coptic-books.blogspot.com

الناطِق في الأنبياء

الروح القُدُس في العهد القديم هو الذي ألهَم الأنبياء ليتكلّموا للإنسان عن الله. حَلّ روح الرب على شاول فتنبّأ بين الأنبياء (١صم ١٠: ١٠)، ويقول داود النبي: «*روح الرب تكلّم بي وكلمته على لساني*» (٢صم ٢٣: ٢)، ويقول حزقيال: «*وحَلّ عليّ روح الرب وقال لي: قُل هكذا قال الرب*» (حز ١١:٥). نفس هذا الروح الذي تكلّم في الأنبياء في العهد القديم، يتكلّم لنا اليوم مِن خلال الكتاب المُقدّس والكنيسة ليُرشِدنا إلى معرِفة مشيئة الله في حياتنا.

ماذا حَدَث عندما حَلّ الروح القُدُس؟

لقد صار الرُسُل أشخاصًا آخَرين بعد أن حَلّ عليهم الروح القُدُس، يُمكننا أن نسمعهم دائمًا يقولون: "لماذا تتعجّبون! هذا صدق، هذا هو ما وَعَد به السيِّد وها الآن قد تمّ، إنّ حياتنا اقتحمتها حياة أعظَم، إنّ مخاوفنا تبدّدَت، إننا نشعُر في داخلنا بانبثاق قوّة جديدة وحُب جديد وحِكمة جديدة ومعرِفة ألسنة جديدة لم نكُن نعرفها مِن قَبل على الإطلاق. الله هنا، الله الآن معنا!".

إن كل كِتاب سِفر الأعمال ليس إلاّ تسجيلاً مدهشًا لكيفيّة عَمَل الروح القُدُس في أيامَ الكنيسة الأولى. إنّ بطرس غير المُتَعلّم، غيرَ المُتمرِّس، الصيّاد البسيط، الذي جَبُن إلى الدرجة التي أنكر فيها تمامًا كل معرفة بيسوع، نراه الآن يقف أمام أُلوف مِن الناس ويتكلّم معلنًا جَهارًا أنّ ما حَدَث هو ما تنبّأ عنه الأنبياء، وأنّ يسوع هذا هو ابن الله. إنّه طَلَبَ مِن سامعيه أن يتوبوا وأن يعتمِدوا ففعَلوا ذلك، وصار خمسة آلاف منهم مسيحيِّين نتيجة لعِظة بطرس يوم الخمسين.

coptic-books.blogspot.com

حتى إسطفانوس أَحَد الشمامسة الأُوَل، هذا الشخص الصغير غير المُدرَّب ولا مُجرَّب ولا مُحنَّك تكلَّم بقوَّة مثل هذه، جَعَلَت أعداء المسيح يهتاجون. لقد قُبِض عليه، وعندما بدأَ الناس في رَجمه، فإنَّه: *«وهو مُمتلئ من الروح القُدُس شَخَص إلى السماء، فرأى مجد الله ويسوع قائمًا عن يمين الله»* (أع ٧: ٥٥)، وأثناء موته فإنَّه كان يُصلِّي لأجل الذين يرجمونه ويقول: *«يا رب لا تُقِم لهم هذه الخطيَّة»* (أع ٧: ٦٠).

إنَّ مَفاعيل الروح القُدُس كانت مِثل سَرَيان تيَّار كهربي قَوِي. الجُبناء صاروا يكرِزون بكلمة الله بكل مُجاهَرَة، الذين استَحوذ عليهم الخوف أصبحوا: *«بقوَّة عظيمة يُؤدُّون الشهادة بقيامة الرب يسوع»* (أع ٤: ٣٢). الحَواجِز والعوائق الأُولى والتحيُّزات قد هُدِمَت وصار الناس الآن: *«لهم قلب واحِد ونفس واحِدة»* (أع ٤: ٣٢). كل شخص أصبح يَفهم البشارة بلغته الخاصَّة، حواجِز الاتصال سَقَطَت، صار حلول الروح القُدُس عَكْس بَلبَلَة الألسُن في بابِل، كل واحِد الآن يَفهم قريبه، إحساس جديد بالوِحدة أصبح سائدًا، ورجاء جديد اقتَحَم العالَم، وجسور المحبَّة أصبحت تتكوَّن، وحتى الخارِجون لاحَظُوا: *«هؤلاء الذين فَتَنوا المسكونة»* (أع ١٧: ٦)، وعاشوا عيشة مُشترَكة يتناولون الطعام معًا، وكان عندهم كل شيء مُشتَرَكًا، والأملاك والمُقتَنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع ويعطون لِمَن ليس لهم، حتى ظَنَّ الخارِجون أنَّ هؤلاء (المسيحيِّين الأوائل) سَكَارَى، ولاحَظَ بطرس هذا، وفي وَقار وهدوء ورَزَانة: *«رَفَع صوته وقال: إنَّ هؤلاء ليسوا سَكَارَى كما أنتُم تظُنُّون لأنها الساعة الثالثة مِن النهار»* (أع ٢: ١٥). إنَّ التفاعُل مع الروح القُدُس كَشَف عن تأثير مُلاحَظ: المُجاهرة بالكلام، الفَرَح المُفرط،

coptic-books.blogspot.com

فقدان الشعور الكامل بالذات، عَدَم الاكتراث لكلام الناس أو ظنّهم فيهم أو في نظرهم إليهم، عَدَم التفكير فيما سوف يحدُث لهم. كانوا مثل أشخاصٍ طائرين مِن الفَرَح كما لو كانوا خارج أنفسهم. لعلَّ هذا هو ما أشار إليه القدِّيس بولس مُؤخَّرًا عندما أوصَى أهل أفسس: «*لا تسكروا بالخمر .. بل امتلئوا بالروح*» (٥: ١٨). ليس الخمر هو الذي أوصلهم لما أدركوه بل الروح القُدُس. هذا هو مفتاح القوَّة الثوريَّة للإيمان المسيحي: إنَّه إرسال الروح القُدُس.

ماذا يُمكِن أن يَعنِي لنا الروح القُدُس اليوم؟

رأينا فيما سَبَق ما يعنيه الروح القُدُس للرُسُل الأوائل، دعنا الآن نَرَى ما يُمكِن أن يعنيه لنا اليوم.

نسمَع بين مَن يعملون في مجال الكهرباء ما يُسمَّى بـ: "الطاقة الكهربائية للمنزِل". كثيرًا ما نقرأ في الجرائد عن سُؤال مطروح: "هل منزلك مُتَّصِل بطاقة كافية لتشغيل جميع ما تحتاجه لمعيشة كافية تفي بالمراد؟" إن لَمْ يكُن فأنتَ باستمرار تحرِق المُنصهِر عندما تضع أحمالاً ثقيلة جدًّا على: "طاقة البيت". إنَّ نفس الأمر يحدث في حياتنا الشخصيَّة. تَفكَّر في الاحتياجات الهائلة الثقيلة المُلقاة على عاتق: "قُوَّتنا الشخصيَّة" كل يوم. تَفكَّر في القوَّة التي نحتاجها لنواجه المشاكل العديدة وتجارب الحياة. تَفكَّر في القوَّة الداخليَّة التي نحتاجها حتى نكون على مُستَوَى التواؤم مع ضغوط الحياة اليوميَّة. إن لم يكُن لنا قوَّة داخليَّة كافية، نحن نحرِق المنصهر. نحن نحرق أهم ما فينا. نحن نتمزَّق. إنَّها علامة الإحباط وعدم المُواءمة لمواجهة احتياجات حياة.

إنّه روح الله الذي اقتَحَم البشريّة يوم الخمسين، الذي مَنَح الرسل القوَّة

coptic-books.blogspot.com

الداخليَّة ليواجهوا جميع الضُغوط الخارجيَّة بانتصار. إنَّ نفس الروح القُدُس مُتاح لنا اليوم. المسيح وَعَد: «*تنالون قوَّة متي حَلَّ الروح القُدُس عليكُم*»، وهذا الوَعد مُوجَّه لنا نحن أيضًا اليوم كما كان مُوجَّهًا للرسل الأوَّلين.

إنَّ أردأ نصيحة يُمكن أن نُقدِّمها للناس الذين بَلَغُوا نهاية المطاف في إمكانيَّاتهم هي أن يُحاوِلوا بأكثر جهد. إنَّهم فِعلاً قد استنفَذوا كل طاقاتهم، وهم ليسوا في حاجة إلى مزيد من الجهد ولكن إلى مزيد من المصادِر، ليس الاحتياج إلى مَزيد مِن الضَّغط على دوَّاسة البترين، ولكن إلى مزيد مِن البترين في مستودع الوقود، إلى مَزيد مِن القُوَّة. هذه هي القوَّة التي جَعَلَها الله مُيسَّرة لنا في الروح القُدُس.

سَأَلَت طفلة أباها ذات يوم: ''قالوا لي اليوم في مدارس الأحد إنَّ الروح القُدُس يأتي ويعيش فينا، كيف يُمكنني أن أعرف أنَّ الروح القُدُس داخِلي؟''

فَكَّر الأب للحظة ثمَّ قال لها: ''هل تتذكَّرين ما حَدَث أثناء عودتنا من الكنيسة إلى المنزِل هذا الصباح؟''

''هل تقصُد إطار السيَّارة عندما أُصيب وفَرَغ مِن الهواء؟''

أجابها الوالد: ''نعم، إنَّ هذا الإطار المُفرَّغ قد يُساعِد على إجابة سؤالك. يُمكن للهواء داخل الإطار أن يحمل ثقل عربة صغيرة أو عربة نقل أو طائرة هابطة إلى الأرض. أنت لا تستطيعين أن تَرِي الهواء، ولكنكِ تَعلمين أنَّه هناك لأنَّكِ تَرين تأثيره، وما يحمله.

هكذا نحن لحدٍّ ما مِثل هذا الإطار، عندما يكون الروح القُدُس داخلنا، نكون أقوياء قادرين أن نحتفظ بإيماننا حتى ولو لَزم أن نحتمِل صعوبات جَمَّة، ولكن بدونه فإنَّ حياتنا تكون خاوية روحيًّا وفارِغة ومائتة''.

coptic-books.blogspot.com

يُخبِرنا العُلماء أنَّه يوجَد ضَغط على كل بوصَة مُربَّعة مـن جسـمنا مِقداره ١٥ رطلاً، وتستطيع أجسادنا احتمال هذا الضغط لأنَّـه يوجَـد ضَغط داخِلي يَدفَع ويُقاوِم الضغط الخارِجي، وبهذا يحدُث تساوٍ وتـوازن بين الضغطين. كَم مِن ضغطٍ أقوى يضغط بشدَّة على أذهاننا وأنفسنا كل يوم؟ كَم من خطيَّة! كَم منْ حُزن! كَم من تَجربة! كَم من أسَى! كَم من صعوبة! كَم من مخاوِف! كَم من قلق! كيف يمكننا أن نُقاوم هذا الضغط الخارجي بدون قوَّة داخليَّة، تلك التي يمدُّنا بها الروح القُدُس؟

فلا نعجَب إذًا مِن المُرنِّم عندما يصرُخ: «*روحك القُدُّوس لا تنزعـه مِنِّي*». خُذ أي شيء آخَر لديَّ، لكن ليس الشيء الوحيد الـذي يجعـل الحياة ممكنة وموجودَة. طالما موجودٌ فِيَّ روح الله، فكل وَحشَة وكآبـة ودمار يُمكِن على الأقل احتماله. أمَّا إن فارقنا هذا الروح، فقد مَضَـت معه كل تقويَّة؛ لا نور يُرشِد، لا صوت يُعطي معنى للحيـاة، ولا يـد لتضبط وتثبِّت وتُهدِّئ.

الموقظ والمنبِّه العظيم:

يَكتُب الدكتور بول تليك Dr. Paul Tillich عن ناحية أُخرَى مـن عَمَل الروح فيقول: ""يُمكن للروح القُدُس أن يعمَل فينا بصوت هـادئ خفيض ولكن بإلحاح، ليقول لنا إنَّ حياتنا فارِغة وبلا معنى، وإنَّ هنـاك فُرَصًا لحياة جديدة تنتظرنا خلف باب النَفْس مِن الداخِل، لتملأ فراغهـا ولتهزِم كسلها وغباءها. يُمكِن للروح القُدُس أن يكشف لكَ بعُمق أنَّكَ قد آذيتَ شخصًا ما بعُنف، ولكن يمكنه أن يُعطيـكَ أيضًـا الكلمـة الصحيحة لتُعيد علاقتك واتحادك به ثانية. يُمكِـن للـروح القُـدُس أن يُعطيكَ أن تُحِب، بالمحبَّة الإلهيَّة، الشخص الذي تكرهه بشِدَّة، أو الذي لا تنسجِم معه. يستطيع الروح أن يُعطيك المَسَرَّة والبهجة وسـط أعمـال

coptic-books.blogspot.com

الحياة الروتينيَّة تمامًا مثلما يُعطيك وسط أعماق الأسَى.

يُمكِن للروح أن يُلقيكَ في هوَّة اليأس مِن نفسك، ثمَّ يُعطيك التأكيد أنَّ الحياة قد قَبلتكَ تمامًا بعد أن شَعرتَ أنَّكَ صرتَ مرفوضًا بالكليَّة. يستطيع الروح أن يُعطيكَ قوَّة الصلاة التي لا يُمكِن لأحَد أن يحصُل عليها إلاَّ مِن خلال الحَضرة الإلهيَّة الروحيَّة، لأنَّ كل صلاة؛ تُتلى بالكلام أو بدون كلام لتصِل إلى هدفها، وكذلك عودة الاتحاد مع المبادئ الروحيَّة في كياننا، هذا كله هو عَمَل الروح وهو يتكلَّم فينا ومِن خلالنا".

الروح النجِس:

أقبَلَ شابان مُدمنان إلى المسيح وقبِلاه، ومِن خلاله أمكنهما معرِفة قوَّة الروح القُدُس، وشهادتهما تُثبتُ ذلك، فقد قالا:

"وسطَ هذه الجماعة المسيحيَّة بدأنا أخيرًا أن نجد ما كُنَّا نبحث عنه، وكان المُفتاح هو الروح القُدُس. كانت لنا خِبرة سابِقة مع الأرواح، إننا تقابلنا مع الروح النجِس، هذا الروح له قوَّة قاهِرة، ولكن يجب قبولها لتعمَل داخِل النفس، وعندئذ يجدها الإنسان قوَّة خالية مِن المحبَّة، وكل غرضها هو الهدم.

أمَّا الروح القُدُس، فهو أيضًا له قوَّة أعظَم جدًّا مِن قوَّة الروح الشرِّير، وهو أيضًا في انتظار أن نقبله. إنَّه يعمَل لصالحنا، وقد مكَّننا أن نرفض العقاقير في خلال أيام، بينما كُنَّا نتعاطاها لسنين، وهذه هي الأُعجوبة!".

جِنسًا جديدًا:

المسيح إذ حُبِل به مِن الروح القُدُس، صار باكورة جنسٍ جديد لشعبٍ سوف يمتلئ وينقاد بالروح. المسيح جاء مِن فوق مِن عند الله، حتى يُمكِن لهؤلاء الذين مِن أسفل أن يرتفعوا إلى الله فيه. وبحسب اللاهوت

coptic-books.blogspot.com

الأُرثوذكسي، فإنَّ هدف الحياة المسيحيَّة ليس فقط اقتناء الروح القُدُس، بل أيضًا تألُّه الإنسان مِن خلال الروح القُدُس. وبكلمات أُخرى، يمكن للإنسان أن يصير مِثْل المسيح مِن خلال القوَّة التي ينالها عندما يأتي الروح القُدُس ويسكُن في الإنسان. إنَّ جسده يصير تمامًا وبعينه هيكلاً للروح القُدُس. لذلك فإنَّ خلاص الإنسان وفداءه يعني في الأُرثوذكسيَّة تألُّهه، ميلاده في حياة إلهيَّة هي حياة الله، وصيرورته عضوًا في جنسٍ جديد مُمتلئ بالروح القُدُس، ليصير شخصًا مُنقادًا بالروح القُدُس وأصله هو المسيح نفسه.

الخطيئة التي ليست لها مغفرة:

يُخبرنا الكتاب المُقدَّس أنَّ الخطيَّة الوحيدة التي لا غُفران لها هي التي ضد الروح القُدُس: «*لذلك أقول لكُم كل خطيَّة وتجديف يُغفَر للناس، وأمَّا التجديف على الروح القُدُس فلن يُغفَر للناس، ومَن قال كلمة على ابن الإنسان يُغفَر له، وأمَّا مَن قالَ على الروح القُدُس فلن يُغفَر له، لا في هذا العالَم ولا في الآتي*» (مت ١٢: ٣١ و٣٢). ما هي الخطيَّة ضد الروح القُدُس حتى صارَت إلى هذا الحدّ ليست لها مغفرة؟ إن كان الروح القُدُس هو الله في عالَمنا اليوم وهو يُجاهد ليقود روح الإنسان إلى المسيح مِن خلال الكنيسة، فيكون أنَّ أي شخص يرفُض أن يتعلَّم مِن الروح القُدُس ويُدير ظهره للكنيسة، ويعيش برغبة كاملة وبإرادة تامَّة في الخطيَّة، ويَرفُض أن يسأل أو يطلُب الغُفران، مثل هذا الشخص يرتكب خطيَّة ضد الروح القُدُس. وبكلمات أُخرَى، فإنَّ الخطيَّة التي لا تُغفَر لا تتكوَّن مِن مُجرَّد عَمَل مُعيَّن أو كلمة تجديف، ولكن هي موقف دائم ومُحدَّد من الكيان كلَّه في الحياة يقول لله: "لا". إنَّها خطيَّة لا تُغفَر ليس لأنَّ الله سوف يرفُض الغُفران، ولكن لأنَّ الإنسان يرفُض أن يطلُب المغفرة. وفي الواقِع هي رفض تام للإنسان أن تكون له أي صِلة أو علاقة مع الله.

coptic-books.blogspot.com

كيفَ نَقبَل الروح القُدُس؟

إنَّ يوم الخمسين هو حَدَثٌ مُستمرٌّ في الكنيسة. إننا نلنا الروح القُدُس في المعموديَّة وسر المسحة، كما نناله في الصلاة والتناول، ومع ذلك فإنَّ موهبة الروح القُدُس في حياة الكنيسة السرائريَّة تُهمَل وتُرفَض ونتجاهلها، بل وأيضًا نُطفئها كما يقول القدِّيس بولس في (١تس ٥: ١٩). ومع أننا نلنا الروح في الكنيسة، إلاَّ أنَّه يُمكن أن ننحو بعيدًا عنه إذا خَدَمنا أعمال الجسد. ولأجل هذا فإنَّ التوبة ضروريَّة جدًّا لقبول الروح القُدُس، التوبة هي عودة فتح القلب لله وإزالة العوائق من القلب التي رَبَطَت الإنسان سابقًا بسبب أعمال الخطيَّة. وكما يقول القدِّيس بطرس: «*توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع لغفران الخطايا فتقبلوا عطيَّة الروح القُدُس*» (أع ٢: ٣٨). وإذا كنتَ قد اعتمدتَ ونسيتَ ماذا يعني أن تكون تلميذًا للمسيح، فتُبْ وعُدْ ثانية إلى المسيح والكنيسة حيث ينتظركَ الرب ليَمنحكَ عطيَّتين عظيمتين جدًّا: غُفران الخطايا والروح القُدُس. إنَّ الروح لن يأتِ إلى إنسان يُقيم نفسه ضدًّا لله. إنَّه سوف يأتي فقط لِمَن يُشكِّل حياته بحسب مشيئة الله، وكما أنَّ تيَّار الخليج يُمكن أن يَسري مِن خلال قَشَّة إذا وُضِعَت في مكان مُوازٍ للتيَّار، هكذا أيضًا يُعطَى الروح لأولئكَ الذين تتوافق حياتهم مع مشيئة الله. ولهذا السبب، فإنَّ القدِّيس بطرس يقول: «*والروح القُدُس أيضًا الذي أعطاه الله للذين يُطيعونه*» (أع ٥: ٣٢)

الاقتناء المستمر للروح القدُس:

يَلزَم اقتناء الروح القُدُس باستمرار. يجب قبول الروح يوميًّا. ولنصل إلى هذا يلزم أن ننتظِر مُصلِّين وفي انتظاره، تمامًا مثلما عَمَل التلاميذ قبل حلوله عليهم يوم الخمسين: «*هؤلاء كلّهم كانوا يُواظبون بنفسٍ واحدة على الصلاة والطلبة ..*» (أع ١: ١٤). هذا النوع مِن الترقُّب في حالة

coptic-books.blogspot.com

صلاة هو ضروري إذا ما أردنا أن ننال الروح القُدُس.

يَصِف القدِّيس صاروفيم ساروفسكي St. Sraphim of Sarov أن كل هدف وقصد الحياة المسيحيَّة ليس إلاَّ اقتناء الروح القُدُس، فيقول:

"الصلاة، الصوم، الأسهار، وجميع الأعمال المسيحيَّة الأُخرى مهما كانت حسنة في ذاتها، لا تُشكِّل أبدًا هدف الحياة المسيحيَّة، بل هذه ليست إلاَّ طُرُقًا أساسيَّة لا غِنَى عنها لبلوغ الهدف، أمَّا الهدف الحقيقي للحياة المسيحيَّة فهو اقتناء الروح القُدُس. أمَّا عن الأصوام والأسهار والصلوات وعطاء الصَّدقة للفقراء والأعمال الأُخرى التي تُجرَى باسم يسوع، فهذه كلها ليست إلاَّ وسائط لنوال روح الله القُدُّوس. أمَّا بخصوص الصلاة فهي دائمًا في مُتناوَل كل إنسان، غنيًّا كان أم فقيرًا، ذا حَسَب شريف أم بسيطًا، قويًّا أم ضعيفًا، ذا صحَّة جيِّدة أم مريضًا، بارًّا أم خاطئًا. عظيمةٌ هي قوَّة الصلاة؛ وهي أكثر من الأعمال الأُخرى تأتي لنا بروح الله، وهي أسهل منها كلها في إمكانيَّة القيام بها".

قيل إنَّ القدِّيس صاروفيم يجمع في الكلمات السابقة كل التُراث والتقليد الروحي للكنيسة الأُرثوذكسيَّة، لأنه ما هو الشيء الأعظم مِن اقتناء الروح القُدُس؟ وهل توجَد واسطة أسهل مِن الصلاة يأتي الروح القُدُس إلينا مِن خلالها؟

الضَّيفُ المُقدَّس:

يُظنُّ أنَّ الكلمة روح ghost المُستَخدَمة في الاسم الروح القُدُس the Holy Ghost هي الكلمة السكسونيَّة القديمة للكلمة ضَيف guest. وسواء كان هذا صوابًا أو خطأً، إلاَّ أنَّه مِن المؤكَّد أنَّ الروح القدُس هو الضَّيف المُقدَّس، وهو أَفضَل وأعظَم ضَيف يُمكِن قبوله، وهو الذي يُعزِّينا

coptic-books.blogspot.com

في حياتنا. إنَّه يأتينا مثل إله ليسكُن في كل واحد منَّا. إنَّه يـأتي كقـوَّة، يأتي كمعرفة وكحكمة، يأتي مثل نَفخَة الله ليعطينا حياة جديدة، يأتي مُثل أعظَم مُنبِّه، يأتي مثل أعظَم عطيَّة يُمكن أن يعطيها الله، يأتي مثـل مـاء مُنعش لروح الإنسان الجافَّة. يقول يسوع: «*إن عطش أحد فليُقبِـل إليَّ ويشرب، مَن آمَنَ بي كما قال الكتاب تَجري من بطنه أنهار ماء حـيّ، قال هذا عن الروح القُدُس الذي كان المُؤمنون به مُزمعين أن يَقبَلوه*» (يو ٧: ٣٧ و٣٨). يأتي ومعه ثمار حَضرَته: «*محبَّة، فَرَح، سلام، طول أنـاة، لُطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفُّف*» (غل ٥: ٢٢). إنَّ الروح القُـدُس يأتي، ومع أنَّ أفكارنا السابقة بخصوصه قد تكون غامضة وغير واضحة، إلاَّ أنَّه بالتأكيد نستطيع أن نَرى الآن أنَّه في خطَّة الخَـلاص لا يوجَـد شخص أهم مِن الروح القُدُس.

لا يوجَد امتياز أعظَم مِن أن يَفتَح الإنسان قلبه عن طريـق الصـلاة ليقتني الضَّيف المُقدَّس.

صلاة

"أيُّها الملك السماوي المُعَزِّي، روح الحَق، الحاضـر في كل مكان، والمالئ الكل، كَنز الصـالحات، ومُعطـي الحياة، هلُمَّ تفضَّل وحلّ فينا، وطهِّرنا مِن كل دَنَـس أيُّها الصالح، وخلِّص نفوسنا".

(صَلاة شَرقيَّة أُرثوذكسيَّة مُوجَّهة إلى الروح القُدُس. وهي تُصلَّى مع قطَع صلاة الساعة الثالثة مِن صـلوات الأجبيَّـة المُقدَّسَـة في الكنيسة القبطيَّة الأُرثوذكسيَّة).

coptic-books.blogspot.com

وبكنيسة واحدة مُقَدَّسة جامِعة رسوليَّة

منذ زمن مَضَى، رَسَم الفنَّان نورمان روكوِل Norman Rockwell صورة تصِف جماعة مِن الناس وهم يسيرون بجوار كاتدرائيَّة عظيمة، وكل واحد يمشي وعيناه مثبَّتتان على رصيف الشارِع، والأكتاف المُنحَنيَة تُعبِّر عن مدى الكآبة والحزن الذي يعيشه هؤلاء الناس. كل واحد في الصورة يبدو كما لو كان يَحمِل ضُغوطًا وقلاقِل تُعبِّر عن عناء الحياة المُعاصِرة. كما يبدو كل واحد وهو مُستَغرِق في مشاكِل لا حلَّ لها، لدرجة أنَّه ولا واحد يشعُر بالآخَر الذي بجواره. وأيضًا مَنظَر رصيف الشارِع يُعبِّر عن اليأس الذي لا رجاء فيه على الإطلاق.

ومع ذلك فقد كان يوجَد على رصيف الشارِع وعلى الدَرَجات الصاعِدة إلى الكاتدرائيَّة الشخص المُهتمُّ بها، وكان جاثمًا على سلّم وهو يَسأل الراعي ما إذا كانت عِظة اليوم المُعلَّق الإعلان عنها هي صحيحة؟ كان الإعلان مكتوبٌ فيه عنوان العِظة: "ارفَع عينيكَ إلى فوق"، وكان هذا العنوان مُحاطاً بصورة فخمة للكاتدرائيَّة وتَظهَر أبوابها مفتوحة، وتمثال للمسيح ويداه مفتوحتان، والمذبح الملوكي في خلفيَّة الصورة، وسِربٌ من الطيور يُحلِّق إلى أعلى. إنَّ التضاد والاختلاف في هذه الصورة لمُثير حقًّا: هذه الوجوه الكثيرة الحزينة والتي تسير بجوار باب الكاتدرائيَّة المفتوح لَم تُشغِل نفسها بالنَظَر إلى أعلى بدلاً من التطلُّع المُستمِر إلى رصيف الشارِع. ربَّما لو نَظَرت إلى فوق لَوَجَدَت لنفسها الرجاء والشجاعة. الكنيسة تَظهَر وهي تدعو العالَم ليرفع عينيه إلى الله، والعالَم يَظهَر وهو يسير بجوارها وهو لا يكتَرِث!

coptic-books.blogspot.com

في قانون الإيمان النيقاوي نحن نعترِف أنَّه بـدلاً مـن أن نتجاهَـل الكنيسة، نحن نُؤمِن بها بحرارة وحماس: "أُومِن بكنيسة واحدة مُقدَّسـة جامعة رسوليَّة". ولكن ماذا تعني هذه الكلمات؟

واحدة:

الكنيسة واحدة لأنَّ الله واحد: «*جسدٌ واحِد وروحٌ واحد .. رجـاءٌ واحد .. ربٌّ واحد، إيمانٌ واحد، معموديَّة واحدة، إلـه وآبٌ واحـد للكل*» (أف ٤: ٤-٦). إنَّ تعدُّد الطوائف الذي نراه من حولنا قد سبَّبه سوء فهم الإنسان. إنَّه ليس جُزءًا من مشيئة الله للكنيسة. ومع ذلك فلو قامت هذه الطوائف المُختلفة ببَحث مُخلص عـن الحقيقـة وباشـتياق للوصول إلى اتِّصال أعمَق مع الله، فإنَّنا سوف نجِد أنَّه يوجَد فعلاً نوعًـا مِن الوَحدة.

إنَّها بَرَكة أنَّ جميع الطوائف المسيحيَّة اليوم تتوق إلى عودة اكتشـاف وَحدتها في المسيح مِن خلال مجلس الكنائس العالَمي والحَرَكة المسـكونيَّة على العموم. إنَّ الكنيسة الأُرثوذكسيَّة تُؤمِن أنَّها الكنيسة "الواحدة" التي أسَّسها المسيح، لأنَّها هي الكنيسة التي احتَفَظَت بتعاليم الآباء القُـدامى كاملة، كما أنَّها كنيسة غَيْر مُنقَسمة، لَم تحذف ولم تُضِف شيئًا مِن هذه التعاليم. تُؤمِن الكنيسة الأُرثوذكسيَّة أنَّ الوَحدة يُمكِن بلوغها عندما تَقبَل كافة الطوائف المسيحيَّة تعاليم الكنيسة القديمة كلها، هذه الكنيسة التي لم تنقَسِم، والتي تُعَبِّر الكنيسة الأُرثوذكسيَّة أنَّها هي الاستمرار التاريخي لها.

مُقَدَّسة:

الكنيسة مُقدَّسة لأنَّ ربَّنا جَعَلَها هكذا: «*أحبَّ المسيح الكنيسة وأسلَمَ نفسه لأجلها لكي يُقَدِّسها مُطهِّرًا إيَّاها بغَسل المـاء بالكلمـة، لكـي*

coptic-books.blogspot.com

يُحضِرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دَنَس فيها ولا غَضن أو شيء مِن ذلك، بل تكون مُقَدَّسة وبلا عيب» (أف ٥: ٢٥-٢٧). وليسَت الكنيسة فقط مُقَدَّسة، ولكن هدفها أن تجعلنا نحن أيضًا مُقَدَّسين وقِدِّيسين، أي مُختلِفين عن العالَم، لنعمَل وَفق مشيئة الله وكشُركاء في حياة الله.

جامعَة:

كنيسة (كاثوليكيَّة) أي جامعة أي تضُم كل العالَم وتَحتَضِن جميع الشعوب وكل الأرض: *«هكذا أَحَبَّ الله العالَم حتى بذل ابنه الوحيد»* (يو ٣: ١٦). وتمامًا كما أنَّه لا يُوجَد تمييز في محبَّة الله، هكذا الكنيسة تمدّ ذراعيها لكل العالَم: *«ليس يوناني ويهودي، ختان وغُرلة، بربري سكِّيثي، عبدٌ حُر ..»* (كو ٣: ١١). إنَّ محبَّة الله شاملة، لذلك فالكنيسة أيضًا جامعة. إنَّ الكنيسة الأُرثوذكسيَّة هي أيضًا (كاثوليكيَّة) أي جامعة لأنَّها احتَفَظَت بتمام صِحَّة إيمان المسيح والمسيحيِّين الأوائل. إنَّها تُمسك بإيمان، لا جماعة مِن الناس، ولكن بإيمان الكنيسة (الكاثوليكيَّة) الجامعة.

رَسوليَّة:

إنَّ الكنيسة رسوليَّة لأنَّها تُعلِّم ما عَلَّمه الرُسُل، وتستَشِف وجودها وتَعزوه تاريخيًّا مِن خلال رسامة الأساقفة الذين يعودون مباشَرة إلى الرسل ومِن ثمَّ إلى المسيح، وهذا هو ما نُسمِّيه "الخلافة الرسوليَّة". إنَّه ضمان أنَّ كنيستنا أصيلة، إذ المسيح أسَّسها من خلال الرسل، ويُمكِن إثبات ذلك تاريخيًّا. ليست جميع الكنائس رسوليَّة، البعض أسَّسها بعض الناس، ولكن ليست الكنيسة الأُرثوذكسيَّة هكذا. إنَّ رِباطها بتلك الأيَّام الأُولى في الناصِرة والجليل لم يَنقطِع أبدًا.

coptic-books.blogspot.com

مَن هي الكنيسة؟

اعتَقَد اليهود الأوائل أنَّ الله يسكُن في تابوت، وسمَّوهُ تابوت العهد. إنَّهم كانوا يحملون التابوت معهم باستمرار. كان التابوت يَحوي طبعًا الحجرين اللذين كَتَب الله عليهما الوصايا العشر، ولم يكُن لأحدٍ إطلاقًا أن يلمس هذا الصندوق المُقَدَّس، وقد حَدَث عن غير قصد أن لَمَسه شخصٌ فمات في الحال. وفي مَرَّة أُخرى عندما استَحوَذ الفلسطينيُّون عليه، فإنَّ اليهود شَعَروا أنَّ نهايتهم قد أتت لأنَّهم فقدوا إلههم! وفي وقت لاحق فإنَّهم صنعوا خيمة لتكون بيتًا للتابوت. ثمَّ بنى سليمان بعد ذلك هيكَله الشهير في أورشليم، حيث وَضَع هناك التابوت في قُدس الأقداس.

يكتُب ر. ل. بروكبرجر R. L. Bruckberger ويقول: "عاش الله أثناء ترحال الشعب في العهد القديم في مظلَّة، في خيمة، وكان عامود النار يقف فوقها أثناء الليل مُظهِرًا لكل عين مجد حضرته البهي والرُعب في نفس الوقت. وعندما استقَرّ الشعب في أرض الموعد، استمرَّ الله لمُدَّة طويلة راضيًا وقانعًا بالخيمة بجوار قصر الملك ومنازل الناس. وبنوعٍ من عدم الرِضا والأَسَى قَبِل أن يُغادِر الخيمة إلى الهيكل العظيم الذي بناه سليمان".

ومنذ شيَّد سليمان الهيكل ليضع فيه محتويات الخيمة، كان لَدَى الشعب انطباع بأنَّ الكنيسة هي المبنى، إلاَّ أنَّ سليمان عندما دشَّن الهيكل، قال في صلاة التدشين: «.. *لأنَّه هل يسكن الله حقًّا مع الإنسان على الأرض؟ هوذا السماوات وسماء السماوات لا تَسَعكَ، فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت*» (٢أخ ٦: ١٨). كيف لله أن يحتويه مَبنَى، بينما العالَم كله ليس كافيًا أن يَسعه؟ هل أدرَكَ سليمان أنَّ الله لا يُمكِن أن يُصَنْدَق في منزل مهما كان اتِّساع المنزل وفخامته؟إنَّ الله موجود في كل مكان: في الشوارع، في المصانع، في المدارس، في الطُرُق النائية، في

coptic-books.blogspot.com

حجرات المنازل. إنَّه ليس في حاجة إلى هيكل أو إلى كنيسة، لأنَّ العالَم بأسره هو كنيسته.

إنَّ الله ليس في احتياج إلى هذا المبنى الذي نُسمِّيه الكنيسة، ولكن نحن الذين في احتياج إلى ذلك. نحن في احتياج إلى أماكِن تُخصَّص وتُكرَّس لله، حيث يتقابل الناس معًا بهدف واحِد هو رَفع الحَمد والثناء والمجد لله وطَلَب معرفة مشيئته. يَدَّعي الناس كثيرًا أنَّهم في غنى عن المباني المُخَصَّصة للكنائس، ويقولون إنَّه يمكنهم عبادة الله خارِج الأبواب وفي الطريق إلى ملعب الجولف. ولكن في الحقيقة هذا ادِّعاء لا يحدُث. مَن مِنَّا رأى شخصًا يركع في صلاة في الطريق إلى ملعب الجولف؟

إنَّنا في احتياج إلى دور عبادة حيث كل شيء موجود فيها: الأيقونات، الترانيم، الملابس، الهندسة الكنسيَّة، الكأس، الصينيَّة، العظة، البخور، الشموع .. إلخ، لتساعدنا على العبادة، لأنَّ كلها تتمركز في الله وتجعله هدف الصلاة. دُعيَت امرأة إلى كنيسة ذات يوم فتساءَلَت: "هل سوف يَحضَر رئيس الجمهوريَّة إلى كنيستكم غدًا؟" فكانت الإجابة: "لسنا نَعلَم ما إذا كان الرئيس سوف يَحضَر أم لا، ولكننا نَعلَم أنَّ الله سوف يكون موجودًا". حقًّا إنَّ الله حاضر في القُدَّاس في الكنيسة، وهو يتكلَّم مِن خلال القراءات الكنسيَّة، ويهبنا نفسه من خلال سرّ التناول المُقدَّس، حقًّا إنَّ الكنيسة هي بيته، ولكن الخَطَر الذي يُحيط دائمًا بنا هو أن نحدَّ الله في هيكله ونحبسه فيه ونظن أنَّ هذا هو المكان الوحيد الذي يوجَد فيه الله، أو أنَّ هذا فقط هو بيته. إنَّ الأمر ليس هكذا.

شَعبُ الله :

إنَّ الله الذي عاش في القديم مع شعبه في خيمة، نَصَب خيمته في

coptic-books.blogspot.com

العهد الجديد في شخص. هذا هو المعني الحرفي للكلمة اليونانيَّة: "اسكينوز eskinose"، أي حَلَّ بيننا، والنصّ يقول: «*والكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب*» (يو ١: ١٤). وكما يقول ر. ل. بروكبرجر: "إنَّ الله قد ارتَحَل مِن هيكل أُورشليم إلى طبيعة يسوع البَشَرِيَّة كما انتقل قديمًا مِن الخيمة إلى هيكل سليمان".

ويسوع هذا بنفسه أتى بدوره لينصِّب ويُقيم خيمته فينا وبيننا مِن خلال سرّ التناول العظيم: «*مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فِيَّ وأنا فيه*» (يو ٦: ٥٦)، ومِن خلال سرّ التثبيت (المسحة أو الميرون) نحن نَقبَل الله الروح القُدُس في داخلنا، هذا الذي جَعَلَ القدِّيس بولس يقول: «*أما تَعلَمون أنَّكم هيكل الله وروح الله يسكُن فيكم؟*» (١كو ٣: ١٦).

فالكنيسة ليست إذًا هي مُجرَّد بناء، إنَّها أيضًا الشعب الذي يسكن الله بينه. إنَّ الكنيسة ليست مُجَرَّد بيت الله، ولكنها أكثر مِن هذا، إنَّها بيت شعب الله. الشعب هو الكنيسة. لم تكُن توجَد أبنية للكنائس في القُرون الثلاثة الأُولى للمسيحيَّة بسبب الاضطهادات، وَكان المسيحيُّون يعبدون المسيح في السراديب، ومع ذلك فقد كانت الكنيسة موجودة ونَشِطة وكانت تنمو بالرغم مِن عدم وجود مبانٍ للكنائس، لأنَّ الكنيسة هي شعب الله. كذلك أتت فترة كان المسيحيُّونَ الأوائل فيها يعبدون المسيح في منازلهم الخاصَّة، فالكنيسة لا تُحدّ ببناء خاص. إنْ نُقِضَ مبنى كنيستك، فهذا لا يعني أنَّ كنيستك توقَّفَت عن أن تكون موجودة، فأنتم المسيحيِّين المُعتَمِدين هم الكنيسة، لأنكم تقدرون أن تعبدوا في منازلكم أو في أي قاعة أو أن تشيدوا مبنى آخَر. فبالأساس الكنيسة ليست مبنى، إنَّها الشعب الذي يستجيب لدعوة الله ويجتَمِع كل يوم أحَد في اسمه.

coptic-books.blogspot.com

اختار الله في العهد القديم اليهود ليكونوا شعبه. إنَّهم شَكَّلوا جماعة جديدة حتى يُمكِن مِن خلالها أن يُخَلِّص العالَم. الله أعلَن شخصه لهم حتى يُعلِنوه بدورهم للأُمم الأُخرى، وعندما رَفَض إسرائيل القديم أن يُؤمِن بيسوع أنَّه المسيَّا الموعود به، فإنَّ الله دعا الكنيسة: "إسرائيل الجديد"، الشعب الجديد المُختار، الجماعة المُخلَّصة الجديدة التي صار مِن واجبها أن تنشر: "الأنباء السارة" المُختصَّة بما فَعَلَه الله في المسيح لكل الناس الذين على وجه البسيطة. إننا نحن هذا الشعب، وبالتالي صِرنا الكنيسة، خيمة حضور الله الخلاصي في العالَم: «*وأمَّا أنتم فجنس مُختار، وكهنوت ملوكي، أُمَّة مُقَدَّسة، شَعب اقتناء، لكي تُخبِروا بفضائل الذي دعاكم مِن الظلمة إلى نوره العجيب*» (١بط ٢: ٩). إنَّ الكائنات البشريَّة وليست الحجارة ولا الملاط هي رمز حضور الله في العالَم. إنَّ الله اختار الإنسان نفسه ليكون هيكلاً خاصًّا له.

ولكن ماذا تعني عبارة شعب الله؟ أنصِت إلى ما يقوله القدِّيس بولس: «*فالبسوا كمُختاري الله القدِّيسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفًا وتواضُعًا ووداعة وطول أناة، مُحتَملين بعضكم بعضًا ومُسامحين بعضكم بعضًا إن كان لأحد على أحَد شكوى. كما غَفَر لكم المسيح هكذا أنتم أيضًا. وعلى جميع هذه البسوا المحَبَّة التي هي رباط الكمال. وليملك في قلوبكم سلام الله الذي إليه دُعيتم في جسد واحِد وكونوا شاكِرين. لتسكُن فيكم كلمة المسيح بغِنى*» (كو ٣: ١٢-١٦).

بناء الكنيسة:

قارَن القدِّيس بولس الكنيسة بمبنَى وبناء، حجر الزاوية فيه هو يسوع (أف ٢: ٢٠-٢٢)، والأساس يتكوَّن مِن الرسل والأنبياء (أف ٢: ٢٠)، و"الحجارة الحيَّة" التي يُقام عليها البناء هم المُؤمنون.

coptic-books.blogspot.com

إنَّ صورة الكنيسة كبناء ويسوع حجر الزاوية فيه يُعيد إلى أذهاننا ما قاله منذ زمان واحدٌ من ملوك أسبارطة:

كان يُظَنّ أنَّه لا توجَد أُمَّة في العالَم لها أسوار مثل أسبارطة، وحَدَث أن جاء أحد الزائرين إلى أسبارطة فلم يجِد فيها أيَّة أسوار، فسَأَل الملك أين الأسوار؟ أشار الملك إلى جماعة من الجنود البواسل وقال: "هؤلاء هم أسوار أسبارطة، وكلّ واحد منهم مثل حجر". هكذا الحال مع كل مسيحي، إنَّه مدعو ليكون حجرًا حيًّا في بنيان الكنيسة.

قال يسوع في سِفر الرؤيا: «*مَن يَغلب فسأجعله عامودًا في هيكل إلهي*» (رؤ ٣: ١٢). اعتادوا في غابر الزمن عندما ينهي أحد القادة سِني خدمته أن يُكَرِّموه بأعظم تكريم بأن يُشَيِّدوا عامودًا باسمه في معابد الأوثان. وأحيانًا تكون تلك الأعمدة نحتًا حقيقيًّا للأشخاص الذين يُكَرَّمون كما هو الحال في: "رواق العذارى على الأكروبول". إنَّهم كما لو كانوا يَرفعون بالفعل أسوار وسطح الهيكل ويمسكون به. كل واحد منَّا مَدعوٌّ ليكون عامودًا حيًّا في كنيسة المسيح، يُؤدِّي نصيبه الموكولَ إليه ليَرفَع خيمة شهادة الله في العالَم.

جَسَد المسيح

وضَّحنا سابقًا أنَّ الكنيسة هي شيء أكثَر من كونها بناء. إنَّها شعب الله. وكشعب الله، فإننا نُكوِّن اليوم جسد المسيح النشِط في العالَم. إننا طُعِّمنا بالمعموديَّة في جسد المسيح وصرنا أعضاءً له، وبالتناول نحن ننال جسد المسيح ودمه، وهكذا يتكوَّن جسد المسيح: «*نحن الكثيرين خُبزة واحدة، جسد واحد، لأنَّنا جميعًا نشتَرِك في الخُبزة الواحدة*» (١كو ١٠: ١٧). وكما كان المسيح حاضِرًا في العالَم في جسده الطبيعي لمدة ثلاث وثلاثين سَنَة، هكذا الآن المسيح يستمر مِن خلال وجوده فينا، نحن

coptic-books.blogspot.com

جسده السرِّي الذي يسكن فيه، لأننا كما قال الكتاب:

«فإنَّكم أنتم هيكل الله الحي،
إنِّي سأسكُن فيهم وأسير بينهم،
وأكون لهم إلهًا،
وهم يكونون لي شعبًا.
لذلك اخرجوا من وسطهم واعتَزلوا يقول الرب،
ولا تمسُّوا نجسًا فأقبَلكم،
وأكون لكم أبًا وأنتم تكونون لي بنين وبنات،
يقول الرب القادرِ على كل شيء.»

(٢كو ٦: ١٦-١٨)

هذا كله يعني أن المسيح يَعتَمد على الكنيسة، وكما يقول القـــدِّيس يوحنا ذهبي الفم: "كَم هي محبَّةَ المسيح للكنيسة، حتى إنَّه يَعتَبر نفســه كما لو كان غير كامِل إن لَمْ يُوَحِّد الكنيسة بشخصه كجسده الخاص". هذا يعني أننا آلات يعمَل المسيح مِن خلالها في العالَم اليوم، وكما كَتَبَ الأديب آني جونسون فلنت Annie Johnson Flint:

"ليس له أيد،
ولكن أيادينا تَعمَل معه اليوم.
ليس له أرجُل،
ولكن أقدامنا تهدي الناس إلى طريقه.
ليس له صوت،
ولكن أصواتنا تُخبِر الناس كيف مات.
ليس له مُعين،
ولكن نحن عونُه لنجذِب الناس إلى جانبه".

coptic-books.blogspot.com

يقول بعض الناس بعدَ أن يُصابوا بأمراضٍ خطيرة أو تلمُّ بهم مآسي الحياة: "لستُ أَعلَم كيف كنتُ سأتصرَّف بدون الكنيسة". طبعًا إنَّ هؤلاء الناس لا يقصدون مبنى الكنيسة ولكن جماعة المؤمنين الذين هم جسد المسيح. الكنيسة صارت جسدًا وهؤلاء الناس أصبحوا في حاجة إلى قُوَّتها، كما أنَّ أعضاءها قد ارتبطوا أيضًا ببعض بالصلاة، بالمراسلات عن طريق الخطابات والكروت، بالزيارات، وهكذا يصير المسيح قادرًا على توصيل التعزية والشفاء مِن خلال أعضاءِ جسده. إنَّهم أذرع المسيح التي يمكن للشخص المحتاج إليها أن يتَّكئ عليها. إنَّهم أقدام المسيح التي تزور الذين في حاجة إلى راحة وعزاء. إنَّهم صوت المسيح الذي يُعزِّي بكلمات الحياة الأبديَّة. إنَّهم أيدي المسيح التي تَصِل إلى مَن هو في ساعة احتياج. إن كان هؤلاء الأعضاء كثيرين، إلاَّ إنَّهم واحِدٌ، جسد المسيح، الكنيسة الخادِمة.

اختار الله في العهد القديم "شعبًا" و"أُمَّة"، لتُتَمِّم ما يريد أن يعمَله في تاريخ البشريَّة، ومع ذلك فهو لا يزال في احتياج إلى جماعة عَمَل، إلى قوَّة تُكمِّل ما هو منوطٌ بها أن تَعمَله. هذه هي الكنيسة التي من واجباتها أن تُعِدّ شعب الله مِن الإكليريكيِّين والعِلمانيِّين معًا ليُنجِزوا عمله في العالَم.

توجَد قصَّة قديمة توجِز هذه الحقيقة العُظمَى عن الكنيسة. تحكي أُسطورة قديمة كيف أنَّ يسوع عاد إلى السماء بعد أن أكمل عمله على الأرض، وكان في السماء لا يزال يَحمِل علامات الآلام الشديدة التي كابَدَها على الصليب. سأل الملاك جبرائيل الرب وقال له: "سيِّدي، لابد أنَّك قاسيتَ آلامًا مُروِّعة مِن أجل الإنسان على الأرض"، فأجابه يسوع: "نعم". سأله جبرائيل ثانية: "هل يَعلَم جميع البشر كَم أحببتهم وكَم عملتَ لأجل خلاصهم؟" فأجابه يسوع: "أوه! ليس بعد، إلى الآن قليلون جِدًّا في فلسطين هم الذين يُدرِكون ذلك". قال له جبرائيل: "وكيف

coptic-books.blogspot.com

يَعرف العالَم كله ما فَعَلته لهم؟" فأجابه يسوع: "طَلبتُ مِن بطرس ويعقوب ويوحنا وقليلين آخَرين أن يكون جلّ عملهم في حياتهم أن يُخبِروا الآخَرين عنّي، وهؤلاء بدورهم يُبلّغون آخَرين، وهكذا إلى أن يَعرف كل واحد في العالَم ما عملتُه". أمَّا الملاك جبرائيل إذ كان يَعرف قوام الضعف البشري، فإنَّه نَظَر بشكٍّ شديد وقال: "نعم ولكن ماذا يكون الحال إن كَلَّ بطرس ويوحنا؟ وإن نسي الناس الآتون مِن بعدهم الرسالة؟ وإن لم يوجَد في القرن الحادي والعشرين قومٌ يُخبِرون آخَرين عنك؟ ماذا تكون مُخَطَّطاتك الأُخرى لتعريف الناس بك؟" أجاب يسوع: "لا توجَد لديَّ أيَّةَ مُخطَّطات أُخرى. أنا مُعتمِدٌ عليهم تمامًا". أن نقول عن أنفسنا إنَّنا نحن المؤمنين جسد المسيح، فهذا يعني أنَّ الله يَعتمِد علينا، وعلينا فقط، أن نُكمِل عمله اليوم في العالَم.

عليكَ أنتَ أن تكون الكنيسة

جَلِيٌّ إذن أنَّ الكنيسة هي شيءٌ أكثر مِن البناء. إنَّها شَعب، جماعة مؤمنين، شعبٌ سلَّم حياته لله، شعبٌ يسكن المسيح فيه ويعيش في وسطه، شعبٌ يصغي ويطيع صوت الله، أُناسٌ سلَّموا حياتهم بالحقيقة للمسيح كسيِّد عليهم، شعبٌ له علاقة شخصيَّة به وصلوات خاصَّة معه. إنَّ أقدس لحظة للخدمة في الكنيسة هي تلك التي، بعد أن يتقوَّى الشعب فيها بالتعليم والأسرار، يمضي خارج أبواب الكنيسة إلى العالَم ليصير هو الكنيسة. نحن لا نذهب فقط إلى الكنيسة، بل نحن نكون الكنيسة.

تحدَّث شاب مع راعي كنيسته بخصوص اهتداء شاب آخَر يقيم معه في عنبر النوم في الجامعة، وكان هذا الشاب الأخير لا يؤمن بالله. سأل الطالبُ الراعيَ وقال له: "كيف يمكنني أن أجعَل هذا الشاب يَذهب إلى الكنيسة ليجِد هناك الراحة ويستمد منها المعونة والسلام؟" أجابه الراعي:

coptic-books.blogspot.com

"لا تحاول أن تَذهَب به إلى الكنيسة، فمن المُحتَمَل أن يَرفض، ولكن دَع الكنيسة تَذهَب إليه! كُن أنتَ له كنيسة أينما تتقابَل معه: في حجرة غسيل الملابس، في قاعة المحاضَرات، في عنبر النوم، في الملعَب، في المخزن، في حجرة الطعام. أنتَ هو الكنيسة لصديقك الطالب هذا".

إن الهدَف من ذهابنا إلى الكنيسة كل يوم أحد هو أن ننصت إلى المسيح، وأن نُمجِّده ونحمده، وأن نناله داخلنا في سر التناول. كل هذا حتى نخرج إلى العالَم ونكون كنيسة للمسيح بقيَّة أيام الأسبوع.

يقول لاهوتي:

"عندما تبدأ في أن تكون كنيسة،
توقَّف عن أن تَجعَل الكنيسة مكانًا تَذهب إليه،
بل اجعلها شيئًا موجودًا حيًّا فيك".

دعنا نتمعَّن في السؤال: "أين تقع كنيسة مار جرجس؟" قد تكون الإجابة: "في العنوان الفلاني". هذه إجابة صحيحة جُزئيًا عن المكان الذي تقع فيه الكنيسة. ولكن لا تزال توجَد إجابة أفضَل وهي أن كنيسة مار جرجس تكون حيث يكون شعب مار جرجس. عندما تكون في المترل فأنتَ كنيسة في مترلك، وعندما تكون في العَمَل فأنتَ الكنيسة في مكان عَمَلك، في السوبر ماركت، في المدرسة، في المكتَب، في المطعم، في الشوارِع المُزدحِمة. هنا المكان الحقيقي الذي تقع فيه كنيسة مار جرجس طوال الأسبوع. الكنيسة توجَد حيثما توجَد أنت. ألقى الكاهن الشهير والمحبوب جدًّا لرعيَّته مالتبي بابكوك Maltbie Babcock عظة عنوانها: "كوارتس الأخ". بُنِيَت هذه العظة الشهيرة على قول بولس الرسول: «*يُسلِّم عليكم .. كوارتس الأخ*» (رو ١٥: ٢٣). ألقى هذا الواعِظ هذه

coptic-books.blogspot.com

العظة الرنَّانة إلى أعضاء كنيسته وقال فيها: ''يا أحبَّائي، إنَّ يسوع المسيح الذي ندين له بحياتنا يُرسلنا إلى الخارج لنعمَل عمَله في العالَم. يجب أن نكون أياديه وأرجله. كيف سيعرف العالَم مِن يسوع الأخبار السارة عن الغفران والرجاء والقوَّة والعزاء والمحبَّة؟ كيف يعيش الناس حياة البنويَّة والصداقة والأخويَّة؟ يقول السيِّد: "أنتم شهودي، ها قد أرسلتكم"، إنَّها إرساليتكم لتنوبوا عن السيِّد. مَن يستطيع أن يذهَب إلى المخازن، إلى البنوك، المستشفيات، المدارِس، الجامعات، المصانِع، مكاتب العمَل، المحاكِم؟ مَن يقدِر أن يدخُل إلى منازلنا كلها؟ مَن يقدر أن يذهَب إلى مجالِس العمَل أو اجتماعات رؤساء الأموال أو السياسيِّين؟ مَن يقدِر أن يذهَب ليحضَر اجتماعات القادة والمديرين؟ مَن الذي يعرف كلمة السرّ؟ مَن الذي يعرِف الطريق؟ إنَّه كوارتس الأخ! كوارتس الأخ هو الذي يمكنه أن يذهب في كل مكان. إنَّه يستطيع أن يدخل في كل قسم مِن الحياة: قانوني أو سياسي أو تجاري أو تعليمي أو اجتماعي.. كما يمكنه أن يأخُذ مكانه هناك ويقول ماذا يُفكِّر، ويُدلي بصوته بحُرِّية كما يعتقد، إنَّه يستطيع أن يقف كـ"شاهد أمين" وكما يليق بأخ أمين يُرحِّب بالصواب ويلفظ الخطأ، وإن وَجَد شيئًا رديًّا يقول إنَّه رديء، وإن وُجِد شيء جيِّد يقول عنه إنه جيِّد. إنَّه يُوَبِّخ طُرُق الأعمال الغاشَّة الفاسدة ويُنذِر: إما أن تَقلَع الشر أو تتنحَّى. الأخ كوارتس يعِظ: كُن حبَّة ملح، شعاع نور، أسنِد الضعيف، تعاطَف مع المُترعِج، وكُن مثل أخ يعيش: يُساند الصواب، ويُقاوِم الخطأ ويتطلَّع نحو الصلاح الذي يُمكِن أن يُفعَل، الآن وعلى المدى البعيد''.

هذه هي إرساليَّة الكنيسة مِن خلال علمانيِّيها، ولكن كيف يُمكِن لكوارتس العلماني أن يَعمَل عمله خارِج الكنيسة إن لم يكن قد أكمله

coptic-books.blogspot.com

أولاً داخلها، حيث يُمسِك برؤية الله وبالإلهام للخدمة. إنَّ السبب الذي لأجله نبني كنيسة، ونحضر إلى الكنيسة، ونُدعِّم احتياجات الكنيسة الماديَّة، ونخدم الكنيسة، إنَّما هو لأجل أن نخرج مِن الكنيسة ونصبَح نحن الكنيسة أينما نكون. الكنيسة ليست فقط أن نأخذ الله بل أيضًا أن نُشِعَّ الله.

كان هناك مشهَدًا في فيلم: "على جبهة المياه" يُرى فيه رجُل وهو يُضرَب بعنف لأنَّه فَشَل في اتِّباع قوانين العصابة. أُلقي بالرجُل على الأرض وهو يرتعش وسط دائرة من الرجال وهم ساكنون وخائفون مِن التدخُّل أو التحرُّك. وفجأة إذا بكاهن يندفع إليه مِن وسط الجمع، فقال له رئيس العصابة: "أيُّها الأب، عُد إلى كنيستكَ التي أتيتَ منها"، فأجابه الكاهن (مشيراً إلى المجروح): "هذا هو كنيستي"، ثمّ إنَّه اختطَّ طريقه نحو الرجُل ليمسح الدم مِن على وجهه.

منظران للكنيسة

كانت توجَد كنيسة لها واجهتان، الواجهة الأمامية كانت عظيمة وفخمة جدًّا وكانت تطلُّ على شارع عريض مُشجَّرٍ جميل. أمَّا الواجهة الخلفيَّة فكانت قبيحة جدًّا وكانت تطلّ على مكان تُلقى فيه نفايات الصفائح ومُخلَّفات المباني. كان رعاة الكنيسة يقولون للمؤمنين: "لا تنظُروا إلى تلكَ الطَريق، بل انظروا إلى هذه".

أمَّا الكنيسة فقد دعاها الله لتنظُر من الاتجاهين، تنظُر أوَّلاً إلى المسيح، الوجه المُلهِم، ومِن هذا الاتجاه تأخُذ الحثّ والدفع والقوَّة لتنظِّف نفايات صفائح العالَم.

قال حَدَثٌ وهو في السجن للكاهن: "عشتُ كل حياتي في مترل بجوار الكنيسة مباشَرة، وكان والدي سِكِّيرًا يعود إلى المترل ويضرب أمِّي

coptic-books.blogspot.com

ويضربني أنا وإخوتي ويتركنا بلا طعام ولا دِفء، ولم يزرنا واحد مِن خُدَّام الكنيسة المُلاصِقة لمنزلنا، ليُبيِّن لنا أنَّه يهتم بنا".

يتساءل الكاتب هالفورد لوكُك Halford Luccock: "ماذا تظن في طاقم محطَّة إنقاذ السفن عندما يولون كل اهتمامهم للمحطَّة ذاتها، ليجعلوا النقوش والمباني والأرضيَّات جذَّابة، وهي مُحاطة بالحدائق، ومُنسَّقة بانتظام واهتمام، ويلحقون بها موسيقي سارَّة ولطيفة، ثمَّ يغلقون الأبواب ويمنعون دخول الذين يستغيثون بسبب تكسُّر السفن على الصخور وهدير الأمواج العالية، ويتسبَّبون في هلاك الناس والسفن بسبب تحطُّمها على الصخور؟ سوف تقول لي: هذا غير معقول. ولكن أليسَ هذا ما يحدُث في الكنيسة؟ الكنيسة مِن الداخِل مُزدانة بالزخارف والمواد الجميلة، بينما حال الذين في الخارِج والمحتاجين إلى خلاص المسيح يُرثى لها، فيكونون مُهمَلين أو منسيِّين أو ثانويِّين في اهتمامات الكنيسة بالنسبة للأُمور الأُخرى؟ الكنيسة ليست جماعة واقِفة على شُرفة مَصيَف بل الكنيسة طاقِم إنقاذ".

يَرَى النبي حَزقيال رؤيا عن نهر الحياة، إنَّه نهر يَجري مِن مذبح الهيكل إلى العالَم، وكلما يجري النهر، كلما يُصبِح عميقًا فأعمق، وكنتيجة لذلك فإنَّ مياه البَحر الميِّت الراكِدة تتجدَّد ويحتَشِد السَمَك المُندَفِع. حيثما يُوجد النهر توجَد حياة وينبت الشجر وتنمو المزروعات. ماذا يكون هذا إلاَّ صورة مِن أنهار البَرَكات التي تَجري مِن الكنيسة وتصُب في العالَم؟ ماذا يكون هذا إلاَّ صورة للتجديد والإنعاش والحياة التي يُريد المسيح أن تَصِل إلى العالَم عن طريق كنيسته، أي مِن خلال شعبه، أعضاء جسده، جماعة الإنقاذ المُنتَمِيَة إليه (راجِع: حز ٤٧: ١ و٢ و٦-١٢). يحدُث كثيرًا أنَّ أَعضاءً مِن جَسد المسيح يقودون حملات

coptic-books.blogspot.com

جَمع أموال لحالات المجاعات والأوبئة في العالَم، وكثير مِن المسيحيِّين يفتحون قلوبهم ويتبرَّعون بسخاء بملايين الدولارات لإطعام الجائعين والمنكوبين باسم المسيح. هذه إنَّما هي أمثلة للتجديد والإنعاش الذي يمكنه أن يَجري في العالَم مِن خلال مذبَح الله.

المراؤون في الكنيسة:

مِن الأعذار الشائعة التي تُسبِّب عدم الارتباط بالكنيسة هو كونها ممتلئة بالمرائين. حسنًا! يمكننا دائمًا أن نقول لهؤلاء الناس إنَّ الكنيسة حقيقة ليست فقط هي هذا الحشد مِن المرائين، لأنه يوجَد أيضًا مكان للآخَرين العابدين الحقيقيِّين. ولكن إن تَرَكنا كل دعابة ومزاح وهزء خارجًا، فإننا سنَعلَم أيضًا أنَّ الكنيسة لم تكُن يومًا متحفًا يُعرض فيه الأشخاص الكاملون. المقصود مِن الكنيسة أن تكون مستَشفى لشفاء المرضى روحيًّا، الذين يجِدون في يسوع طبيبًا روحيًّا: «*لم يأتِ ليدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة*» (مت ٩: ١٣). الشخص الذي يقول عن الآخَرين إنَّهم مُراؤون ويرفض أن يَرتبِط بآخَرين أقلّ نقاوة منه هو شخصٌ مُذنب بخطيَّة الكبرياء، ولا يُريد أن تكون الكنيسة إلاَّ جماعة مِن (الأبرار!) أمثاله. ربَّما يكون هذا الشخص أكثَر مِن مُراءٍ بادِّعائه أنَّه أفضَل مِن الآخَرين. على العموم الله وحده هو الذي يَعلَم مِن هو المُرائي ومَن الذي ليس هكذا. لا يجِب علينا أن نتجرَّأ ونأخُذ دور الله بأن نَصف أي إنسان وأن ندينه. الحقيقة هي أننا نعيش في عالَم خاطئ، والخطاة والمراؤون موجودون في كل مكان، ومع ذلك فنحن نستمر في الحياة والعَمَل في هذا العالَم الناقِص. إنَّنا لا نعتزل عنه ولا ننسحِب منه. مَن منَّا سمع يومًا عن شخص حُبِس في بناء يحتَرِق ثمَّ رَفض أن يقفز في شبكة رجال الإطفاء لأنَّه ظنَّ أنَّ الذين يمسكون الشبَكَة هم أُناسٌ مُراؤون؟

coptic-books.blogspot.com

الكنيسة مَصدَر قُوَّة

قال العالِم الطبيعي جون بوروجز John Burroughs: "إنِّي أذهب إلى الكَنيسة لأجد نفسي". مِن السهل بمكان أن يفقد الإنسان نفسه في العالَم. نحن الذين يمكن أن نضِل بسهولة نذهَب إلى الكنيسة لنوجَد. نحن الذين نُخطئ كثيرًا نذهب إلى الكنيسة لننال الغُفران. نحن الذين نُسحَق كثيرًا نذهب إلى الكنيسة لننال الشفاء. في الكنيسة يوجَد الغُفران والشفاء لأنَّ المسيح فيها. كان للمُرنِّم مُشكلة بدا له أنَّ لا حَلَّ لها، حتى دَخَل أقداس الله حيث وَجَد الإجابة: «*فلمَّا قَصَدتُ معرفة هذا إذا هو تَعَبٌ في عينيَّ، حتى دَخَلتُ مقادِس الله وانتبهتُ إلى آخِرتهم*» (مز ٧٣: ١٦ و١٧).

كَتَبَت الأديبة الروسيَّة نينا فيدوروفا Nina Fedorva عن المهاجرين الروس بعد أن حطُّوا في مدينة صينيَّة، وتكلَّمَت بخصوص جدَّتها فقالت:

"ارتَدَت جدَّتي ملابسها ببطء وذَهَبَت إلى الكنيسة، وكالمعتاد، فإنَّها تَرَكَت المنزل وهي فاتِرة ومُجهَدة وعادت وهي هادئة ونشيطة وجادَّة، وبِوجه مُضيء.. ونفس المسيح الذي كان يتطلَّع إلى جدَّتي في روسيا هو نفسه المسيح الوحيد الذي يتطلَّع إليها في الصين، وظلَّ كما هو. نعم في هذا العالَم الدائم التغيُّر، يظل يسوع كما هو، وهو يتكلَّم إلى جدَّتي بنفس كلمات التشجيع والعزاء، وهو نفسه الذي يُعطي نفس المواعيد، ومِن نبع حبّه الذي لا ينضب كانت تَشرَب بسرور وبحُرِّيَّة، ولم يفرغ النبع أبدًا، كان دائمًا مُتَدَفِّقًا لجميع الذين يتنازلون وينحَنون ليشربوا منه".

قال شخص يزور ألمانيا الغربية بعد الحرب العالميَّة الثانية إنَّه عند زيارته للمُدُن التي قصَفتها القنابِل لاحَظَ أن الناس يجمعون الطوب ويحملونه من الأدوار السفلى للمباني المفجوعة المهدَّمة، لا لكي يبنوا مصانع أو ليستَعيدوا اقتصادهم، ولكن لكي يبنوا كنائس. وعندما سألهم لماذا يفعلون

coptic-books.blogspot.com

ذلك، كانت الإجابة: ”نحن نبني الكنائس أولاً، لأنَّ فيها سوف يجِد شعبنا روح إعادة البناء“.

إنَّ الكنيسة هي مَصدَر القوَّة ونبعها، لأنَّها ليست إلاَّ المسيح الذي يبسط قوَّته على امتداد الزمان والمكان، في الكنيسة يستمر وجود المسيح معنا، وفيها يستمر أن يقول لنا: «*تعالوا إليَّ يا جميع المُتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكُم*» (مت ١١: ٢٨).

توجَد أُسطورة عن زكا العشار جابي الضرائب غير الأمين والذي دعاه يسوع مِن فوق شجرة الجميز ليأكل عنده، وهو الذي تحوَّل إلى الإيمان بالرب مِن خلال مقابلة شخصيَّة مع السيِّد. تقول القصَّة إنَّه بعد أيام تالِية لمقابلته مع الرب، اعتاد أن يستيقِظ مُبكِّرًا ويحمل دَلوًا ممتلئًا بالماء ويذهب إلى شجرة الجميز هذه ويسقيها جيِّدًا. وذات مَرَّة تبعته زوجته وفاجأته بالسؤال: ”ماذا تَعمَل هنا؟ وما هو سر اهتمامك بشجرة قديمة مثل هذه؟“ أجابها زكا: ”هنا وجدتُ المسيحَ“. حقًّا إن الكنيسة هي المكان الذي نجد فيه المسيح، فيها نعتمِد، فيها نسمع كلمته، فيها يدخل ويسكن داخلنا عندما نتناول مِن الأسرار المُقدَّسة. لذلك نحن نهتم بالكنيسة ونُدعِّمها، نخرُج مِن العالَم يوم الأحد ونذهب إلى الكنيسة، لنعود نحن كنيسة إلى العالَم كل الأيَّام.

وختامًا نتذكَّر ما تعمله الكنيسة مِن أجلنا: إنَّها تُبارِك ميلادنا ودخولنا إلى العالَم منذ أوَّل يوم، ثمَّ تَفتَح لنا أبوابها بعد ٤٠ يومًا مِن ولادتنا. إنَّها تُعمِّدنا وتعطينا اسمًا جديدًا في المعموديَّة، وتُعَلِّمنا الإيمان بالمسيح المُخلِّص، وتُطعِّمنا بالجسد المُقدَّس والدم الكريم الذي لإلهنا، وتُكلِّلنا بتاج البَرَكَة عند زواجنا، وتقف بجوارنا في احتياجاتنا الماديَّة والروحيَّة، وتتحرَّك بسُرعة بالغة لتقف

coptic-books.blogspot.com

بجوارنا بسِر الحضور الإلهي عندما تَقرُب منا اللحظات الأخيرة، وأخيرًا تضع جسدنا المائت أمام المذبح المقدَّس لتُصلِّي أن يهدينا الله إلى ملكوته الأبدي إلى حيث: «*ما لم تر عين ولم تسمع أُذن ولم يخطُر على بال إنسان ما أعدَّه الله للذين يُحبُّونه*» (١كو ٢: ٩). ومع كل هذا فالكنيسة لا يقف اهتمامها بنا عند هذا الحدّ، عند القبر، بل تظلّ تتابعنا حتى بعد دفننا وموتنا، فتذكرنا في القداسات وتَرفع صلوات لأجلنا حتى انتهاء العالَم.

حقًّا إنَّ الكنيسة هي أم حنون مُحِبَّة، تأخذنا بين ذراعيها منذ يوم ميلادنا لكي تهدينا إلى ملكوت الله.

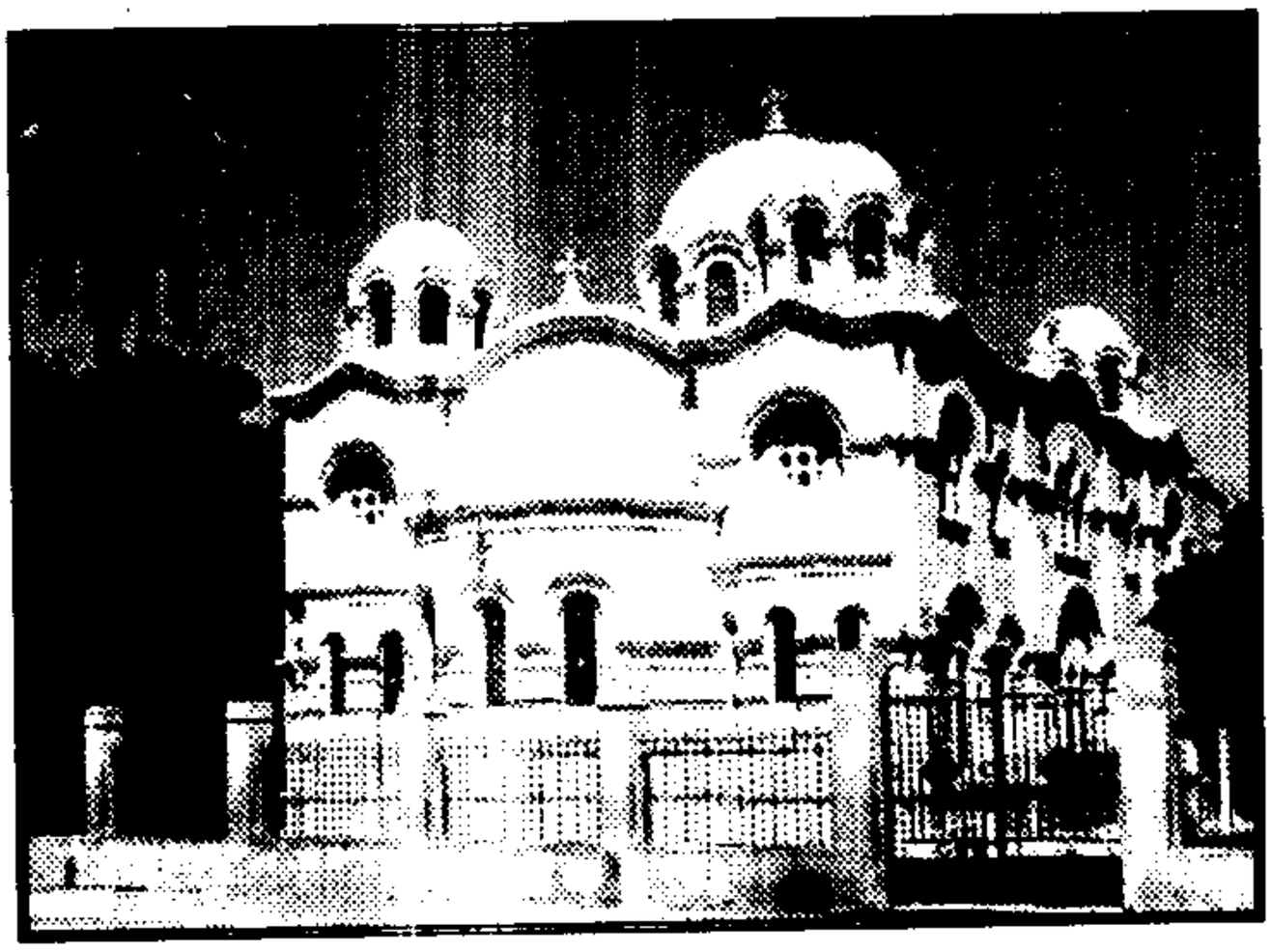

coptic-books.blogspot.com

وبمعموديَّة واحِدة لمغفِرة الخطايا

قد يُفاجئنا غير المؤمنين بسُؤال له مغزاه: "هل وَجدتَ يسوع؟" ليس مِن الأدَب أو مِن المُفيد أن نتفكَّه بكلمات لاذعة ونقول: "لم أكُن أدري أن يسوع ضائع!" ومع ذلك فالسؤال خَطأ مِن أوله إلى آخره. نحن لم نجِد يسوع، بل إنَّ يسوع هو الذي وَجَدَنا، ومنذ مدَّة طويلة، من قَبل أن يكتَمِل إدراكنا لشخصه. إنَّ يسوع وَجَدَنا ودعانا خاصَّته. هذا هو المعنى لكل ما يحدُث لنا عندما نعتَمِد ونحن أطفال. طويلاً مِن قبل أن نقدِر أن نُحِب الله كان هو قد أحبَّنا مِن خلال السِر العظيم: سِر المعموديَّة.

محبَّة الله السابقة والمُمتدَّة:

ظَهَرَت في مجلَّة قوميَّة صورة فوتوغرافيَّة تُبيِّن: "الدقائق الخمس الأولى الخطيرة للطِّفل". تُبيِّن الصورة يد أُم وهي تمتدّ إلى وليدها. الصورة تُبيِّن محبَّة الأُم وهي تحتضِن وليدها. نفس هذا الأمر يحدُث في كل مَرَّة يعتمد فيها طفل. إنَّ يد الله تمتد لتحتضِن الطفل وتمنحه قُبلة المحبَّة. إنَّه حُب إلهي ذاك الذي يقف بجوار سِر المعموديَّة.

لماذا يعتمد الأطفال؟

لماذا يعتمد الطفل بينما هو لا يعي ما يحدُث له؟ لماذا لا ننتظِر على الطفل حتى ينمو أوَّلاً ويُؤمِن بالمسيح ويطلُب بنفسه العماد؟ إن اتَّبَعنا هذا الخطّ مِن المنطق، فنحن لن نُطعِّم الطفل ضدّ الدفتريا حتى ينمو ثم يسأل عن ذلك بنفسه، ولكننا لا نفعل ذلك لأننا نَعلَم أفضَل مِن الطفل.

إنَّ عماد الأطفال قبل أن يَعرفوا ما يحدث لهم هو تعبير عن محبَّة الله الشديدة لنا. إنَّه تعبير يُرينا كم أنَّ الله يُحِبُّنا ويَقبَلُنا حتى وقَبل أن نَعرفه

coptic-books.blogspot.com

أو نُحبّه. إنَّه يُبيِّن أنَّنا شُغله الشاغِل ومدعاة حبّه منذ لحظة ميلادنا.

لا شيء يُبيِّن طبيعة نعمة الله أكثَر من معموديَّة الأطفال. يكتُب ج. إس. ويل J. S. Whale: "إنَّ المعموديَّة تُعلن أن المسيح صَنَع شيئًا لأجلي بدون أن يستشيرني أو ينتظِر موافقتي، فإنَّه قبل أن أُولَد أو أُفكِّر مات المسيح لأجلي وخلَّصني".

بعض طوائف المسيحيِّين مثل المعمدانيِّين يُجادلون ويُحاولون أن يُبَرهنوا أن المعموديَّة الشرعيَّة الوحيدة هي التي يُمارسها الشخص البالِغ المُؤمِن، وأنَّه لا قيمة لمعموديَّة طِفل لا حَوْل له، عُمره بضع أسابيع فقط، ولا يقدر أن يُبَرهن على إيمانه، وأن هذا الأمر لا معنى له ولا منفعة منه. نحن لا نُقَلِّل مِن أهميَّة الإيمان الشخصي للشخص البالِغ الذي يُريد المعموديَّة، ولكننا نُصمِّم أيضًا على التأكيد أنَّه فيما يخُصّ المعموديَّة، فإنَّ هذا الأمر لا يتعلَّق بماهية ما يفعله الطِفل أو الوالِدان أو الأشابين، ولكن بما يفعله الله. يقول رئيس الأساقفة تمبل Temple: "إنَّ معموديَّة الأطفال هي تعبير واضح عن حقيقة أننا لا نُصيِّر أنفسنا مسيحيِّين. إنَّ حقيقة أننا مسيحيُّون لا يتعلَّق بأي عَمَل مِن جهتنا، ولكنه هو استحقاق عَمَل الله في المسيح بالروح القُدُس لأجلنا".

إنَّ حصولنا على الجنسيَّة والمُواطَنَة للقُطر الذي نقيم فيه لا ينتظِر منا أن نبلُغ النضج والفهم والإدراك وقبول مُوافقة انتمائنا إلى هذا القُطر. إن الطِفل الذي يولَد في مصر يصبَح للتو مصريًّا ويصير له جميع حقوق ومُميّزات المُواطَنة منذ ميلاده دون انتظار، هكذا بالمثل تمامًا محبَّة الله التي تُقدَّم لنا عند عمادنا ونحن أطفال.

اعتاد شخص مسيحي أن يُعزِّي نفسه في أوقات الشكّ والضيق بأن

coptic-books.blogspot.com

يكتُب بحروف كبيرة وبخطٍّ واضح عبارة: ''لقد اعتَمَدتُ''. وكان يقصُد بهذه العبارة أن الله قبله وأن حُبَّ الله له لن يتغيَّر. إنَّني طِفل الله وابنه ولا يُمكِن لأي شيء أن يُغيِّر هذه الحقيقة، إنَّه سوف يعتني بي، إنَّني ملكه، إنَّني له، لا شيء يمكن أن يفصلني عن حُبِّهِ: «*فإنِّي مُتيَقِّن أنَّه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قُوَّات ولا أُمور حاضِرة ولا مُستقبَلة، ولا عُلو ولا عُمق ولا خليقة أُخرى تَقدِر أن تفصلنا عَن محَبَّة الله التي في المسيح يسوع ربنا*» (رو ٨: ٣٨ و٣٩).

تأسيس السرِ:

إنَّ ربنا يسوع المسيح هو الذي أسَّس سِر المعموديَّة: «*مَن آمَن واعتَمَد خلص*» (مر ١٦: ١٦)، «*فاذهبوا وتلمِذوا جميع الأُمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القُدُس ..*» (مت ٢٨: ١٩)، «*الحقّ الحقّ أقول لك، إن كان أحد لا يولَد مِن الماء والروح لا يَقدِر أن يدخُل ملكوت الله*» (يو ٣: ٥).

إنَّ النموذج الكبير لعمادنا هو معمودية يسوع في نهر الأردن مع أنه كان بلا خطيَّة. إنَّه اعتمد ليُقيم لنا المثال، ليُبيِّن لنا أهميَّة المعمودية لخلاصنا. وعندما اعتمد الرب حلَّ الروح القُدُس واستَقَرَّ عليه في شبه حمامة. لذلك نجد أنَّه في الكنيسة الأُرثوذكسيَّة فإنَّ سِر العماد يُلحَق للتو بسِر المسحة المُقدَّس بالميرون، والذي مِن خلاله ننال نفس الروح القُدُس، ويتم فينا حقيقة أننا اعتَمَدنا مِن: «*الماء والروح*». وعند اعتماد يسوع: «*انفتَحَت السماوات*» بطريقة عجيبة، والمعموديَّة تفعَل لنا هذا، فإنَّ السماوات التي كانت مُغلَقة أمام وجهنا بسبب الخطيَّة، صار لنا الآن دخول إليها إلى الله، وصارت لنا دالة وجُرأة أن ندعو الله: ''أبًا أو أبانا''. كذلك سُمِع أيضًا أثناء عماد المسيح صوت الله مِن السماء يقول: «*هذا هو ابني الحبيب*

coptic-books.blogspot.com

الذي به سُررت». وهكذا نحن أيضًا وقتَ عمادنا نَسمَع صوت الله نفسه يتكلّم ويقول: "هذا هو ابني الذي أحبّه الذي صار لي، الـذي سـوف أقوده وأُسامحه وأقَوِّيه، ويومًا ما سوف آخذه إلىَّ في السماء".

استجابة ومسؤوليَّة شخصيَّة:

المعموديَّة يَلزمها قبول شخصي مِن جِهة مَن اعتَمَد وهو طفل بعد أن يبلُغ سِن الإدراك. يَلزم أن يَقبَل الطفل ما عمله المسيح لأجلـه عنـد العمـاد، فالمعموديَّة ليست تَذكَرة روحيَّة تُدخلنا إلى السماء آليًّـا. يقـول الـدكتور اللاهوتي نيكوس نيسيوتيس Dr. Nikos Nissiotis: "إنَّ المسيحي المُعمَّد، خاصَّة في الكنائس التي يُمارَس فيها معموديَّة الأطفال، يحتاج إلى أن يُعلن قراره الشخصي بخصوص الإيمان المسيحي الذي ناله أو توارثـه سـلبيًّا (بدون إرادته) مِن البيئة المسيحيَّة". إنَّه بدون هذا القرار الشخصي تصبح المعموديَّة مُجَرَّد شكل بلا قوَّة، نظن بسببه أننا مسيحيُّون والواقِع يشـهد بغير ذلك". يشبِه ذلك أننا عندما نذهب لنزور بعـض أقطـار الشـرق الأدنى، فإنَّه يلزم أن نُحقَن ونُطعَّم ضد الكوليرا. إنَّ أوَّل حُقنة نُحقَن بها تجعلنا مَرضى لمدَّة يوم أو يومين، في الحقيقة نحن نُصاب بالمرض بطريقـة خفيفة، وهذه تحفَظنا مِن الإصابة بالمرض الحقيقي.

يوجَد الآن عدد لا يُحصى مِن المسيحيِّين بالاسم الذين يعترفون أنَّهم مسيحيُّون لأنهم حاصِلون على "شهادة معموديَّة" وهذا يجعلهم وكأنَّهم في غِنَى عن تكوين علاقة شخصيَّة صادقة بالمسيح. يلزم أن يتبع المعموديَّة إدراك شخصي ويقظة هائلة لعطايا الله المُتعدِّدة التي وهبها لنا بسبب محبَّته مِن خلال هذا السِر العظيم.

coptic-books.blogspot.com

اتَّحَدْنا بالمسيح:

المسيح يُطهِّرنا مِن خطايانا بالمعموديَّة، ويدعونا أولاده وبناته، ويجعلنا وارثين لكل غناه، ويجعلنا أعضاء في أُسرته. وبما أنَّنا أعضاء في عائلة الله فنحن أقرباء لكل واحد ومسؤولين عن كل واحد. ومع ذلك فإنَّ المعموديَّة أكثر جدًّا مِن ذلك، فبها نحن نرتبط ونتَّحد بالمسيح، ونصير أعضاء لجسده، ويصبح كل مسيحي مُعتمِد امتدادًا للمسيح. نصير مسيحًا آخَر في العالَم. نصير عينيه ويديه ولسانه وقدميه. المسيح اختار أن يَعمَل في العالَم مِن خلالنا، نحن أعضاء جسده. إنَّها مسؤوليتنا الخاصَّة كمسيحيِّين مُعتمِدين أن نجعل المسيح حاضِرًا حيثما نذهب نحن أو نُقيم في أي مكان في العالَم.

سأل شخصٌ ملحِد طفلاً فقيرًا مرتديًا ثيابًا بسيطة فيما كان عائدًا من مدارس الأحد إلى منزله: "ماذا تعلَّمتَ اليوم؟" أجاب الطفلُ على ذلك الذي يتهكَّم عليه: "تعلَّمتُ أن الله محبَّة". فسأله: "إن كان الله محبَّة، فلِمَ لم تطلُب مِن أي شخص أن يُعطيكَ ملابس أو حذاءً نظيفًا؟". بعد لحظات مِن الصَّمت أجابه الطفل في حُزن: "أظن أن الله قال هذا لشخصٍ ما ولكن يبدو أن هذا الشخص قد نَسيَ". يجب مِن خلال أعضاء جسد المسيح أن يتعلَّم العالَم أن الله محبَّة، مِن خلال اهتمامنا كل واحد بالآخَر وبالعالَم المحيط.

شَرحٌ لطَقس المعموديَّة

جميع المُمارَسات والحَرَكات التي تُجْرَى أثناء سر المعموديَّة في الكنيسة الأرثوذكسيَّة ليست طقسًا بلا معنى. المسيحيَّة حياة، وكل عَمَل يُجرى أثناء إتمام السِر يُعبِّر تمامًا عمَّا يعمله المسيح حقيقة فينا ولنا مِن خلاله:

coptic-books.blogspot.com

(١) الإشبين:

يرجِع وجود الإشبين في المعموديَّة إلى تلك الأيَّام التي كان فيها الإمبراطور نيرون يضطهد المسيحيِّين، وكان الوالدون غالبًا ما يستشهدون أثناء تلك الاضطهادات، فكان المسؤولون الكنسيِّون يُخوِّلون لهؤلاء الأشابين مسؤوليَّة تعليم الأطفال الإيمان المسيحي في حالة استشهاد الوالدين.

أمَّا الآن، فإنَّ الإشبين وإن كان يختاره الوالدان، إلاَّ أنَّه لا يُمثِّلهم في الواقع ولكنَّه يُمثِّل جماعة الكنيسة. لذلك فإنَّه عندما يُؤتى بشخص ما لينضمّ إلى الكنيسة بواسطة المعموديَّة، فإنَّ أعضاء الكنيسة مُجتَمعين يلزم أن يتولّوا مسؤولية نمو الطفل في الإيمان. الإشبين لا يتكلَّم عن نفسه ولكن عن كل الجماعة، إنَّه يتعهَّد بأن يُعلِن للكنيسة أن الطفل ينمو ويزداد في الإيمان الأُرثوذكسي. الكنيسة تهتم جدًّا بموضوع التغذية الروحيَّة للطفل حتى إنَّها تُخوِّل لشخص ما مسؤوليَّة النمو الروحي للطفل. الكاهن والإشبين، وهما يُمثِّلان الجماعة كلها، مع الوالدَين اللذين يُمثِّلان المترل، الجميع يتعهَّدون أن يُنشِئوا الطفل مُتغذِّيًا بكلام وتعاليم المسيح. مِن المُهِم أن يُرشَّح الأشابين ليس بسبب مسائل اجتماعيَّة أو ماديَّة، وإنَّما لأنهم أشخاص يُحبُّون الله والكنيسة. يجب أن يكون الأشابين مسيحيِّين أُرثوذكسيِّين حتى يمكنهم أن يُنشئوا الأطفال على الإيمان الصحيح المُستقيم، وليس على إيمان آخَر خاص بهم.

المعموديَّة هي بداءة رِحلة أو سياحة، تمامًا مثلما يقول المَثَل الصيني: "كل رِحلة مهما طالَت فإنَّها تبدأ بالخطوة الأولى". إنَّ المعموديَّة هي الخطوة الأولى في الرحلة العظيمة إلى الله. إن لم يهتم الوالدَان اللذان هما الكاهنَان في المترل بأن يأخُذا بيد الطفل في عمره الغضّ وطفولته ليهدياه ويُرشداه ويُقوِّياه في خطواته الأُولى نحو الله، فإنَّهما يصيران والِدَيْن

coptic-books.blogspot.com

فاشلَين. حتَّى الحيوانات يمكنها أن تَلد وتُعطي حياة، أمَّا الوالِدان المسيحيَّان فهما فقط اللذان يُمكنهما أن يُقَدِّما المولود إلى واهِب الحياة نفسها.

(٢) التعزيم أو جحد الشيطان:

أوَّل ما يُجرى في خدمة المعموديَّة يكون عند مدخل الكنيسة، وهذا يُبيِّن أن الداخِل لم يَصِر بعد عُضوًا في الكنيسة. إنَّ الهدف مِن المعموديَّة هو أن ينتقِل الشَّخص ليصير داخل الكنيسة.

أن يدخُل الإنسان الهيكل، فهذا يلزمه أن يكون مع المسيح ليكون عضوًا في جسده.

يطلب الكاهن مِن الإشبين أن يجحد الشيطان وكل أعماله الشرِّيرة نيابة عن الطفل، فيقول له: "هل تجحد الشيطان وجميع ملائكته وأعماله وخِدمته وكل كبريائه؟" يشرح الأب ألكسندر شميمن Fr. Alexander Schmemann معنى التخلِّي أو إنكار الذات أو جحد الشيطان بقوله: **"إنَّ أوَّل عَمَل في المسيحيَّة هو إنكار الذات، اعتراض، تحدٍّ. لا يمكن لأحد أن يكون للمسيح إن لَم يُواجِه الشيطان أولاً، ويصير مستعدًّا** لمحاربته.. القصد مِن التعزيم هو هذا: مواجَهة الشرِّير، اعتراف بحقيقته، معرفة قوَّته، ثم الجهر والمناداة بقوَّة الله لإبادة الشيطان. إنَّ المُعزمين يُعلنون أنَّ المعموديَّة التي هي على وَشَك أن تُجرَى هي عَمَل انتصاري ساحق على الشيطان".

يتم جحد الشيطان بينما الشخص ينظر إلى الغرب، لأن اتجاه الغرب يُعلِن اختفاء الشمس، كما كان يُنظَر إليه لدى اليونانيِّين القدامى على أنَّه مكان أبواب الجحيم. بعد هذا ينظُر الكاهن إلى الشرق مِن حيث تُشرق الشمس ويسأل الإشبين: "هل تَقبَل للطفل مَن هو نور العالَم؟ هل تجعَل

coptic-books.blogspot.com

نفسَك تَتَّحِد بالمسيح؟'' إنَّ جحد الشيطان والاتحاد بالمسيح يُعبِّران عن الإيمان بأن الطفل حديث المعموديَّة قد انتقل مِن سيِّد إلى سيِّد آخَر، مِن الشيطان إلى المسيح.

(٣) علامة الصليب:

بعد هذا يقوم الكاهن برشم المُعمَّد بعلامة الصليب على جسمه. وهذا يُكرَّر عدَّة مرات أثناء خدمة المعموديَّة. إنَّ علامة الصليب هي بالتأكيد علامة النصرة التي تجعَل الشيطان يهرب. كان العبيد في الأزمنة الغابرة يُوشَمون، تمامًا كما يُفعَل الآن في بعض الحيوانات، إنَّ علامة الوَشْم هذه تُعبِّر عن الملكيَّة، عن تبعيَّة العبد لسيِّده. أمَّا اليوم فإنَّ علامة الصليب تَشِمُنا كتابِعين ومِلك للمسيح.

(٤) تلاوة قانون الإيمان:

ثمَّ يَطلُب الكاهن مِن الإشبين أن يتلو قانون الإيمان النيقاوي نيابةً عن الطفل. كان هذا القانون رمزًا أو علامة لتمييز المسيحيِّين في أيام المسيحيَّة الأولى، وكان مِثل كلمة السر التي تُميِّز الأعضاء الحقيقيِّين في عائلة الله. بِتلاوة قانون الإيمان فإنَّ الإشبين يُبدي اعترافه به.

عندما نصير بالغين، فإننا نتذكَّر أننا عندما كُنَّا أطفالاً واعتمدنا، فإنَّ آخَر، وهو إشبيننا، قد جحد الشيطان وقَبِل المسيح نيابة عنا. نحن ندين بالفَضل لشخصٍ آخَر أحبَّنا واهتم بنا لدرجة أنه تَلاَ هذه الكلمات نيابة عنا، ولكن بعد بلوغنا علينا أن نتحقَّق أنَّه لا يوجَد شيءٌ أهم مِن أن نعترف بهذا الإيمان بأنفسنا. إنَّ ما تمَّ داخل هيكل الكنيسة للمُعمَّد يحدث كل يوم، فهو كل يوم يعترف بإيمانه أمام الناس يقول: ''لا'' للشيطان و: ''نعم'' للمسيح، ويتبع كل يوم المسيح على أساس سيِّدُه الخاص، كما يُحاوِل

coptic-books.blogspot.com

كل يوم مُجتهِدًا مُعانًا بنعمة الله ليعيش بحسب قانون الإيمان.

(٥) تسمية المُعمَّد:

منذ دخول الطفل المُعمَّد وقبوله في الكنيسة، فإنَّه يصبح هناك تأكيدٌ على شخصيَّته المستقلَّة. لذلك فإنَّه يُعطىَ اسمًا خاصًّا يُميَّز به عن كل طفل آخَر لله. هذا يُعبِّر عن إيماننا أنَّ الطفل له كرامته الشخصيَّة في عينَي الله. إنَّه قبول الكنيسة له كشخص له حقوقه الخاصَّة. إنَّ الشخص البالِغ عند عماده يقول بعد الخدمة: "الآن صرتُ شخصًا، وصار لي اسمٌ وصار لي كيانٌ". منذ لحظة عمادنا والله يَعْرِفنا كأشخاص. إنَّه فقط في المجتمع الوثني وعند السلطات المُستبدَّة كالنازيَّة أو الشيوعيَّة أو ما إليهما تُقلَّل قيمة الشخص إلى العدم. كما أنَّ الاسم الجديد للطفل يُعبِّر أيضًا عن الحياة الجديدة التي نالها بواسطة المعموديَّة المقدَّسة.

طبعًا بالإضافة إلى الاسم الخاص الذي يأخذه كل واحد منا في المعموديَّة، فإننا ننال أيضًا شَرَف الاسم: "مسيحي". يجب علينا أن نُقدِّر هذا الامتياز. تقول رواية أن الإسكندر الأكبر سمع عن جندي في جيشه يحمل نفس الاسم: "إسكندر"، وكان هذا الجندي يتَّسم بالجبن، فاستدعى القائد الجندي الجبان وقال له: "إمَّا أن تُغيِّر طُرُقك أو تُغيِّر اسمك". ونحن كمسيحيِّين لنا اسم عظيم نحيا له: المسيح.

(٦) جُرن المعموديَّة:

يُسمَّى جُرن المعموديَّة في لُغة آباء الكنيسة الرحِم الإلهي الذي ننال منه الميلاد الثاني لنصير أولادًا لله. حقًّا إنّ المعموديَّة ولادة: "*وأمَّا الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله.. الذين وُلِدوا ليس مِن دم ولا مِن مشيئة جسد ولا مِن مشيئة رجُل بل مِن الله*" (يو ١: ١٢، ١٣).

coptic-books.blogspot.com

في أيام المسيحيَّة المُبكِّرة عندما كان البالغون يعتمدون، فإنَّهم كانوا ينزلون في جرن المعموديَّة وكان الماء يغمُر رؤوسهم تشبيهًا بالدفن في القبر، وعندما كانوا يخرجون مِن الماء كانوا كَمَن يصعَدون مِن القَبر. المعموديَّة هي موت حقيقي وقيامة ثانية حقيقيَّة مع المسيح. كل مسيحي أثناء المعموديَّة يموت عن نفسه الدنيئة الخاطئة ويقوم بالمسيح إلى حياة جديدة، كما يقول القدِّيس بولس الرسول: «*أم تجهلون أننا كل مَن اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفِنَّا معه بالمعموديَّة للموت، حتى كما أُقيم المسيح مِن الأموات بمجد الآب هكذا نسلك في جِدَّة الحياة*» (رو ٦: ٣ و٤).

اعتاد الافرنج فيما مضى أن يعتمدوا وكلا الذراعين مغموران في الماء، إلاَّ أنَّ بعض الجنود المحاربين كانوا يَرفعون اليد اليمنى عاليًا أثناء العماد حتى لا تبتَل بالماء، حتى إذا ما دَخَلوا معركة حربيَّة يمكنهم أن يستَخدموا يدهم اليمنى وهي حاملة السيف في معارك لا إنسانيَّة ويتسبَّبون في دمار شامِل. ولكي يُبَرِّروا فِعلتهم النكراء كانوا يتعلَّلون ويقولون: "إن هذه اليد التي تمّ بها هذا الفِعل الشائن لم تَعتَمِد بعد"! أمَّا نحن الذين غُمِرَت كل أعضائنا في مياه المعموديَّة المُقَدَّسة، فإنَّ هذه الأعضاء تصبح مُكرَّسة ومُخصَّصة لخدمة المسيح، وهذا بحسب قول بولس الرسول: «*إذًا لا تملكنَّ الخطيَّة في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته، ولا تُقدِّموا أعضاءكم آلات إثم للخطيَّة، بل قدِّموا ذواتكم لله كأحياء مِن الأموات وأعضاءكم آلات برّ لله*» (رو ٦: ١٢ و١٣).

(٧) لماذا يُستَخدَم الماء في المعموديَّة؟

يُستَخدَم الماء عادة للاغتسال والتنظيف. يُعَبِّر الماء في المعموديَّة عن حقيقة أن المسيح مِن خلال هذا السِر يُطهِّرنا مِن الخطيئة الأصليَّة والخطايا الشخصيَّة.

coptic-books.blogspot.com

كانت صورة المسيح - الراعي الصالِح - موجودة غالبًا في حجرات المعموديَّة في الكنيسة الأُولى. إنَّ مَغزى هذا نجده في مزمور ٢٣، الـذي يتكلَّم فيه الراعي داود ويقول: «*الرب يرعاني فلا يُعوزني شيء .. على مياه الراحة يوردِني، يَرُدّ نفسي*». يقول الآباء: "إنّ مياه الراحة هذه هي المعموديَّة التي يجمع الراعي فيها خرافه الضالة ويعطيها حياة جديدة".

يصف القدِّيس يوحنا ذهبي الفم ما يحدُث أثناء المعموديّة: "عندما تأتي إلى سِر التأسيس المُقدَّس، فإنَّ الأعين الجسديَّة ترى ماء، أمَّا أعين الإيمان فَتَرى الروح. تلك الأعيُن ترى الجسم يعتمِد، وهذه ترى الإنسان العتيق يُدفَن. الأعين الجسديَّة ترى الجسد يغتَسِل، وأعين النفس تَـرى الـروح تتطهَّر. أعين الجسد تَرى الإنسان يخرُج مِن الماء، وأعين الـروح تَـرى الإنسان الجديد يخرُج ببهاء مُشرِق بعد هذا الـتطهير الجديـد. أعيننـا الجسديَّة تَرى الكاهن يضع يده اليمنى مِن أعلى على رأس المُعمَّد وتلمسه، وأعيننا الروحيَّة تَرى الكاهن الأعظم يسوع يمدّ يده غير المرئيَّة لـيلمس رأس المعمَّد. إذن في تلك اللحظة فإنَّ الذي يُعَمِّد ليس هو إنسانًا ولكـن ابن الله الوحيد".

(٨) الطفل العاري:

يعتمد الطفل وهو عارٍ تمامًا. هذا يُشير إلى أنَّه كما خرجنا عَرايا مِـن بطون أُمَّهاتنا، هكذا نخرجُ عَرايا مِن بطن الله، أي جُرن المعموديَّة، كمـا أن خَلْع الثياب يُشير إلى حمأة الخطيَّة التي سوف تُلقى خارجًا تمامًا مِـن خلال المعموديَّة. وأخيرًا كما أن الرياضيِّين يتعرّون قبل المبـاراة لتكـون حَرَكتهم حُرَّة، هكذا يليق بالمُعمَّد أن يَترع ثيابه علامة على أنّ المسيحيَّة هي معرَكَة وحرب خطوة بخطوة مع الشيطان. وأخيرًا فإنّ خلع الثيـاب بلا خجل يشير إلى حالة الإنسان الأُولى في الفردوس قبل السقوط عندما

coptic-books.blogspot.com

كان أبوانا لا يخجلان وهما عُريانان لأن الله رأى أن كل ما خلقه هو حسنٌ جدًا.

(٩) الدَّهن والتَبريك بالزيت:

يُبارِك الكاهن زيت الزيتون ثمّ يَدهَن به مُختَلَف أعضاء جسم الطفل: يديه وقدميه وأذنيه ليُخَصِّص الكل لخدمة المسيح. اعتاد المُصارعون اليونانيُّون القدامى أن يدهنوا جسمهم بزيت الزيتون ليجعلوا من الصعب على الخصم أن يُمسِك بهم. وهكذا فإن الطفل يُدهَن في المعموديَّة بزيت الزيتون تعبيرًا أيضًا عن صلواتنا التي تُلازِم المُعمَّد ليقدر بمعونة المسيح أن يفلِت مِن استحواذ الخطيَّة.

(١٠) الثياب الجديدة:

تُشير الثياب الجديدة التي يرتديها الطفل المُعمَّد إلى الحياة الجديدة التي ننالها بعد أن: «*نُدفَن مع المسيح لموته*» (رو ٦: ٤). اعتاد المؤمنون في الكنيسة الأولى أن لا يُلبسوا الطفل المُعمَّد الملابس التي خلعها، إنَّما يلبَس ثوبًا أبيضَ جديدًا. يظلّ الطفل مُرتديًا هذا الثوب طوال خَدَمات أسبوع الفصح (كانت أغلَب المعموديَّات تتم في سبت النور). يُعبِّر الثوب الأبيض عن نقاوة النفس التي اغتَسَلَت مِن الخطيَّة، كما تُذَكِّرنا أيضًا بالثوب البهي الذي ظَهَر به المسيح أثناء التجلّي. أصبح يوجَد الآن تشابه بين المُعمَّد والرب المُتَجَلّي، لا بل إنَّه أكثَر مِن تشابه، إن القدِّيس بولس يَسمِّيه لِبس المسيح: «*لأن كلكم الذين اعتَمدتُم بالمسيح قد لبستم المسيح*» (غل ٣: ٢٦ و٢٧)، «*إذًا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مَضَت، هوذا الكل قد صار جديدًا*» (٢كو ٥: ١٧). المعموديَّة شيء آخَر أكثَر جدًّا مِن الاغتسال أو التطهير الخارجي. إنَّها تَحَوُّل جذري عميق. يُقَرِّر القديس غريغوريوس النيصي

coptic-books.blogspot.com

St. Gregory of Nyssa أن الرداء الأبيض الذي يَرتديه المُعمَّد يرمز إلى رداء النور الذي كان يتَّشح به الإنسان قبل السقوط فيقول: "لقد أخرَجتَنا مِن الفردوس ثمّ دعوتَنا ثانية. إنَّكَ أبعدتَ أوراق شجرة التين التي هي رداء شقائنا، وألبستَنا ثانية رداء المجد".

ماذا يعني هذا الوجود الجديد؟ ماذا يعني بالضبط: "لِبس المسيح؟" هل هذا يعني أن شخصيَّة المُعمَّد تذوب حتى تُشابه شخصيَّة آخَر الذي هو المسيح؟ طبعًا لا. إنَّه الله هو الذي منحنا شخصيَّتنا المُستقلَّة، وهو بالتأكيد لا يُريدنا أن نهدمها بأن نجعلها تذوب بتقليد غير طبيعي في شخصٍ آخَر. أنْ: "نلبس المسيح" يعني أن نكون كما نحن ولكن في المسيح، لا بأن نُقلِّده ولكن بأن نوضِحه ونُظهره مِن خلال شخصيَّتنا الفريدة المُميَّزة. عندما يحيا المسيح فينا، فهو الكَفيلَ والضامِن أن تنمو شخصيَّتنا المُتميِّزة التي أعطانا الله وأن تَزدهر إلى كمالها.

(١١) إضاءة الشموع:

مهما بَلَغ الظلام والليل المحيط بنا، فإن المعموديَّة تظل هي سِر الدخول إلى النور. إنَّها تفتح عينَي الروح لتَرى المسيح نور العالَم (يو ١: ١٩). وتجعلنا أبناء النور (١تس ٥: ٥).

كان المُعمَّد في الكنيسة الأُولى يحتفظ دائمًا بشمعة المعموديَّة، وكان يُحضِرها معه إلى الكنيسة أيَّام الأعياد، وفي يوم تذكار عماده، وفي قداس عيد القيامة المجيد. وإن تَزوَّج المعمَّد بعد أن يكبر كانت تُضاء شمعة العماد في حفلِ زفافه. كذلك إن رُسِم المُعمَّد كانت الشمعة تُضاء يوم رسامته. وفي النَفَس الأخير وبينما الساعة المُحتَّمة تقرب، كانت شمعة العماد تُضاء بينما الروح تستعد لتذهب لتُقابِل الديَّان. شمعة العماد هي تذكار دائم

coptic-books.blogspot.com

مستمرٍ للمسيحي ليحيا ويموت في نور المسيح.

يُمكِن مقارنة شمعة العماد بالمصابيح المُستخدَمة في مَثَل العذارى الحكيمات المُنتَظِرات مجيء العريس المسيح في ظلمة الليل. عندما يُعطَى المُعتمِد حديثًا الشمعة المُضاءة، فإنّ هذا يحثّه على أن يُحافظ عليها إلى أن يُقابِل المسيح عند مجيئه مِثل العذارى الحكيمات اللواتي احتَفظنَ بمصابيحهنَّ مُضاءة عند مجيء العريس. بهذا فإنّ الشمعة تصبح رمزًا لمثابرة نفس المُعتمِد إلى وقت مجيء المسيح. كان مِن عادة اليونانيِّين القدامى أن الفائز في السباق ليس فقط هو الذي يبلغ خط النهاية في أقصر وقت، ولكن أيضًا يصِل إليه والشمعة التي يحملها لا زالت مُضاءة. ليتنا نحن أيضًا نصِل إلى شاطئ الأبديَّة ونور شمعة معموديتنا يظل مُضاءً مُتوهِجًا.

(١٢) سرّ الميرون:

يُتمَّم سِر الميرون المُقدَّس في الكنيسة الأُرثوذكسيَّة بعد المعموديَّة مباشَرَة، تمامًا كما كان مُتَّبعًا في الكنيسة الأولى. إنَّه إكمال لسر المعموديَّة وخاتمها. الطبيعة البشريَّة بعد أن تتطهَّر بالمعموديَّة تصبح مستعدَّة لنوال مواهب الروح القُدُس المُتعدِّدة، وكما يقول الأب اللاهوتي ألكسندر شميمن Fr.Schmemann: ''إنّ سِر التثبيت هو عنصَرَة شخصيَّة للمُعمَّد ودخوله في حياة الروح القُدُس .. تنصيبه كشخص كامل مُكتَمِل حقيقي .. يُدهَن جسمه كله .. يُختَم ويتقدَّس ويُكرَّس للحياة الجديدة. يقول الكاهِن وهو يدهن الطفل: ''خاتم موهبة الروح القُدُس'' ويدهنه الكاهِن على جبينه وعينيه وفتحتي أنفه وشفتيه وكلتا أذنيه وصدره ويديه وقدمه .. الإنسان بكامِل كيانه يصبَح هيكلاً مُقدَّسًا لله ..''.

إنَّ كلمة تثبيت في اللغة العربية يقابلها في الإنجليزية Chrismation

coptic-books.blogspot.com

المستمدَة من الكلمة اليونانيَّة chrisma التي تعني الدُّهن. الشخص المدهون بالكريزما يصير خريستوس christos أي ممسوحًا وهي نفس كلمة Christ المسيح. بنوالنا سرَ الميرون نصير مسيحيِّين أو مُسحاء آخَرين. إن سر المسحة هو سر تنصيب عامة الشعب. وبحسب الإيمان الأُرثوذكسي فإن كل شخص علماني مُعمَّد قد تخصَّص وتكرَّس وتقدَّس في هذا السر. إنَّه قَبِل موهبة الروح القُدُس ليصبَح نائبًا أو وكيلاً أو سفيرًا عن المسيح في العالم.

(١٣) سرّ الإفخارستيَّا:

ينال المُعمَّد مُباشرة بعد المعموديَّة والمسحة سر الجسد الكريم ودم المسيح الحقيقي في سر الشركة المُقدَّس، ويظل يُؤتى بالطفل بعد هذا إلى الكنيسة بانتظام لينال سر التناول. إنَّ الحياة الجديدة في المسيح والتي تُعطَى في المعموديَّة تتجدَّد مَرَّةً ومَرَّات في سر القربان. كل طفل مُعمَّد في الكنيسة الأُرثوذكسيَّة يصبح عضوًا كاملاً في الكنيسة ويحقّ له نوال سر الشركة المُقدَّس. وكما أنّ الطبيعة تمدّ الطفل باللبن لتغذيته بعد ولادته، هكذا يمدّ الله الطفل بطعام سر التناول بعد معموديَّته مباشرة ليَتَزوَّد بالغذاء الذي للحياة الروحيَّة الأبديَّة التي نالها في سرّ المعموديَّة.

(١٤) قَصّ الشَعْر:

بعد نوال المُعمَّد سرّ الميرون فإنّ الكاهن يقطَع ثلاث خُصَل من شَعر المُعمَّد. هذا تعبير عن الشكر وعرفان بالجميل من الطفل الذي نال وَفرَة من النعَم والبَرَكات من خلال سرَّي المعموديَّة والمسحة، فهو إذ لا يملك شيئًا لَيُقَدِّمه إلى الله مقابل ذلك، فإنَّه يُقَدِّم لله جُزءًا من شَعره الذي هو علامة القوَّة (راجع قصَّة شمشون في الكتاب المُقَدَّس). الطفل هنا يَعد بأن يخدم الله بكل قوَّته، وبحسب كلمات الأب شميمن فإنَّ قَصّ الشعر هو:

coptic-books.blogspot.com

"علامة أن الحياة التي بدأت الآن هي حياة بذل وتضحية".

مِن المعلوم أن الأولاد في الشعب الإغريقي القديم كانوا يُكرِّسون شعر رأسهم للآلهة عندما يبلغون طور الرجولة، وإلى الآن لا يزال بعض الرهبان المسيحيِّين يقصُّون شعر رؤوسهم كعلامة تكريس لله.

(١٥) زَفَّة دينيَّة:

ثمَّ تبدأ بعد ذلك زفَّة روحيَّة يقوم بها الكاهن والإشبين وهو يحمل الطفل المُعمَّد حديثًا حول جرن المعموديَّة. هذا يعكس الإيمان بأنّ عند هذه اللحظة فإنَّ الملائكة الذين في السماء يرقصون تعبيرًا عن فرحهم بأن نفسًا جديدة قد سُجِّل اسمها في كتاب الحياة. كما يُرنِّم الكاهن: «*لأن كُلَّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح*» (غل ٣: ٢٧). وهذا تعبير عن إيماننا أنه مِن خلال سِرَ المعموديَّة يلبَسُ الطفلُ المسيحَ. يمدُّنا التقليد المُقَدَّس أنه في هذه اللحظة يُعيِّن الله ويُخَصِّص ملاكًا حارسًا ليظل مع الشخص المُعتمِد حديثًا إلى أن تنتهي رحلته في العالَم.

شهادة شخص من خارج الكنيسة بخصوص المعموديَّة الأُرثوذكسيَّة:

دُعي شخصٌ ما مِن خارِج الكنيسة الأُرثوذكسيَّة لحضور مراسم العماد المُقدَّس، فكان تعليقه على ما رآه:

"إنَّ أقرب طقوس للمعموديَّة المقدَّسة التي قَرَأتُ عنها في معموديَّة المسيحيِّين الأُول هي تلك التي رأيتها عندما دعاني أُسقُف أُرثوذكسي لحضور معموديَّة طفل. إنَّ التعزيم (جحد الشيطان) عند باب الكنيسة، وتَبريك الماء بالترانيم والصلوات التي قدَّمها رجال الكهنوت، ثم تلاوة الإشبين لقانون الإيمان ومعموديَّة الطفل بغمره كامِلاً في الماء وهو عارٍ

coptic-books.blogspot.com

تمامًا، ثمَّ دَهْنه كله: بـِ"ختم موهبة الروح القُدُس"، وارتداء المُعمَّد الجديد للثوب الأبيض، وتناوله بعد ذلك لدم المسيح .. كل هذا وإن تَغَيَّرَت فيه بعض التفاصيل، ولكن المَراسِم والطقوس في مجملها هي الأقرب جدًّا لما ذَكَره أو عَرَفَه هيبوليتس أو ترتليان أو كيرلس الكبير أو أوغسطينوس .. هذا الذي يختلف عمَّا يجريه حالياً بعض المُنشقِّين".

استمرِ فيما قد صرتَ إليه:

ليست المعمودية هي نهاية المطاف أو كل شيء لتصير مسيحيًّا. إنَّها فقط البداءة، ويَلزم أن نواصِل ونستمر لنظل على ما قد صِرنا إليه.

تصوَّر معي شابًا له مِن العُمر ١٨ عامًا ووقَّع عقدًا ليصير ملاَّحًا وصار بالفعل ملاَّحًا في الخطوط البحريَّة ومعه شهادة تُثبت ذلك، ولكن تصوَّر معي أيضًا ملاَّحًا آخَر له من العُمر ٤٥ عامًا خبرة في الملاحة، فإنَّ هذا سوف ينظُر إلى صاحب الـ ١٨ عامًا ويقول له: "أيُّها الملاَّح، إنَّكَ لم تبدأ بعد أن تكون ملاَّحًا". إنَّه يقول له هذا رغم أن معه شهادة ترخيص ملاحيَّة، وقد خصَّص نفسه للعمل في الملاحة. إنَّ ما ينقصه هو أن يُواصِل وأن يستمر في المضي قُدُمًا ليُحقِّق بالفعل ما قد يصبُو إليه.

هذا ما نعنيه بالضبط بخصوص المعموديَّة. إنَّ الله قبلنا في المعموديَّة لنكون أبناء له، كما سلَّمنا نحن أنفسَنا له ليكون لنا سيِّدًا، وتسلَّمنا أوراقنا، أي شهادة المعموديَّة. ولكن هذا كله لا يعني نهاية الرحلة بل بدايتها. يلزم أن نستمر في المحافظة على ما نلناه لنحقِّق الإمكانيات التي قد أُعطِيَت لنا.

مُلخَّص:

لنلخِّص ما عمله الله لأجلنا في المعموديَّة. إنَّ أول كل شيء هو أنَّ

coptic-books.blogspot.com

المعموديَّة تقول لنا مَن نكون نحن. مِن أعظم مشاكل الإنسان اليوم هو أنَّه فقد هويَّته. نحن لا نَعلَم مَن نحن. عندما نعتمد فإنَّ الله، بما لا يعتريه شك ولكن بكل تأكيد وبتعبيرات مُحدَّدة، يقول لنا مَن نحن: "هذا ابني (أو ابنتي) الحبيب الذي به سُرِرت". نحن أبناء الله. نحن محبوبون له مِن لحظة ميلادنا الجديد، منذ حَمَلَنا على ذراعيه ووضَع علينا قُبلة محبَّته مِن خلال المعموديَّة والمسحة والتناول. الله صيَّرنا وَرَثَة لكنوزه، لميراثه، لغناه. وجودنا ليس مِثل وجود الديدان التي يَطأها شخص ما ثم يسحقها لتصير إلى عدم ونسيان. نحن لسنا: "لا أحَد"، لا يعتني بنا أحد. نحن: "أشخاص" مَلِك الكون، الإله السماوي، مُدبِّر العالَم الذي يعتني بنا بدرجة كافية تجعله يدعونا أولاده وبناته الخصوصيِّين. وعند نهاية مطاف رحلتنا وسَفَرنا وسياحتنا القصيرة في هذا العالَم، فإنَّه سوف يُخاطِب كل واحد مِنَّا شخصيًّا باسمه ويقول له: "تعالَ يا ابني يوحنا، تعالي يا ابنتي فيي، رِث المُلك المعدّ لك منذ تأسيس العالَم".

قد نُسأل أحيانًا: "ما الذي تعرفه بالتأكيد؟" يمكن لكل شخص مسيحي مُعمَّد أن يُجيب على هذا السؤال بقوله: "هذا ما أعرفه بالتأكيد أن الله يُحبّني، وقد أعلن هذا وأظهره عندما اعتَمَدتُ، وأنا مُتأكِّد أنَّه لا يقدر شيء في هذا العالَم، حتى الموت، أن يفصلني عن محبَّته. أنا أعلَم هذا لأنني اعتمدتُ في اسمه".

coptic-books.blogspot.com

وننتَظِر قيامة الأموات

قال شخصٌ مُلحِد ذات يوم: "إنَّ الإنسان العَصرِي قد نما إلى درجة لم يعُد بعدها محتاجًا إلى الله، نحن صِرنا نعلَم جيِّدًا مِن خلال التقنيات الحديثة ما هي مشاكلنا وكيف أيضًا نتعامَل معها ونَحلّها".

فسأله صديقٌ مسيحي: "هل تستطيع أن تحل مُشكلة الموت، أعظم مُشكلة للبشريَّة؟" فطأطأ المُلحِد رأسه إلى أسفل وعَجَز عن الإجابة.

قال روائي إنَّه أمضى كل حياته بطريقة ناجحة في مهنته، ولكن الدخيل الوحيد الذي يعجز عن التعامل معه هو الموت.

الموت هو أعظم دخيل غير مُرَحَّب به في الحياة. الناس تتعوَّق وترتبِك عند الحديث عنه. إنَّهم يستاؤون منه وفي داخلهم العميق يخافون منه. يُمكنهم أن يعملوا أي شيء في الحياة ويَقبَلوه إلاَّ الموت!

قال صديق: "ذهبتُ في يوم مِن الأسبوع الماضي إلى دار بيع التوابيت لاختيار صندوق لأختي، فاقتادوني إلى حجرة عَرْض حيث كانت توجد عدَّة صناديق مفتوحة ولها أثمان مُختلِفة، ولمَّا كانت الأغطية مفتوحة كان يَظهر كما لو كانت مخالِب الموت داخلها. وبعد أيام قليلة وقفنا بجوار مقبرة مفتوحة لتظهر مخالِب الموت مَرَّة أُخرى لتلتهم حبيبتنا".

يقول بعض الأطباء النفسانيِّين إن الخوفَ من الموت هو أساس كل قلق واضطراب بشري. يقول الدكتور كريستيان بارنهارد Dr. Christian Barnhard طبيب جراحة القلب الشهير: "إن الخوف من الموت هو الذي قاده لدراسة الطب واتخاذه مهنة له، وكان هدف الدراسة هو أن يجد مخرجًا ينقذه من موته الشخصي".

coptic-books.blogspot.com

ورغم حقيقة أن الخوف من الموت هو في عمقه أكثر الأشياء المُتسبِّبة في قلقنا، إلاَّ أنَّه أصبح موضوعًا محظورًا. وكما أن موضوع الجنس يُمنَع الكلام فيه في السن الصغير، هكذا فِكر الموت يُمنَع الحديث عنه في أيامنا هذه. يجفَل الأطباء مِن إبلاغ المريض بقرب موته، بل ونحن أنفسنا أحيانًا نخفي الموت عن أقاربنا وهم يقتَربون نحوه، فنلعب ونتسامر معهم ونتظاهر أن كل شيء على ما يُرام. يُروى عن ويليام رانـــدولف William Randolph الشخص الثَري الذي كدَّس لنفسه قوَّة هائلة ومالاً كثيرًا في حياته، أنَّـــه لم يكن يَسمح لأي شخص أن يستخدم كلمة الموت في وجوده!

أمَّا إيماننا الأُرثوذكسي المسيحي فهو بالتأكيد لا يخفي حقيقة الموت. إنَّه لا يخفيه لأنه لا يخافه، ولكن لأنَّه يتطلَّع إليه بوضوح في عين الشمس وله كثير ليقوله عنه. فمثلاً في كل قداس نحن نعترف بقـــانون الإيمـــان النيقاوي ونقول: "وننتظِر قيامة الأموات"..إن التقويم الديني المســـيحي الأرثوذكسي يمدّنا بعدَّة مناسبات نتواجه فيها وجهًا لوجه مـــع حقيقـــة الموت. في أيام السبوت وعلى مدار السنة نحن نُصَـــلِّي لأجـــل أحبائنـــا المنتقلين، ونذكُر في هذه الأيام أحباءنا الذين عاشوا وماتوا ويعيشون الآن في السماء وإلى الأبد. نحن نُصَلِّي لأجلهم كما نذكُر أيضًا أننا يومًا مـــا سوف نموت مثلهم. أمَّا أعظم أعياد الكنيسة الأُرثوذكسية قاطبة فهو عيد القيامة، وللشخص الأُرثوذكسي المسيحي أن يعوض في كل يوم من أيام السنة في قيامة المسيح من الأموات، تلك القيامة الانتصاريَّة المُتَوَهِّجَة. كما أننا نتذكَّر في يوم الأحد الذي هو أوَّل يوم في الأسبوع تلك النصرة على الموت ونحتفل بها.

أمثِلة مِن التاريخ عن القيامة:

عندما نقول إننا نؤمن بقيامة الأموات، فنحن لا نتكلَّم عن أسطورة أو

coptic-books.blogspot.com

قصَّة خرافيَّة. نحن نبني عقيدتنا على برهان تاريخ موجود في الأناجيل.

تقابل يسوع يومًا ما مع موكِب جنائزي فيما كان داخلاً مدينة نـــايين، وكان الأهل يحملون جسد شخص ميِّت، لشاب صغير السـن. ومعـروف عندما يأتي الموت إلى حَدَث فإنَّه يُسبِّب حزنًا أكثر ممَّا لو كان الميت كـبير السن. علم يسوع أن الميت وحيد لأمِّه، وكانت هذه أرملة، فتحرَّك قلـب الرب تجاهها وقال لها: «*يا امرأة لا تبكي*»، وقال للميت: «*قُم!*» ففعَل الميت هكذا وجَلَس وبدأ يتكلَّم، فسلَّمه الرب لأمِّه والجميع الذين شاهدوا المعجِزة تعجَّبوا ومجَّدوا الله قائلين: «*افتَقَدَ الله شعبه*» (لو ٧: ١١ - ١٧).

ولأننا نؤمن بيسوع الذي أقام الابن الوحيد الذي لأرملة نايين، لذلك نقول في كل قدَّاس: "وننتظِر قيامة الأموات".

إقامة ابنة يايرس:

وفي مناسبة أُخرى جاء أب اسمه يايرس إلى يسوع يستعطفه أن يـأتي إلى مترله ويشفي ابنته المريضة، وبينما كان يقول هذا أتى مِن المترل مَـن يُعلِن أن الفتاة الصغيرة قد ماتت، ولمَّا سمع يسوع هذا قال: "*لا تخـف، آمِن فقط فهي تُشفى*"، فضحكوا على يسوع، وعندما وصل إلى المـترل قالَ: «*لم تُمت، إنَّها نائمة*». أمسَكَ يسوع بيدها ونادى قائلاً: «*يا صبيَّة قومي*» ففعَلَت هكذا وقامت في الحالِ، فأمر يسوع أن تُعطى لتأكل (لو ٨: ٤٩ - ٥٦). ولأننا نؤمن في يسوع الذي أقام ابنة يايرس، فإنَّه يمكننا أن نقول في قانون الإيمان: "وننتظِر قيامة الأموات".

إقامة لعازر:

وصَل يسوع إلى قرية بيت عنيا حيث كان لعازر صَديق يسوع والذي يعيش مع أُختَيه مريم ومرثا قد مات منذ أربعة أيام. ذهبت مرثا لتُقابِـل

coptic-books.blogspot.com

يسوع وقالت له: «*لو كنتَ ههنا لم يُمت أخي أبدًا*».

أجابها يسوع: «*سيقوم أخوكِ ثانية*».

قالت مرثا: «*أنا أعلَم أنّه سيقوم في اليوم الأخير*».

قال لها يسوع: «*أنا هو القيامة والحياة، مَن آمَن بي ولو مات فسيحيا، وكل مَن كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد، أتؤمنين بهذا؟*»

أجابته مرثا: «*نعم يا سيِّد، أومِن أنّكَ المسيح ابن الله الآتي إلى العالَم*».

وعندما رأى يسوع مريم بعد ذلك تبكي والدموع في أعين أصدقائها، فإنَّه تأثَّر للغاية وقال: «*أين وضعتموه؟*»

فأجابوا: «*يا سيِّد، تعالَ وانظر*». ففعَل يسوع وذهب. بكى يسوع.

فقال الواقفون: «*انظروا كَم كان يحبّه!*» ولكن بعضٌ منهم قال: «*ألم يقدر هذا الذي فتح عينيّ الأعمى أن يجعَل هذا لا يموت؟*»

جاء يسوع إلى القبر وكان مغارة وقد وُضِع عليها حجر.

قال يسوع: «*ارفعوا الحجر*».

قالت له مرثا أخت الميت: «*يا سيِّد، إنَّ له أربعة أيام، لابد أنّه أنتن*».

قال لها يسوع: «*ألم أُقل لكِ إن آمنتِ تَرَينَ مجد الله وتُبصرين المعجزة التي يمكن أن يعملها الله؟*»

فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعًا، ورفع يسوع عينيه إلى فوق وصَلَّى: «*أيُّها الآب أشكُرك لأنّك سمعتَ لي، وأنا أعلَم أنّكَ في كل حين تَسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قُلتُ، ليؤمنوا أنّكَ أنتَ أرسلتني*».

ولمّا قال هذا صَرَخ بصوتٍ عظيم: «لعازر هلمَّ خارجًا»

coptic-books.blogspot.com

«فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. قال لهم يسوع: حُلّوه ودعوه يذهب» (يو ١١).

إن كُنَّا نقول في قانون الإيمان: "وننتظر قيامة الأموات"، فهذا لأننا نؤمن أن يسوع أقام لعازر.

موتُ الرب الشخصي:

آخر احتكاك ليسوع مع الموت كان موته الشخصي. حتى أقرب الأقربين إلى يسوع وهم تلاميذه الأخصَّاء لم يتوقَّعوا على الإطلاق أن يقوم مِن القبر بعد موته مع أنَّه كان قد سَبَق وأنبَأهم عن قيامته. وعندما أُنزل جسد يسوع المسحوق مِن على الصليب كانت هذه هي النهاية بالنسبة لهم. لم يكونوا يؤمنون أنَّ ابن الله سوف يموت.

وعندما وافتهم الأخبار بعد ذلك أن القبر فارِغ وأن البعض قد رأى يسوع حيًّا، فإنهم بصراحة وبفتور رفضوا أن يؤمنوا بهذه القصَّة التافهة. ولكن أخيرًا وبعد أن اختبروا بأنفسهم وجوده الشخصي لهم، واحدًا واحدًا كأفراد وكجماعة، فإنَّهم اضطرُّوا إلى الإيمان أن يسوع حي، وأخذوا هذه الأخبار الطيِّبة وكَرزوا بها ونادوا بها في أربعة أركان المسكونة: *«ليس هو ههنا، إنَّه قام»* (مت ٢٨: ٦).

فإن كُنَّا نقول في قانون الإيمان: "وننتظِر قيامة الأموات"، فنحن نقول هذا بناء على العلامة التي لم يفعَلها يسوع فقط، بل أيضًا تكلَّم عنها:

«الحقَّ الحقَّ أقول لكم، تأتي ساعة وهي الآن حين يَسمَع الأموات صوت ابن الإنسان والسامعون يَحيون» (يو ٥: ٢٥).

«لا تتعجَّبوا مِن هذا، فإنَّه تأتي ساعة فيها يَسمع جميع الذين في القبور صوته، فيَخرُج الذين فَعَلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عَمَلوا

coptic-books.blogspot.com

السيِّئات إلى قيامة الدينونة» (يو ٥: ٢٨ و٢٩).

إنَّ الرسل المسيحيِّين الأوائل كَرَزوا بالقيامة باستمرار، وكانوا يُعلنون غالبًا في كل عِظة انتصار يسوع على الموت، وكانوا مُحقِّين في هذا، فإنَّه لا يوجد معنى لأن نقول للناس أن يعيشوا حياة جديدة وأن يحبُّوا بعضهم بعضًا ويُخلِصوا إلى جيرانهم إن لم يُعيَّر الموت جهارًا ويُتعامَل معه كعدوّ مهزوم، ويَزول كل قلق مُختَبئ في قلب كل إنسان.

فإن كُنَّا نُؤمِن بكل ما نقوله في قانون الإيمان النيقاوي عن قيامة يسوع، فإنَّه ليس علينا إلاَّ أن نتطلَّع وأن نتمنَّى قيامتنا الشخصيَّة.

المفتاح إلى قيامتنا

مفتاح القيامة هو المسيح. كان الإغريق القُدامى يضعون قطعة فِضِّيَّة في أفواه الأموات ليدفعوا الأُجرة لكارون Charon في المعديَّة التي تَعبر نهر ستيكس river Styx إلى العالَم الآخَر. أمَّا بالنسبة لنا نحن كمسيحيِّين، فالمسيح هو هذه العُملَة الثمينة الكريمة. إنَّه هو الذي دَفَع الثَّمن مَرَّة واحدة ولأجل الجميع، أُجرة دمه الكريم الثمين ليضمَن عبور كل مُؤمِن به نهر الموت إلى ملكوته.

الحياة الأبديَّة لا تبدأ بعد الموت، إنَّها تبدأ الآن عندما نتعهَّد أن يكون يسوع هو سيِّدنا وربّنا. الذي يُؤمِن بيسوع ويسمع كلامه له حياة أبديَّة. عندما نقيم علاقة مع يسوع الآن مِلؤها الثقة والمحبَّة، فنحن نُؤسِّس علاقة لا يمكن أن تنقطع حتى ولا بالموت. لأجل هذا لم يكن القدِّيس بولس الرسول يخشى الموت. لم يكن الموت بالنسبة له هو النهاية ولكن اكتمال حياته مع المسيح. إنَّه بَدَأ مع المسيح واستمرَّ مع المسيح وعاش للمسيح، وآمن أنَّه عندما يموت سيذهب ليحيا مع المسيح. لأنَّ بولس الرسول

coptic-books.blogspot.com

استطاع أن يقول: «*لي الحياة هي المسيح*» لذلك تمكَّن أن يقول: «*الموت هو ربح*» ولذلك أضاف أيضًا: «*لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاكَ أفضل جدًا*» (في ١: ٢١ و٢٣). لِيعرف الإنسان ما معنى أن يموت، فإنَّه يلزم أولاً أن يعرف معنى أن يعيش. إن كانت الحياة هي المسيح، فالموتُ سوف يجعل الإنسان في علاقة أقوى مع المسيح.

يوجد اليوم عدد كبير من المسيحيِّين لا يُصَدِّق حقيقة ما علَّمه يسوع بخصوص الموت، ولكن الموت أمرٌ مُحَقَّق. المسيح أبطَل الموت وسَلَب منه رعبته، والموت الذي يُخاف منه لَيس هو الموت الطبيعي الجسدي ولكن الموت الروحي، تلك الحالة الخطيرة التي يكون فيها الإنسان حيًّا جسديًّا ولكنَّه ميِّتٌ روحيًّا. ميِّتٌ بالنسبة للمسيح، ميِّتٌ بالنسبة للكنيسة، ميِّتٌ بالنسبة لاحتياجات إخوته البشر. لمثل هؤلاء الذين لا يمسكون بالله يكون الموتُ كارثة لهم.

أقوى مِن نَصل الحشائش

كان رَجُلٌ يعمَل على هَرَّاسة بخاريَّة هائلة، وكان يُنزِل الأسفلت ويهرسه عن طريق وابور زلط كبير، وكان يدُك الأسفلت على الأرض إلى ارتفاع ٤ إلى ٥ بوصات. فقال له عابرٌ: ”هذه هي نهاية الحشائش“.

أجابه سائق الهرَّاس: ”ليس هذا مُؤكَّدًا إلى هذه الدرجة، إنِّي أعمَل منذ سنوات طويلة في رصف الطُرُق بالأسفلت، وقد علِمتُ بالخبرة أنَّه يوجد شيء وحيد يستطيع أن يعبُر مِن عُمق ٥ إلى ٦ بوصات مِن الأسفَلت“.

فسأله الشخص الذي يُراقِب ما يحدُث وهو سائر على الرصيف: ”وما هو هذا الشيء؟“

أجابه: ”إنَّه الحشائش. إنِّي مُتعَجِّب مِن قوَّة نمو الحشائش“، ثمَّ

coptic-books.blogspot.com

أضاف: "وحيث إنَّني - لحدٍّ ما - فيلسوف، فإنَّني أقول: إنَّ الحياة أقوى مِن أي شيء يُحاوِل أن يقهرها حتى ولو كان العقل والوعي، الحياة سوف تندفِع بقوَّة مِن خلال أي شيء".

أليس هذا هو ما يقوله لنا القانون النيقاوي في هذه الفَقرَة، وهو أن الحياة التي تُعاش في شركة مع الله لها هذه الدرجة مِن القوَّة بحيث لا يستطيع شيء أن يبقيها مطمورة داخل القبر إلى الأبد؟!

وَضْع اليد:

يوجَد في لعبة البريدج bridge عامِل جيِّد جدًا حتى إنَّه يُسمَّى عامِل "وضع اليد". الورق في اللعبة يُخبِر اللاعب منذ البداية أنَّه مهما حدث له فهو سوف يكسَب. يمكن للاعب أن يستخدِم هذا العامِل في اللعب، ولكن النهاية مُحدَّدة سابقًا.

هكذا الحال عندما نُسلِّم حياتنا ليسوع، إنَّنا نعرِف مصيرنا وما تؤول إليه نهايتنا. نحن مُتأكِّدون أنَّنا سوف نُشارِك المسيح في نصرته على الموت، سوف يُقيم أجسادنا المائتة ويجعلها تتَّحِد بأرواحنا ثانية لنحيا معه إلى الأبد.

قال ويليام جينينجز William Jennings مَرَّة: "لا أستطيع أن أتصوَّر كيف أن الله يسمح لشجر الورد أن يُزهِر كل عام، مُعلنًا بالتأكيد مجيء موسِم ربيع جديد، بينما يترُك بإهمال في الأرض نفسَ الإنسان المصنوعة على صورة خالقها. إذا كان يُمكن لحبة القمح الصغيرة أن تجوز ثلاثة آلاف مَرَّة زراعة (حرفيًا: قيامة) دون أن يُصيبها ضَرر، فلن أشُك أن نفسي لها القدرة أن تَلبس جسدًا يناسِب كيانها الجديد بعد أن يتحوَّل هذا الهيكل الأرضي إلى تُراب". إن كان الله يستطيع أن يُقيم حبَّة لِمرَّات هذا عددها، فهو حتمًا قادر أن يُقيم أولاده الأَخِصَّاء.

coptic-books.blogspot.com

إنَّ الجسد الذي سوف يخرج من القبر عند مجيء المسيح الثاني سوف يكون نفس الجسد الذي عاش على الأرض وليس هو جسدًا آخَـــر. إنَّ شخصيَّة وهويَّة كل واحد سوف تبقى كما هي. يقول أيوب: «*أمَّا أنـــا فقد عَلِمتُ أن ولِّيي حي، وهو قادم في النهاية ليصونني. وبعد أن يبلـــى جسمي بالمرض، ففي جسدي هذا سوف أرى الله. سوف أراه بعـــينيَّ، ولن يكون غريبًا عنِّي*» (أي ١٩: ٢٥ - ٢٧، ترجمة حسب النص).

إنَّنا سوف نستعيد نفس الجسد ثانيةً، ولكن ماذا سوف يتغيَّر؟ إنَّـــه زُرِع في فساد وسوف يُقام في عدم فساد، زُرع في هوان وسوف يُقام في مجد مُشابهًا لجسد المسيح المجيد الذي كان له بعد القيامة. استطاع المسيح بهذا الجسد أن يدخُل الحجرة دون أن يعبُر بأبواب مفتوحة. إنَّه لا يحتاج إلى طعام ولكن يُمكنه أن يتناوله. يمكن أن يُرَى هذا الجسد وأن يُـــدرَك رغم أنَّه قد صارت له قوَّة غير عاديَّة. والمسيح: «*سيُغيِّر شـــكل جســـد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده*» (في ٣: ٢١). لن يكون الجسد الجديد محدودًا، وَهنًا، ضعيفًا، قابلاً للموت مثل جسدنا الحالي. إنَّ أعيننا التي تستطيع أن تُبصِر الآن بعض الأطياف من الألوان سوف يمكنـــها أن تنظُر آلافًا من ألوانٍ أُخرى جديدة لا يمكن تصوُّرها. وآذاننا هذه الـــتي يمكنها الآن أن تستَجلِي بعض دَرَجات الصوت سوف يمكنها أن تســـمع آنئذ سيمفونيات السماء الرائعة. سوف نعرف الموسيقى الـــتي يُنشِـــئها الضوء وهو يعبُر بين النجوم المُترامية الأطراف. إنَّ ترانيم وألحان الملائكة سوف تفتِن وتسلِب حواسنا المُمَجَّدة. سوف نعرف الموسيقى المُنبَعِثة من حفيف أوراق الشجر ومِن نَصلِ أوراق الحشائش وهي تتمايَل. «*سوف نكون مثله!*» (١يو ٣: ٢).

هذا هو ما سَبَق أن رآه النبي حزقيال في رؤياه وكَتَـــب: «*.. فتقارَبـــت*

coptic-books.blogspot.com

العظام كل عَظم إلى عَظمه، ونظَرتُ وإذا بالعَصَب واللحم كساها وبُسط الجلد عليها مِن فوق .. فَدَخَل فيهم الروح فحيوا ..» (حز ٣٧: ٧ - ١٠).

ولكن لماذا يُقيم الله الجسد؟ أمَا يكفي أن تحيا الروح بعد الموت؟

يقول القدِّيس يوحنا الدمشقي St. John of Damascus: ”إن كانت الروح وحدها هي التي تتمتَّع بالملذات، فإنَّه يصير بعدل أن تكون وحدها هي التي تُعاقَب. ولكن بما أن الروح لا تقتفي إثر أيِّ فضيلة أو رذيلة مُنفَصلة عن الجسد، فكلاهما معًا سوف يلاقيان الدينونة الواجبة“. لذلك، فالجسد أيضًا سوف يقوم ليَظهَر أمام خالقه في اليوم الأخير. إنَّ المسيحيِّين الأُرثوذكس يُؤمنون بعقيدة خلاص الشخص بكامله، جسدًا وروحًا.

مصدر قُوَّة:

إنَّ قيامة المسيح وهي تكفل وتَضمن قيامتنا قد أصبحت بهذا المعنى أعظَم مَصدَر لقوَّة المسيحيِّين عبر الأجيال، وإلاَّ فكيف نُفَسِّر ترانيم الشهداء الأوائل وهم يَعبرون الموت؟ وكيف نُفَسِّر صيحات المسيحيِّين الأوائل وتهليلهم وهم يُلاقون الأسود الجائعة؟ لم يكن الموت بالنسبة لهم انتهاء، كما لم يكن ختامًا لشيء، ولم يكن الموت في ظنِّهم أردَأ شيء يُمكِن أن يحدُث، اسمع قولهم: «*إن عشنا فللرب نعيش، وإن مُتنا فللرب نموت. إن عشنا وإن مُتنا فللرب نحن*»، وأيضًا: «*مَن يَفصلنا عن محبَّة المسيح؟ لا حياة ولا موت ولا رُؤساء ولا قُوَّات .. ولا أيَّة أُمور .. في هذه جميعها يعظُم انتصارنا بالذي أحبَّنا*» (رو ٨: ٣٥ و٣٧).

حدث في أحد احتفالات دفن ميِّت في أفريقيا أن أقارب الفقيد كانوا ينوحون على موت هذا العزيز عليهم، فنَهَضَ واعِظ مِن أبناء جلدتهم وقال: ”كُفُّوا عن هذا النوح وهذه الولولة، إن هذه المَرأة التي فقدناها هي

coptic-books.blogspot.com

ابنة لله، وقد عادت إلى منزل أبيها، ويومًا ما سوف يقيمها الله وسوف نراها ثانية. يجب علينا اليوم ألاَّ نصرخ بل أن نُرَنِّم!"، فبدأ المُحتَفون أن يُرنِّموا حمدًا لله. وُجِد لهم شيء يتغنُّون به حتى في الموت. هذا ما يجب أن يعمله المسيحيُّون.

رؤيا مُزدَوَجَة:

يَعبُر المسيحي الحياة وله رؤيا مُزدوجة. إنَّه يحتفِظ بعين تُطِلُّ على هذا العالَم، وبالأُخرى على الأبديَّة. وهذا المعنى يصفه القدِّيس توما الكمبيسي St. Thomas a Kempis هكذا:

"إنَّ أبناء الله وهم يعيشون وسط أشياء حاضِرة، إلاَّ أنَّهم يتأمَّلون في تلك الأشياء الأبديَّة. إنَّهم ينظرون إلى الأشياء العابِرة بالعين اليُسرى ويُطِلُّون بالعين اليمنى إلى الأشياء السماويَّة".

إنَّ تلك الرؤيا المُزدوجة هي التي مكَّنَت القدِّيس بولس أن يقول: *«لذلك لا نفشَل، بل وإن كان إنساننا الخارِج يفنى فالداخل يتجدَّد يومًا فيومًا، لأن خفَّة ضيقتنا الوقتيَّة تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديًّا. ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل إلى التي لا تُرى، لأن التي تُرى وقتيَّة، وأمَّا التي لا تُرى فأبديَّة»* (٢كو ٤: ١٦ - ١٨).

إماتة المَوت:

بعد أن قَهَر المسيح الموت، فإنَّه خلَّصنا مِن الخوف والقَلَق المُتَعَلِّقَين به. لا يوجَد مكان على الأرض أكثر ظلمة مِن بيت داخله ميِّت والمسيح غير معروف فيه. يقول الاستشاري الألماني العظيم ماتياس كلوديوس Matthias Claudius: "إنَّ مَن لا يُؤمِن بالمسيح عليه أن يُفَكِّر كيف سيمضي إلى الموت بدونه. أمَّا بالنسبة لي ولك كمسيحيِّين، فإننا نحتاج

coptic-books.blogspot.com

إلى شخص يَرفعنا ويمسِك بيدنا في الطريق ونحن أحياء، وإلى مَن يضع يده تحت رأسنا وقت الموت. لا يوجَد سواه، إنَّه يسوع".

توجَد عادة مُحزِنة في جُزُر فيجي Fiji بخصوص استدعاء الميِّت. يتسلَّق صَديق الميِّت شَجَرة عالية أو مُنحَدر شاهِق وينادي باسم الصديق الميِّت ويقول: "عُد لنا، عُد لنا". أمَّا نحن الواقفين بجوار قبور أمواتنا فنعلَم جيِّدًا أنهم يومًا ما سوف يعودون، عندما يعود المسيح ليجمَع كل أحبائه. هذا هو إيماننا الذي نُعَبِّر عنه في قانون الإيمان: "وننتظِر قيامة الأموات".

هذا هو الإيمان الذي تفصِح عنه أيقونة القيامة. إنَّها تكشف لنا مُخلِّصنا وهو ينحني تجاه شخصٍ هرِم ليُمسِك بيُمناه ويُصعده مِن القبر. إن الشخص العجوز هذا هو آدم، أبو البشريَّة، وأبو كل واحد منَّا. فالمسيح بعد أن عَبَر الموت وهَزمه وأبطَل عِزَّه، ينحني ليرفعنا مِن الموت، مُبتَدِئًا مِن آدم ليعطينا الحياة الأبديَّة.

coptic-books.blogspot.com

وحياة الدهر الآتي

ذَهَبَ شخصٌ يَدَّعي لنفسه أنَّه: "مُلحدٌ مُستنير" في زيارة إلى دَيْر، وفي نهاية الزيارة قال باعتداد للراهب المُرشد: "آه، هل فكَّرتَ يا صديقي أنَّه إذا كان الله غَيْر موجود، وأنا أظن أنَ هذا هو الحال، فأنتَ تكون قد أضعتَ حياتك هباء!".

أجابه الراهب باعتداد أعظم: "إن كنتُ على خطأ، أكونُ قد أضعتُ خمسين أو سبعين سنة فقط، أمَّا إن كنتَ أنتَ على خطأ فتكون قد أضعتَ أبديَّتكَ كلها".

إنَّ قانون الإيمان الذي نقوله يُختَم برنَّة الانتصار والرجاء اليقيني: "وننتظِر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي". إن كُنَّا نؤمِن بكل ما يقوله قانون الإيمان بخصوص الله المُعلَن في يسوع: "ابن الله الوحيد، الذي مِن أجلنا نحن البشر ومِن أجل خلاصنا نزل مِن السماء.. وقام مِن بين الأموات كما في الكُتُب، وصعد إلى السماوات.. وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لمُلكه انقضاء.."، فلابد أن نأتي إلى الخاتمة المُنتَصرة: "وننتظِر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي". هذه هي بلوغ الذروة المُحتَّمة لنصّ الإيمان المصوغ في القانون النيقاوي.

فطيرة حلوى في السماء

يعتَرِض المُلحدون على عقيدة الحياة بعد الموت ويقولون إنَّها فكرة يَرغبها الناس تُعَبِّر عن شوارع مِن الذهب البَرَّاق، ومنازل في السماء يُوعَد بها الإنسان كتعويض للفقر الذي يُعانيه كثيرون على الأرض. ومِن هنا تصبح عقيدة المسيحيِّين بخصوص قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي ليست

coptic-books.blogspot.com

إلاَّ: "فطيرة حلوى في السماء". لكن هذا غير صحيح. إنَّ قانون الإيمان يتضمَّن مَشهَد الدينونة التي يجريها الله الكُلِّي القدرة، وهذه في واقعها ليست: "فطيرة حلوى في السماء"، كما لا يمكن الاعتقاد أنَّها أفكارٌ آملة، فالمسيحي المُؤمِن لا يمكنه أن يُشارِك المُلحِد إيمانه أن الموت هو مُجَرَّد نهاية مُريحة للحياة البشريَّة، فبحسب قانون الإيمان المسيحي الأرثوذكسي، فقد: *«وُضِع للناس أن يموتوا مَرَّة واحدة وبعد ذلك الدينونة»* (عب ٩: ٢٧). إنَّ عقيدة: "حياة الدهر الآتي" ليست مبنيَّة على أفكار ورغبات حالِمة، ولكنها مبنيَّة على إعلان الله الحقيقي مِن خلال يسوع والكنيسة.

البُرهان مِن خلال قضيَّة العدالة

تَوَصَّل بعض الناس إلى حقيقة عقيدة: "حياة الدهر الآتي" مِن خلال قضيَّة العدالة. إنَّهم يشعرون أنَّه لابد مِن وجود حياة أُخرى لتصحيح مسار عدم العدالة السائد في هذا العالَم. طُلِب مِن شخص ذات مَرَّة أن يُعطِي سببًا لاعتقاده بحياة الدهر الآتي فأجاب: "أعتقد أنَّه لابد مِن وجود حياة أُخرى لأن الناس - ببساطة - لا ينالون جزاء ضلالهم المُحقَ في هذه الحياة". لو لم تكُن هناك حياة أُخرى، فإنَّ ذلك سوف يُشكِّلَ أخبارًا سارَّة للأشرار! ولكان الذين ارتكبوا شرورًا عظيمة في العالَم يموتون في سلام عظيم على فراشهم، بينما الرسول بولس الذي عاش ليخدم المسيح يموت في أَلَم الاستشهاد. إن لم تكُن هناك حياة أُخرى، لكان من الأفضَل أن يكون الإنسان مُجرمًا لا أن يكون قدِّيسًا مثل بولس. إنَّ العدالة تستلزم وجود حياة أُخرى لتُعَوِّض عدم الاتِّزان الخُلُقي في هذا العالَم.

البُرهان مِن خلال محبَّتنا للمُنتقلين:

توصَّل آخرون إلى عقيدة: "حياة الدهر الآتي" ليس فقط عن طريق

coptic-books.blogspot.com

قضيَّة العدالة، إنَّما أيضًا على أُسُس محبَّة الله. عندما يصرُخ الحُب بجوار قَبر المحبوب، فهذا يكون أعظم تجديف نحو الله، أو أن يكون أعظم بُرهان على حياة أُخرى. إن كان الله محبَّة فليس مِن العدل أن يَضَع فينا هذا الحُب المُلتَهب مِن نحو أحبَّائنا المُنتَقلين. هل يكون مُوافقًا لله الكُلِّي المحبَّة والعدل أن يَضَع محبَّة شديدة في قلوبنا نحو أحبائنا المُنتقلين إن كان موهم يعني أنَّهم تلاشوا ولم يبقَ لهم وجود بعد؟ ولكن إن استمرَّ الحُب في وجوده حتى بعد الموت، فهذا يَفتَرِض أن المُنتقِل لا زال يحيا، وإلاَّ ما كان الله يجعلنا أن نُحِبّ بهذه القوَّة.

آخَرون يشعرون أن أكثَر شيء مأساوي في الحياة ليس هو الموت عندما يأتي في سنٍّ مُتَأخِر، ولكن عندما يُداهِم الشاب في مُقتَبَل حياته قبل أن يتفتَّح للحياة أو ينمو. إن لم تكُن توجد حياة أُخرى تبلُغ فيه هذه النفس اكتمالها وتجِد فيها شِبعها، فإنَّه يصبح مِن المُستحيل أن نُؤمِن بمحبَّة الله أو عدالته.

البُرهان مِن خلال غريزة الإنسان:

ليست العدالة والمحبَّة فقط هما اللتان تُبيِّنان وجود: "حياة الدهر الآتي"، بل أيضًا غريزة الإنسان. قال شخصٌ ما: "إنَّني لا أفهم حياة الدهر الآتي، كما أمكنني النجاح في أن أرفُض كل بُرهان على الحياة بعد الموت، ومع ذلك فإنَّني أتوقَّع تمامًا حدوثها". في واقِع الأمر، لا يُؤمِن أي شخص بموته الشخصي، وفي اللاشعور (العقل غير الواعي) كل شخص مُقتَنِع بخلوده. وأظن أنَّ السبب هو أنَّ الله وَضَع الأبديَّة في قلب الإنسان. ويعتقِد البعض أنَّ هذا الشعور الفِطرِي في الحياة الآتية هو ملامح صورة الله في الإنسان.

coptic-books.blogspot.com

تقول هيلين كيلَر Helen Keller: "إنَّني أومِن بخلود الـــروح لأنَّـــه توجد لديَّ اشتياقات خالدة". أن يولَد الإنسان باشتياقات خالـــدة وفي نفس الوقت أن لا توجَد له إمكانيات لتحقيقها، فهذا يتضمَّن أن وجودنا هو ظاهِرة غير مفهومة. إنَّه وَضع "مُناف للعقل" أن نعتَبِـــر أن الـــنفس البشريَّة قد صُمِّمَت بهذه الدَرَجة من الرداءة حتى أنَّها تتناقَض في داخلها مع طموحاتها الأبدية العميقة والمُتعدِّدة.

غَرَس الله الرغبة القويَّة في الطيور المُهاجِرة حتى متى جاء الخريف، فإنَّه حتى الطيور المحبوسة في أقفاص نجدها تَضرِب بأجنحتها بعُنف كما لـــو كانت تُحاوِل أن تترُك القفص إلى مكان بعيد. إنَّ الغريـــزة لا تَخـــدَع الطيور. فإن كان الله لا يَخدَع الطيور، فكيف يَخدَع الإنسان الذي زَرَع فيه هذه النَزعَة العارِمة نحو الحياة الأبديَّة؟ يُقال إنَّه عندما يُريد الله أن يَطبَع حقيقة في الإنسان، فإنَّه يَزرَع فِكرة هذه الحقيقة في غرائز الإنسان.

مِمَّا يخلِب اللُّب أن ندرس كيف تُعَبِّر الشعوب المُختلِفة على مـــدى التاريخ عن شوقها للأبديَّة. فاليونانيُّون عندهم الحقول البهِجة التي يَذهَب إليها الأبطال، الأرض التي لا يوجَد فيها ثلج أو مَطَـــر أو عواصِـــف أو دموع حيث تهبّ الريح الغربيَّة عليها بلُطفٍ شـــديد وتتفـــتَّح الأزهـــار الذهبيَّة. والمصريُّون القدماء كانوا يدفنون مع موتـــاهم جميـــع أصـــناف الأثاثات والأدوات، بل وحتى أدوات الزينة أيضًا حتى يمكن استخدامها في الحياة الأُخرى. والهندي لديه اعتقاد في الأرض الممتلئة صيدًا حتى يتمتَّـــع بصيد ثمين مِلء مَسَرَّة قلبه. وأهل الفايكنج (اسكندنافًا) عندهم الفالهـــالا Valhalla، أداة الحرب حيث يمكنهم اجتياز حروب أهليَّة رائعة طـــوال النهار ثمَّ يستريحون في الليل ليعاوِدوا الحرب. كـــذلك المُســـلمون لهـــم فردوسهم الخاص المليء بالملذَّات الحِسيَّة. يعتقد اليابانيُّون والهنود إلى الآن

coptic-books.blogspot.com

في تناسُخ الأرواح والتي بمُقتضاها لا يموت الميِّت ولكن تسكُن روحه بصورة غير مَرئيَّة مع أعضاء الأُسرة الأحياء، ومِن هنا كان سببْ وجود حجرة جانبيَّة في كل منزل حتى تعيش فيها أرواح الأقارب المُنتقلين. كما لا زال إلى الآن الصينيُّون لديهم العادة التي كانت سابقًا للإغريق القُدماء بوَضع عُملة بين شَفَتَي الميِّت حتى يُمكنه أن يَدفَع الرسوم اللازمة للعبور إلى الضفَّة الأُخرى للنهر السماوي. والخلاصة من كل ذلك هي: إمَّا أن يكون الجنس البشري قد فقد صوابه حتى إنَّه أبقى على هذه المواقف تجاه الموتى، أو أن الله قد وَضَع حقًّا الأبديَّة في روح الإنسان، حتى يكون هناك حقًّا: "حياة الدهر الآتي".

شهادات شخصيَّة بخصوص الخلود

سُئل ويليام جيمس William James الفيلسوف بجامعة هارفارد: "هل تُؤمن بخلودك الشخصي؟" فأجاب: "ليس إيمانًا قاطعًا ولكنه يَزداد ويقوى كُلَّما تقدَّمتُ في السنّ"، ولمَّا سُئل: "لماذا؟" أجاب: "إنَّني أُصبح الآن أكثَر مُواءمة للحياة". إنَّ ما يقوله ويليام جيمس يحمل في طيَّاته احتمالاً معقولاً بأن النمو يستمر بعد الموت، حيث إنَّه حقيقةً لا توجَد حدود لمقدرة الإنسان على الاستمرار في النمو.

أمَّا الفيلسوف العظيم عمانويل كانط Immanuel Kant فيقول: "إنَّ الإنسان لا يُمكنه أن يبلغ ما ينبغي عليه أن يبلغهُ في هذه الحياة القصيرة مهما طالَت، لذلك فلابد مِن وجود حياة أُخرى".

وقال فيكتور هوجو Victor Hugo بجرأة وبلا تردُّد أثناء احتضاره: "لن أقول عندما توافيني اللحظة الأخيرة إنَّني قد أتممتُ حياتي، إنَّ عَمَلي اليومي سوف يبدأ غدًا ثانية، سوف يُغلَق الغَسَق ليُفتَح ثانية في الشَفَق".

coptic-books.blogspot.com

يقول عالِم الفضاء د. فيرنهار فون براوِن Dr. Wernher Von Braun:
"يَظهَر أن بعض الناس في عالَمنا الحديث يشعرون أن العلم يجعَل "الأفكار الدينيَّة" غير ملائمة للعصر أو ذات طراز قديم، ولكنَّني أظُن أن العلم يحوي مفاجأة حقيقيَّة للمُتشكِّكين. العلم مثلاً يمدُّنا بالمعلومة أنَّه لا يوجد شيء في الطبيعة، حتى ولو كان جُزءًا صغيرًا جدًّا، يمكنه أن يتلاشى بدون أن يترُك أثَرًا.. فالطبيعة لا تعتَرِف بالفناء، وكل ما تَعْرفه هو التحوُّل. والآن إن كان الله يُطبِّق عمليًا هذه المبادئ الأساسيَّة على أصغر الأجزاء والتافهة للغاية في عالَمه، أليس من البديهي أن يُظنّ أنَّه يُطبِّقها على تُحفَة خليقته الرائعة: النفس البشريَّة؟ أعتقِد أنَّه يفعَل، وكل ما عرفته مِن العلوم يُقوِّي إيماني في استمراريَّة وجود كياننا الروحي بعد الموت. لا شيء يختفي بلا آثار".

قال خطيب الجيل المُفوَّه ويليام جنينجز William Jennings Bryan بريان ذات مَرَّة: "إن كان الآب يتنازل ويتلطَّف ليلمس بقوَّته الإلهيَّة قلب ثَمَرَة الجوز وهي باردة وبلا حِسّ ويجعلها تَبرُز مِن حَبس جُدرانها، فهل يترُك في الأرض نفس الإنسان المَصنوعة على صورة خالقها مُهمَلَة؟"

إشارات إلى البَهاء السمائي:

تقول إحدى المُمَرِّضات التي شاهَدَت عددًا كبيرًا من الناس يموتون، إنَّها لم تُلاحِظ أبدًا أي رُعب في أي وجه عند لحظة الموت، باستثناء امرأة واحدة كانت تَخدَع وتكذب على أُختها، هذه ماتت والرُعب مكتوبٌ على وجهها. كما تقول: "إن مرضى كثيرين، عند لحظة الموت، كانت سِماتهم تُعبِّر عن رُؤيَة شيء ما، وكثيرون كانوا يتحدَّثون عن نور بهي يرونه وموسيقى يسمعونها، والبعض تكلَّموا عن رُؤيَة وجوه تَعَرَّفوا عليها ظاهِرًا. كان يوجد في الغالِب نظرة تعجُّب ودهشة في عيونهم".

coptic-books.blogspot.com

قبل موت توماس إديسون Thomas A. Edison للتو، سمعه طبيبه الخاص يقول: ''إنَّ هناك لجميلٌ جدًّا''. وإن كُنَّا نؤمن بما قاله يسوع لنا، فحقًّا إن هناك سيكون الوضع جميلاً جدًّا. يَنال بعض الناس بَرَكَة المقدرة على أن يَتَذَوَّقوا قبسًا مِن هذا الجمال قبل أن يَرحلوا مِن هذا العالَم مُباشرة.

قال راعٍ شهير: ''كنتُ جالسًا بجوار شخصٍ يحتَضِر، وكنتُ أُمسِك بيديه بحرارة، ولابد أنَّني أمسكتُ بهما بإحكام أكثر مما كنتُ أظن، لأنَّه قال لي شيئًا غريبًا "لا تسحبني إلى الخلف، إنَّه مُدهِش هناك"''.

مِثل هذه الملامِح للمجد السماوي يتردَّد صداها في كلمات القدِّيس بولس، والذي سَمَح له الله أن يتذوَّق قبسًا مِن السماء فقال: «*ما لم تَرَ عينٌ ولم تسمع أُذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدَّه الله للذين يُحبونه*» (١كو ٢: ٩).

ما هو البُرهان؟

يقول المُلحِد: ''عند الموت تنطفئ حياة الإنسان مِثل شمعة''. ونحن نسأل المُلحِد: ''كيف عرفتَ ذلك؟ كيف يمكنك أن تُبَرهِن على قولك؟'' سوف تكون الإجابة إنَّه لا يعرف ولا يمكنه إثبات ذلك. الإنسان الذي يُنكِر الحياة الأبديَّة يقول هذا بإيمان تمامًا كالإيمان الذي يعترف به مَن يؤمِن بالحياة الأبديَّة. نحن المسيحيِّين نضعُ أساس إيماننا بالحياة الأبديَّة ليس بناءً على شهادة إنسان، وليس كشعور فِطري أو غريزي، ولكن بناء على سُلطان كلمة الله. مَن ذا الذي يعرف عن هذه الحياة أكثَر مِن: «*الذي به كان كل شيء*» (يو ١: ٣). هذا نفسه الذي غَلَب الموت وقال:

«*أنا هو القيامة والحياة، مَن آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد*» (يو ١١: ٢٥ و٢٦).

coptic-books.blogspot.com

«لا تضطرب قلوبكم، أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي، في بيت أبي منازل كثيرة، وإلاّ فإنّي كنتُ قد قلتُ لكم أنا أمضي لأُعدّ لكم مكانًا، وإن مَضَيتُ وأعددتُ لكم مكانًا آتي أيضًا وآخذكُم إليّ، حتى حيث أكونُ أنا تكونون أنتم أيضًا» (يو ١٤: ١-٣).

«أيها الآب أُريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيثُ أكون أنا لينظُروا مجدي الذي أعطيتني لأنّكَ أحببتني قبل إنشاء العالَم» (يو ١٧: ٣).

«أيها الأولاد الآن نحن أولاد الله ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلَم أنّه إذا أُظهِر نكون مثله لأننا سنَراه كما هو» (١يو ٣: ٢).

«كل الخليقة تقف على طرف إصبَع القَدَم لتُبصِر المنظَر العجيب لأولاد الله» (رو ٨: ١٩- ترجمة حسب النص).

«لأننا نَعلَم أنّه إن نُقِض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السماوات بناءٌ مِن الله، بيتٌ غير مصنوع بيد أبدي» (٢كو ٥: ١).

إنّ هذه الحياة الأبديَّة قد أعطاها الله للإنسان كهبة (رو ٦: ٢٥). وهذه يتِم الحصول عليها بالمعرِفة. إنّ الحياة الأبديَّة هي أن تَعرف الله ويسوع المسيح الذي أرسله الله (يو ١٧: ٣). إنّ كلمة "تعرف" هنا تعني المعرفة الشخصيَّة. الحياة الأبديَّة تأتي مِن خلال الإيمان. مَن يحيا ويُؤمِن بيسوع له حياة أبديَّة (يو٣: ١٥ و١٦). إنَّها تأتي مِن خلال الأسرار خصوصًا سرّ الشركة المُقدَّس: *«مَن يأكل جسدي ويشرب دمي له حياة أبديَّة»* (يو٦: ٥٤). القدّيس أغناطيوس الأنطاكي يُسمّي عشاء الرب ترياق عدم الموت farmakon athanasias, antidotes tou mi apothanein. إنَّه دواء أو علاج يُؤدّي إلى عدم الموت. والآباء الرسوليُّون يُعلّمون أنّه بمجيء المسيح فإنّ وضع الفردوس سوف يُعاد تأسيسه، ومَرَّة ثانية سوف

coptic-books.blogspot.com

نأكل مِن "شَجَرة الحياة" ونحيا إلى الأبد. ومَرَّة ثانية سوف نُشـــارِك في طعام الخلود الذي هو جسد ودم المسيح. الحياة الأبديَّة إذن هي نوع مِن الحياة التي تُعاش مع الله. تبدأ الآن وتستمر طوال الأبديَّة.

الإيمان بالمُستَقبل:

حكى أحد السوَّاح عن قرية صغيرة في تلال قرية مين Maine الـــتي حُكِم بإزالتها، إذ قَرَّرت الدولة بناء سَدّ ضخم قوي على البحر، وصـــار مِن المُتَوَقَّع أنَّه في خلال سنة سوف تُغمَر كل المنطقة ببُحَيرة عظيمة. كان تأثير هذا القَرار مُربكًا جدًّا على كل سكان القرية. كل شيء توقَّف فيها تمامًا. البناء توقَّف، الإصلاحات تعطَّلَت، التجديدات أُلغِيَت. ما لزوم دهـــان منزل إن كان في غضون حوالي سنة سوف يُغمَر تمامًا بالماء؟ وهكـــذا مِـــن شهرٍ فشهر امتلأت القرية بالقاذورات وصارت كَشَبَح. يُعلِّق السائح على هذا فيقول: "حيث لا إيمان بالمُستقبَل، لا توجد قوَّة في الحاضِر".

في تقديم إيمان لنا بالمُستَقبَل: "وننتظِر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي"، فإنَّ قانون الإيمان النيقاوي يمدُّنا بقوَّة عظيمة وهدف ومعنى للحاضِر.

coptic-books.blogspot.com

يُطلَب هذا الكتاب من:

- مطرانيـــة بني مـــزار والبهنســـا : (ت: ٠٨٦/٨٣٠٠٣٣)
(ت: ٠٨٦/٨٣٣٦٦٦)
- كنيســـة العـــذراء بأبي جلبـــان: (ت: ٠٨٦/٨٢٧٧٩٩)
- بيت التكريس لخدمة الكرازة: (ت: ٠٢/٤٨٣٦٣٨٩)
(ت: ٠٢/٦٧٤٥٢١٩)
- من المكتبات المسيحية والكنائس بالقاهرة والأقاليم.

سعر النسخة: ٨ جنيهات

أُطلب أيضاً لنفس المؤلِّف والمترجم

(١) الله يعمل للخير ... .طبعة ثانية سنة ٢٠٠٣

(٢) الأرثوذكسية الشرقية طريق الحياة .....طبعة ثانية سنة ٢٠٠٣

(٣) حضور الله وقت المرض والحزن والاكتئاب واليأس طبعة أُولى سنة ٢٠٠٤

coptic-books.blogspot.com